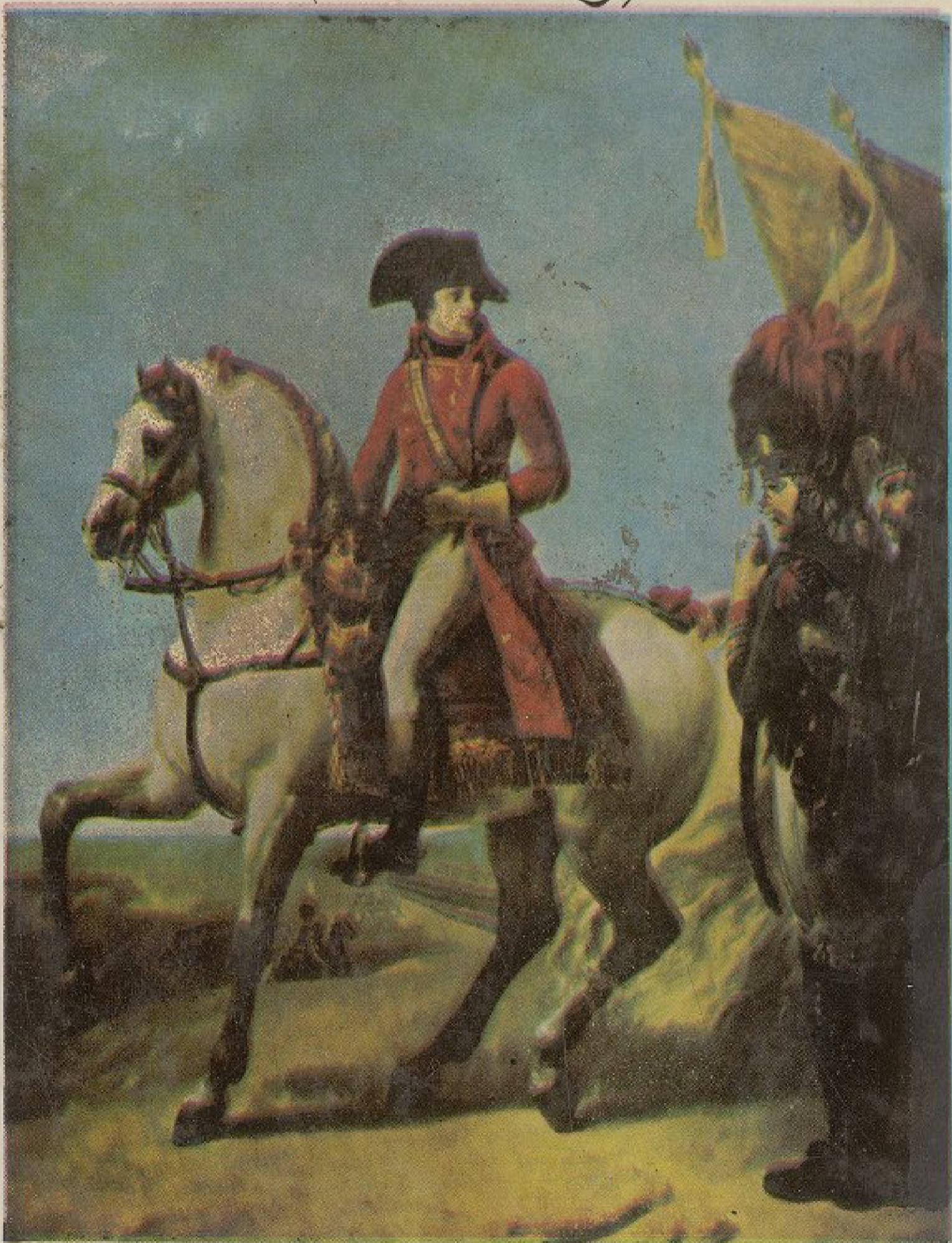


العقيد القيم الدكتور طلال المختار

# آثار حملة بونابرت على مصر (رسالة)



الجامعة اللبنانية  
كلية الحقوق







# آثار حملة بونابرت على مصر



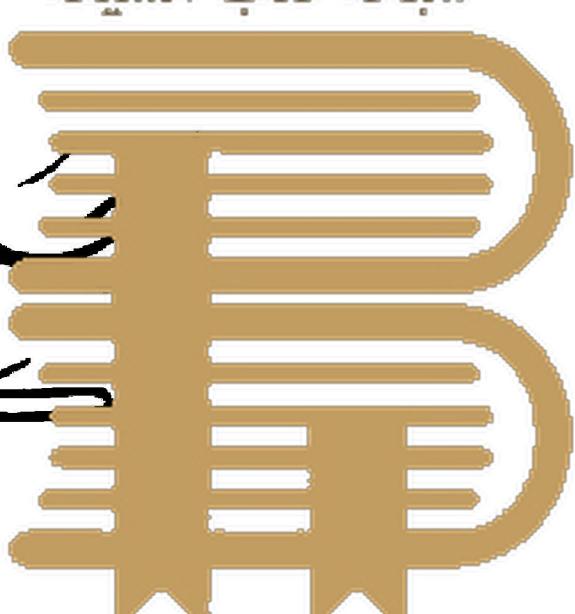
العقيد القيم الدكتور طلال المرتار

# آثار حملة بونابرت على مصر (رسائلة)

طبع في بيروت

شبكة كتب الشيعة

جامعة اللبنانيّة  
كلية الحقوق



shiabooks.net

mktba.net رابط بديل



## الاهداء

### إلى أولادي

إلى كل من يهوى الحياة عزيزة  
وصارمته البتار لا يعرف الغدا

ولا يختشي في الحق لومة لائم  
ولا يرجسي أجرًا عليه ولا حمدًا

ويدرك أن العيش ناب ومخلب  
ولا يحرز المجد الرفيع سوى كذا

وان طموح الماء ، في الكون ، شعلة  
لها كبة لا تعرف النقص والحدا

ويعلم أن الحق بالسيف صونه  
وبالعلم يبني فوق امجاده مجدا

ولا يشوه وجه العدل منجرفا  
في حب بهكنة يمسى لها عبدا

ولا تنال الليالي من عزيمته  
ولا نوابتها تثني له زندا

المؤلف



## مقدمة

فكرة غزو فرنسا لمصر عبارة ترددت على أكثر من شفة ولسان فأصبحت نوعاً من التقاليد ورثها المخلف عن السلف .

وادي النيل أشبه بوتر قيثارة كلما لامسته ريشة الأحداث تجاوب صدأه في مسامع حكومات فرنسا المتعاقبة .

فكرة غزو فرنسا لمصر أهزوحة قديمة لحنها بونابرت بمساعدة جوقة حكومة المديرين فقطع اوتار قيثارته مقرض الأحداث .

ان فكرة الاستيلاء على مصر كانت تجيش في صدور ذوي الشأن في فرنسا وتطرق ناصيتهم منذ أن بدأت فكرة الاستعمار تغزو نفوسهم وتستحوذ على عقولهم .

سنستنطق فيما يلي الأحداث بتقليل صفحات التاريخ علنا نعثر على بذور هذه الفكرة بين طيات السنين .

ولئن ظهر لأول وهلة ، ان حملة مصر عمل فرضته

الظروف وأملته الأحداث ، ووجهه ضد اذكلترا لارغامها على طلب الصلح ، فقد كان في الحقيقة مشروعًا استدعي درسه طويلاً وقت .

ولكم عرض ونوقش ورفض قبل أن يظهر إلى حيز الوجود عام ١٧٩٨ .

ولا بد لنا قبل الخوض في الموضوع من القاء نظرة على أسباب الحملة والتوقف قليلاً للاطلاع على طريقة تنفيذها لما لهذين من أثر على نتيجة الحملة فندرس تباعاً آثارها في الشرق من كافة النواحي ثم آثارها في الغرب . ثم نختتم البحث بخلاصة شاملة جامعة .

## الفصل الاول

١ - اسباب توجه انظار فرنسا الى مصر -

هناك اسباب بعيدة وأسباب مباشرة

### القسم الاول

الاسباب البعيدة :

توجهت انظار الفرنسيين الى مصر منذ زمن بعيد وقد تعاقبت احداث عديدة من شأنها غرس فكرة الاستيلاء على هذه البلاد في النفوس نذكر منها الامور التالية :

- اقامة العلاقات التجارية بين فرنسا والشرق .
- تطور القضية الشرقية .
- التنافس الاستعماري بين فرنسا وانكلترا .
- مركز مصر الجغرافي بين اوروبا وآسيا وافريقيا .
- كل هذه العوامل جعلت انظار الدول تتوجه نحو

ه مصر ، ومصالح المستعمرتين تستفيق على صدى الاحداث الجارية فيها وحتى ما كان منها أحيانا بعيدا عنها .

- فانكسار الاتراك على الدانوب ( DANUBE ) أو على شواطئ البحر الاسود .

- وزحف ظافر يشنه الروس أو النمساويون على القسطنطينية ،

- أو معركة بحرية في المحيط الهندي أو في بحر الانجيل ،

- أو ثورة في وادي النيل أو اهانة يتعرض لها تجار فرنسيون في القاهرة أو الاسكندرية تعيد الى الذهان المسألة التي طالما دعيت ( القضية المصرية ) .

- ان سبر أغوار فكرة هذه القضية وتطورها يستدعيان العودة الى منبت المصالح التي سببت بذرها ونضجها واستنطاق تاريخ العلاقات التجارية بين « مرسيليا » والاسكندرية واظهار انحطاط وتقهقر الدولة العثمانية والتعديات والتحديات المتنابعة من قبل جيرانها .

- والانتعاق المتمادي لمصر ، والفووضى المتزايدة في ادارتها وعواقب الفساد الداخلي على تجارة ووضع الفرنسيين المقيمين على اراضيها ، وعودة الشعوب الحديثة الى الطرق التجارية التي كان يسلكها الاقدمون وتأثير الاكتشافات الكبرى على تطور الدول البحرية ودرس المعارك التي ساهمت بها « هولندا » و « فرنسا » و « انكلترا » للسيطرة على بلاد الهند وسلطان البحر .

- ان التوغل في درس هذه الامور يجعل من الرسالة موسوعة ويحدو بنا الى التجاوز عن الموضوع المطلوب وتعقيده ، ولهذا فان دراسة دور مصر في الثلاثين سنة السابقة لتاريخ الحملة المصرية تكفي لايقاء الموضوع حقه من التوسيع والدرس .

- لم تنفك اهمية دراسة حملة مصر تتزايد منذ عام ١٧٦٨ حتى تاريخ تنفيذها عام ١٧٩٨ .

- ان تلك الاهمية المتزايدة التي أثارتها قضية مصر في اواسط الفرنسيين كانت ترثدي طوابع شتى .

- فكانت تارة تحرك على الصعيد الحكومي ، امياول ، لاحتلال هذه البلاد والقيام بتحقيقات سرية عن كيفية الاستيلاء عليها ، وطورا باجراء مفاوضات بغية جعل البحر الاحمر ميدانا للتجارة الفرنسية .

- كما تغلغلت هذه الفكرة في الرأي العام الذي باشر بوضع المشاريع لغزو مصر واحتلالها واستعمارها ووصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر بواسطة قanal ، ولا ريب فقد كان لهذه النشاطات والمشاريع اثر فعال ومبادر على عقول تلك الحفنة من الرجال الذين قرروا القيام بالحملة على مصر (١) لا يقل عن اثر نتائج المعارك التي خاضتها فرنسا ضد دول اوروبا ولا سيما بريطانيا .

- ولهذا فسنستعرض هذه الاسباب على صعيدين :

(١) حملة مصر لشارل رو الفصل الاول .

١ - الصعيد الفكري وما يتضمن من نشاطات عقلية وتجارية ودينية ودبلوماسية .

٢ - الصعيد العسكري وما أدى إليه نتائج المعارض .

- وبتعبير آخر : فلئن تكون أسباب الحملة على مصر يرتكز تاريخها إلى عهد العلاقات التجارية وبعثات التبشير الدينية بين فرنسا ومصر منذ القديم فهي ترتد في أصولها إلى مسائلتين أساسيتين :

١ - المسألة الاستعمارية التي كانت نواتها العلاقات التجارية وبعثات التبشير والمشاريع المقترحة والمفاوضات المجرأة بصدق مصر .

٢ - الموقف السياسي في أوروبا أبان المفاوضات الجارية لعقد صلح « كومبوفورمي » مع « النمسا » . ولا بد من الاشارة بأن الموقف السياسي هذا كان يخفي بين طياته عاملًا فعالًا كان له بعيد الأثر على إرسال الحملة إلى مصر إلا وهو الخصم المزمن والضفينة القديمة والتنافس القتالي بين فرنسا وبريطانيا .

و سنستعرض كلًا من هذه الأسباب بقليل من الأسهاب .

١ - العلاقات التجارية بين فرنسا ومصر

- يعود نشوء العلاقات التجارية بين مرسيليا ومصر إلى أوائل القرن الثامن عشر .

- وبالرغم من قلة عدد التجار الفرنسيين آنذاك فقد كانت التجارة بين البلدين على بعض الازدهار ولم يكن عدد هؤلاء التجار ليتجاوز الثلاثين كما ان عدد العاملين في القنصليّة الفرنسية في مصر لم يكن يزيد على العشرين ناهيك عن الصعوبات التي كان يلاقيها التجار الفرنسيون في سبيل الترخيص لهم بالانتقال الى مصر ما لم يكونوا مزودين بترخيص من غرفة التجارة في مرسيليا (١) .

- لقد كان مرجع هؤلاء التجار في القاهرة حيث يقيم القنصل العام الفرنسي .

ب - أثر بعثات التبشير في نشوء العلاقات بين مصر وفرنسا

- ولئن احتلت التجارة مركز الصدارة في ارساء العلاقات بين مصر وفرنسا .

- فقد ساهمت البعثات الدينية مساهمة فعالة في خلق مكانة مصر في السياسة الفرنسية .

- ذلك ان الرغبة قد حالفت ملوك فرنسا منذ القديم في أن يجعلوا من أنفسهم درع الكثلكة على الأرض . وكان ملك فرنسا يضطلع بمقتضى الامتيازات بحماية الكاثوليك من مختلف الجنسيات .

- وقد بلغ من شأن النفوذ الفرنسي آنذاك أن أصبح المسيحيون على اختلاف معتقداتهم من «يونان»

.....

(١) حلقة مصر لشارل رو الفصل الاول .

« وارمن » و « أقباط » ، يعتبرون قنصل فرنسا حاميهم الطبيعي ، وهكذا فقد توغل النفوذ الفرنسي على أثر الدين ، الى كل مكان كانت تقطنه مجموعة مسيحية . يؤيد ذلك وجود رسم للملك لويس الرابع عشر لتزيين دير في مرتفع سيناء .

### ج - المشاريع المقترحة والمفاوضات المجرأة بقصد مصر .

- وقد عثر في ربائدة الشؤون الخارجية الفرنسية، على مشروع قدم لريشالية ( RICHELIEU ) ودون الاتيان على ذكر مقدمه يتضمن تصميما لاستعمار الهند واستراليا وشق قanal لوصول البحر الاحمر بالبحر المتوسط .

وأخيرا كان للملك لويس الرابع عشر ثلاثة محاولات بهذا الصدد ، بدخوله بمفاوضات مع الباب العالي بغية تسهيل عبور البحرية الفرنسية بين هرفا السويس والبحر الاحمر .

- كما عثر عام ١٨٠٣ ( MORTIER ) قائد الجيش الذي احتل ( HANOVRE ) على نسخة من اقتراح ( LEIBNITZ ) رفعه الى الملك لويس الرابع عشر بغية احتلال مصر .

اقتراح ليبنتز ( LEIBNITZ ) على الملك

لويس الرابع عشر

- عندما كان الملك لويس الرابع عشر يتحضر لاجتياح هولندا عام ١٦٧٢ اقترح ( LEIBNITZ ) على الملك الاستيلاء على النيل قائلاً ( ان مصر هي هولندا الشرق ، وفي الوقت الذي تصبح فيه فرنسا سيدة مصر ، فانها تسيطر حينذاك على البحر المتوسط و تستأثر بطريق الهند ، أي بتجارة العالم ) .

- الا ان الملك لويس الرابع عشر فضل الاستيلاء على هولندا و تثبيت علاقاته الودية مع تركيا ، وقد بذل المركيز ( DE NOINTEL ) قصارى جهده للحفاظ على نفوذ فرنسا في الشرق و حصل على منافع جمة لمواطنيه حيث كان قنصلاً لفرنسا في الاستانة .

### - فكرة تقسيم تراث تركيا -

- وفي عام ١٧٤٠ وضع المركيز ( D'ARGENSON ) مشروعًا يقضي بتجزئة تركيا بواسطة اوروبا المتحالفه ولصالحها وكان يرنو صوب مصر وكان مقتنعاً بأنه بغاية احياء التجارة مع الهند ينبغي حفر قanal لوصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط وبحيث تعود ملكية هذا القناal الى العالم المسيحي .

- لقد كانت فكرة احتلال مصر تعود الى الذهان تحت تأثير عوامل ثلاثة :

- ١ - آخر ذماء لفكرة الحملات الصليبية .
- ٢ - لدى كل محاولة لتقسيم تركيا .

٣ - لدى التفتیش عن طریق أقصر الى الهند .

- هذا ولم تتفرد فرنسا وحدها بفكرة احتلال مصر بل كان هنالك غيرها من الدول من راودته تلك الفكرة . فقد تجلت هذه الظاهرة في مؤلف نشره Le Chevalier DOMINIQUE JAUNIA الامبراطورة ماري تاراز (THERESE MARIE ) - لقد كان هذا المؤلف يقوم بوظيفة مستخدم في قصر فيينا (في الشؤون الداخلية في نطاق التجارة ) فقد سافر هذا المؤلف وأقام في مصر ضيوفا على قنصل فرنسا BENOIT DE MOILLET من المعلومات ضمنها كتابا تحت عنوان (آراء عن المسائل لاحتلال مصر وقبرص ) أهداه الى الامبراطورة ماري تاراز غير ان الاقتراح الذي يعرضه في هذا الكتاب يهدف الى احتلال مصر وقبرص ليس من قبل النمسا فحسب بل من قبل كافة الامراء المسيحيين متكتلين بحيث تتخذ هذه الحملة صفة الحروب المقدسة .

- لقد كان لفضل المفاوضات التي اجراها الملك لويس الرابع عشر مع الباب العالي وللخيبة التي هني بها اثر محاولاته الثلاث في فتح قنال للعلم الفرنسي بين مرفا السويس والبحر الاحمر تأثير في اصداد باب متابعة البحث في التفتیش عن طریق للاتصال بالهند عن طریق مصر ولهذا يلاحظ فتور في نشاط السياسة الفرنسية في مصر طيلة عهد الملك لويس الخامس عشر . هذا ولم تتناقص جذوة تعطش الفرنسيين لزيارة مصر منذ العهد الوسيط فآثارها التاريخية تثير التشوق الذي يمازجه الاحترام والاعجاب .

وقد عثر على اقتراح قدم الى الملك لويس الخامس عشر باستقدام عمود بمبيوس من الاسكندرية الى باريس وتركيزه في مكان من العاصمه بحيث يوضع عليه تمثال هذا الملك .

#### د - المسألة الاستعمارية

- ان فكرة الاستعمار لم تفارق اذهان المسؤولين عن ادارة دفة الحكم في فرنسا ويرجع مشروع الحملة الفرنسية على مصر ، في أصوله الى رغبة الفرنسيين الملحّة في انشاء مستعمرة في الشرق للتعويض عن المستعمرات العديدة التي فقدت فرنسا الشطر الاكبر منها في عهد ملوكها العظام لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر في صلحي ( اوترخت ) عام ١٧١٣ و ( باريس ) عام ١٧٦٣ . حيث فقدت فرنسا في اميركا ، اكاديا ، وحوض الهدسن الغربي وجزيرة نيوفوند لند وكندا ولويزيانا .

- غير أن فكرة الاستعمار هذه ، اعتراها الفتور ، في الفترة التي سبقت انفجار برkan الثورة ، بتأثير الفلسفه أمثال « روسو » وما بلي ومونتسكييو و « فولتير » .

فقد نقد روسو الرق نقدا عنيفا وهذا حذوه فولتير فانتقد وجود الرق من الوجهة الانسانية والواقع انه اراد بأن يعني الفرنسيون باستثمار موارد بلادهم الداخلية كذلك فعل مونتسكييو حيال الرق واستخدام الرقيق الاسود في المستعمرات .

- ولكن على الرغم من كافة الانتقادات ، فإن الاستعمار عموما لم يفقد أنصارا في فرنسا ولم يكن من شأن تلك الانتقادات أن تنزل فرنسا عن المركز الذي احتلته في التاريخ الاستعماري ، وانا لنلمس التناقض في آراء فلاسفة الثورة الذين كانوا تارة ينتقدون نظام الرق وطورا يوافقون على الاستيلاء على المستعمرات فنرى مونتسكيو يوافق على امتلاك الجزر في البحر الكاريبي واحتكار تجارتها ونرى فولتير يوافق على استعمار لويسيانا ويمتدح امتلاك كورسكا .

ويعود الفضل في إعادة صرح الإمبراطورية الاستعمارية إلى ( شوازيل CHOISEUL ) وزير خارجية فرنسا منذ ١٧٥٧ الذي عقد صلح باريس عام ١٧٦٣ فقد بذل مجاهدا في احياء البحرية الفرنسية وتقويتها وعمل على ازالة الآثار المترتبة على صلح باريس حيث كانت في غير مصلحة بلاده كما سعى لتأييد مركز الفرنسيين في مصر وقد حاول في عام ١٧٦٩ الحصول لفرنسا على مصر بطريق المفاوضة وذلك كي يجد الفرنسيون في محصولات هذه البلاد ما يغوض عن الخسارة التي لحقت بهم بضياعهم المستعمرات الأمريكية الا أن جهود شوازيل ذهبت أدراج الرياح ولم تحصل فرنسا سوى على جزيرة كورسيكا التي باعوها ايابا جنوه عام ١٧٦٨ وذلك بغية إعادة التوازن في البحر المتوسط بعد أن استولت انكلترا آنذاك على جزيرة هينورك وهي احدى جزر البليار الـ ( BALEARES ) .

## هـ هوقف الفرنسيين من مصر أبان الحرب الروسية التركية ( ١٧٦٨ - ١٧٧٤ )

- ابتدت فرنسا اهتماماً كبيراً لهذه الحرب وخشى  
ساستها قرب انهيار الدولة العثمانية وتوزيع  
ممتلكاتها بين روسيا والنمسا اللتين كانتا تطمعان في  
امتلاك مصر على اعتبارها الطريق الموصل إلى الهند.  
وكان يتنازع ساسة فرنسا عاملان . عامل الرغبة في  
المحافظة على السياسة التقليدية حيال تركيا  
والصادقة للسلطان العثماني والتوسط بين المتراربيين  
بغية التوصل إلى صلح يمنع السلطنة من الانهيار ،  
اما العامل الثاني فكان اغتنام الفرصة ، في حال انهيار  
تركيا للحصول على نصيب لفرنسا من املاك الرجل  
المريض .

ومن بين الذين ترقبوا موعد انحلال تركيا وخشوا  
أن تؤول ممتلكاتها إلى أيدي الروس والنمساويين ،  
سفير فرنسا في القسطنطينية منذ ١٧٦٨ الكونت ذي  
سانت بريست SAINT PRIEST ثم قنصل فرنسا  
في مصر جان باتيست مير JEAN BAPTISTE MURE

أما سان بريست فكان يعتقد أن حالة الرجل  
المريض أصبحت في طور النزاع وأشار على حكومة  
فرنسا المفاضلة بين امررين :

أما تقديم المعونات الخامسة للأمبراطورية  
العثمانية التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها وأما

تركها تنها وتوظر فرنسا بالنصيب الذي يلائمها . غير أن سان بريست كان يفضل الحل الأول وينصح حكومته باتباعه كما باشر العمل لاقناع النمسا وجوب الاشتراك مع فرنسا للمحافظة على كيان تركيا وفي حال رفض النمسا لاقتراحه هذا واجماع الرأي على اقتسام تركية الرجل المريض ، فيتوجب على فرنسا حينذاك أن تستحصل على نصيتها من هذه التركية وهو مصر ( أخصب بقاع الأرض قاطبة ) . كما أوضح سان بريست أن أهمية مصر التجارية بالنسبة لموقعها الجغرافي لا تقل عن أهمية خصوبة أراضيها . ويمكن لفرنسا في حال الاستيلاء على هذه البلاد أن تضعف سيطرة إنكلترا في الهند كما كان يرى أن عملية الاحتلال مصر ليست بالامر الشاق بالنسبة للظروف التي كان يعتبرها سان بريست مؤاتية لتنفيذ مثل هذا العمل فالاسكندرية بلد مفتوح ، والحكومة المصرية عاجزة عن الدفاع عن نفسها بسبب انتشار الفوضى كما أن المماليك الذين يؤلفون هذه الحكومة وهم ارقاء اجانب موضع كراهية أهل البلاد ، فلا شيء في رأي سان بريست يتافق ومصلحة فرنسا كاحتلال مصر ، في حال اقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية .

## و - تقرير ( MURE ) هير

- كان ( MURE ) سكرتيرا للكونت دي سانت بريست في القسطنطينية عام ١٧٦٨ ثم عين قنصلا في سالونيك ثم قنصلا عاما في القاهرة والاسكندرية عام ١٧٧٤ . وكان ( MURE ) يشاطر سان بريست الاعتقاد بقرب انهيار الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها بين

روسيا والنمسا ، كما كان يرى ان الواجب يقضي على فرنسا بأن تكون على أهبة الاستعداد لاقتطاع حصتها من ممتلكات الدولة العثمانية في حال زوالها .

وقد بعث هذا القنصل بتقرير - الى الكونت دي سانت بريست في القسطنطينية عام ١٧٨٣ صمنه آراءه السياسية حول مصير الدولة العثمانية .

فكان يرى أن تركيا لا بد وان تخوض غمار حروب جديدة قريبا وانه لا يمكنها الصمود طويلا امام روسيا والنمسا اللتين بسعهما الاستيلاء على كافة تركيا الاوربية .

- وفي حال تحقيق ذلك ، كان ( MURE ) يفترض احتمالين :

- الاول امتلاك النمسا لليونان وجزر الارخبيل ، والثاني الاستيلاء على مصر وعندها يصعب جدا اخراج النمسا من مصر . فخير وسيلة لصيانة المصالح الفرنسية هي عدم وقوف فرنسا مكتوفة الابدي حيال هذه الاحتمالات التي كان يظنها وشيكة الوقوع والبقاء على اهبة الاستعداد للحصول على حصتها من ممتلكات تركيا .

- وانبرى ( MURE ) يفصل الفوائد التي تعود على فرنسا من امتلاكها لمصر ويعدد الوسائل التي تمكن فرنسا من اتمام هذا الفتح والاحتفاظ بالبلاد ولم تقف اطماع ( MURE ) عند حد اذ بلغت به نزوات الطمع ان رغب في ان تستولي فرنسا على بلاد الكنانة

باجمِعها ولم يغفل عن ذكر الوسائل التي تكفل  
المحافظة عليها وهي تتلخص في انشاء مراكز  
استراتيجية لتأمين الدفاع .

- وقد كان محور الجهد في هذا التقرير يهدف  
تعداد الوسائل التي ينبغي اتخاذها عقب الفتح  
لتعود موارد البلاد لفائدة الدولة الفاتحة . ولهذا فقد  
كان يرى ضرورة استيلاء الحكومة الفرنسية على  
القسم الأكبر من الأراضي وجعلها برسم البيع أو  
التوزيع لسد نفقات الفتح . فضلاً عن تنزيهه بوجوب  
اعادة فتح القنوات المهملة وفرض الضرائب التي  
قسمها إلى نوعين :

ضريبة عينية - وضريبة على الكماليات كما  
تناول مسألة الرسوم الجمركية وقد ختم ( MURE )  
تقريره بقوله ( انه في الحالة التي لا يمكن فيها منع  
الغزو عن تركيا بطريق المفاوضات السياسية فإنه من  
الأجدى أن تستولي فرنسا على مصر وبذلك تبقى  
محتفظة بمركزها بين الدول التجارية والبحرية ( ١ ) .  
ز - سياسة فرجن ( VERGENNES )

الآن آراء السفير الفرنسي سانت بريست  
وآراء القنصل الفرنسي في مصر لم تكن لتلاقي  
استحساناً أو اذناً صاغية لدى وزير الخارجية الفرنسية  
VERGENNES ) . ذلك ان آراء هذا الاخير كانت على  
نقض آراء سانت بريست ومير فقد كان فيرجن

---

( ١ ) الحملة الفرنسية وظهور محمد علي صفحة

٧٤ - ٧٠

يسترشد في المسألة الشرقية بمبدأ ثابت هو الابتعاد كل البعد عن سياسة تقسيم ممتلكات تركيا كما كان لا يرى أن الدولة العثمانية على وشك الانهيار . وكان يعلن بكل ثقة انه يكفي للمحافظة على كيان تركيا أن تعلن فرنسا جهارا عدم الاشتراك في أية مشروعات ترمي الى تقسيمها .

#### ح - تأثير آراء الرحالة الفرنسيين على ابقاء فكرة احتلال مصر راسخة في الذهان

- يعود الفضل في عدم ادخال فكرة احتلال مصر في عهدة النسيان الى جماعة الرحاليين الذين زاروا الشرق وزاروا مصر ودونوا انطباعاتهم وأراءهم وكذلك الى الكتاب الذين تناولوا المسألة الاستعمارية بالتوسيع في الفترة التي سبقت اندلاع الثورة . وكان من بين هؤلاء الاخرين كاتب مجهول نشر بعض الاراء السياسية في عامي ١٧٨٣ و ١٧٨٥ ضمنها أهمية الاستيلاء على مصر حتى تحل محل المستعمرات الفرنسية في الهند الغربية كما ان احتلال مصر من شأنه تسهيل تجارة فرنسا مع الهند وببلاد العرب وفارس وافريقيا أما الرحالون الذين كان لهم بعيد الأثر في توجيهه معاصرיהם نحو الاستعمار في الشرق وفي مصر خصوصا بفضل اسفارهم وكتاباتهم فهم : البارون دي توت ، وسافاري وفولني صاحب الرحلة المشهورة .

#### ط - رحلة البارون دي توت

- لم يمنعه اصله الهنغاري من أن تختاره

الحكومة الفرنسية لاصطحاب السفير إلى القسطنطينية  
وقد صادف وجوده فيها في وقت كانت أزمة الحرب  
الروسية التركية على أشدها فنذر دي توت نفسه  
لمساعدة السلطات العثمانية في أعمال تحصين البوسفور  
وإصلاح المدفعية والبحرية كما قام بتدريب جند  
الأتراك وتلقينهم الفن العسكري الحديث فنال ثقة  
السلطان مصطفى الثالث فشجعه هذه الثقة إلى  
مفاوضات السلطان بمشروع حفر قناة تصل بين البحرين  
الابيض والاحمر في بربازخ السويس فوعده السلطان  
بمتابعة البحث في المشروع لتنفيذه بعد انتهاء الحرب.  
ولكن الموت عاجل السلطان بعد نهاية الحرب كما  
انتهت مهمة البارون دي توت كمدرب ومنظم لجند  
العثمانيين . ولدى عودته إلى باريس قدم إلى حكومته  
تقريرا عن حالة تركيا السياسية ضممه آراءه التي  
تتلخص في أن الدولة العثمانية آيلة إلى الانهيار  
القريب ، وان تدخل فرنسا الدبلوماسي لنجاتها لا  
يجدي فتيلا ، وان الاستيلاء على مصر يخدم المصالح  
الفرنسية ويجعل من الميسور على فرنسا ايجاد  
الصلات الوثيقة مع الهند ويسهل انشاء قناة تصل  
بين البحر الاحمر والنيل عند فرع دمياط .

### ي - رحلة فولني

- احب فولني أن يقف بنفسه على أحوال البلاد  
السياسية والاجتماعية في الشرق فقرر الرحالة إلى  
مصر وسوريا عام ١٧٨٢ دون آراءه في كتاب لم يلبث  
أن نال شهرة واسعة وقد أهدى المؤلف نسخة عن  
الكتاب ( رحلة ) إلى قيصرة الروسيا كاترين الثانية

التي أهدته وساما ذهبيا مكافأة له . وفي عام ١٧٩٦ رحل فولني إلى كورسك حيث قابل نابليون بونابرت وقد عين فولني بعد انقضاء عهد الارهاب في فرنسا مدرسا للتاريخ وعندما قرر بونابرت الحملة على مصر أراد اصطحابه معه فاعتذر فولني لكبر سنه فاكتفى بونابرت بأخذ كتاب فولني معه .

- وقد شرح فولني حالة المصريين وتعاسة الفلاح المصري كما وصف الاسكندرية ميناء البلاد الهام وخلوها من التحصينات وقلة عدد حاميتها التي كانت تتالف من الانكشارية وجهلهم لفنون الحرب مما اقنع بونابرت بسهولة غزو مصر .

وكان فولني يرى أن خير علاج للحالة التي كانت مصر تتباطط فيها هو خروجها من السيادة العثمانية ودخولها تحت حكم دولة ذات حضارة تكون صديقة للمصريين ولها نهضة ادبية وعلمية وفنية وقد كان يقصد دون شك فرنسا .

## ك - الثورة الفرنسية تقلب الاوضاع القائمة رأسا على عقب

- سبق اعلن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ عصر نظام الملكية المطلقة اذ كان الملك يعتبر نفسه ممثل العناية الالهية ، ويتمتع بالسلطان الكامل لا حصر لصلاحياته ولا تقييد . ولم تكن لتحاسبه على اعماله هيئة دستورية بل لم يكن مسؤولا تجاه احد وليس له من زاجر غير ضميره .

لقد كان كل شيء ينذر بسوء المصير :  
فالفساد يبسط جناحيه على كافة مرافق الدولة  
والفوضى تسير الخيلاء .

فالباطل كان مأوى للحاشية والاتباع وطريقة  
الحكم كانت موغلة في المركزية وفي المقاطعات حكام لا  
يأتون إلى مقرهم إلا لما .

وكان القضاة لا يرعون حرمة عدالة لأنهم يرثون  
مراكزهم أو يبتاعونها بمال كما تشتري السلع .  
وكانت الضرائب الباهظة ترهق كاهل المكلفين . وكان  
الشعب يقدم ثلاثة أرباع انتاجه ومدخوله لفئات ثلاث:  
الباطل - والنبلاء - ورجال الكنيسة ، وهؤلاء كانوا  
يتمتعون بمحصانة ضرائبية .

لم يستفق الشعب من سباته العميق إلا بتأثير  
صدى التيارات الفكرية حيث شرع دويها يت捷اوب في  
الافق . فقد كانت كتابات « روسو » عن سلطنة  
الشعب وسيادته والمساواة في الحقوق معلولا في الكيان  
القائم . وقد ازداد باضطراد عدد المبشرين بالافكار  
التجددية والداعيين إلى مناهضة الأوضاع « كديدر و »  
« ومايلي » ومنتسيكيو وفولتير وكوندروسيه الذين  
بذروا بما خطه يراعهم بذور الثورة .

فكوندروسيه دعا إلى التمثل بالأميركيين في  
إعلان حقوق الإنسان ومايلي نادي بملكية جمهورية  
تكون قيادة السلطة وزمامها بين أيدي مجلس الأمة .  
وقد تكبدت فرنسا مصاريف باهظة في حروب

اميركا بارسالها جيش المارشال «روشمبو» لمساعدة الاميركيين على ازاحة نير «بريطانيا» فزادت الحالة الاقتصادية فيها سوءا واخيرا انفجر بركان الثورة عام ١٧٨٩ وانجست حممه في فرنسا وجوارها وتتوالت الاحداث فكان المجلس التأسيسي والمجلس التشريعي واخيرا «مجلس الكونفنسيون» المشهور بالعداء السافر للملك لويس السادس عشر الذي حكم من قبل المجلس المذكور بتهمة الخيانة واعدم في ٢١ كانون الثاني سنة ١٧٩٣ .

## لـ - هناءضة ملوك أوروبا لرجال الثورة الفرنسية وتكلفهم ضد فرنسا

كان المبدأ الذي اعتقده المجلس التأسيسي هو العزوف عن كل حرب تهدف الى التوسيع ولكن على اثر التهديد الذي وجهته النمسا الى حكومة الثورة في شباط من عام ١٧٩٢ واعتبرته فرنسا تدخلا صريحا ومباشرا في امورها الداخلية وجدت حكومة الثورة نفسها مضطرة لاعلان الحرب على النمسا في ٢٠ نيسان من ذات العام غير أن المجلس التشريعي لم يكن ليقبل بمبدأ المساومة فبادر الى طرح مبدأ الانكفاء وقام يبشر بحرب طاحنة ضد الملوك كما سبق لهذا المجلس أن أعلن تعليق صلاحيات الملك واناطتها بمجلس تنفيذي خاص انتخب المجلس التأسيسي وضم «دانتون» الذي أُعلن على الملأ قبل مضي عشرة أيام على اعدام الملك «لويس السادس عشر» - عبارته المؤثرة «من الخطأ أن تخشى غضبة الملوك

لقد تحديناهم لا بالقفاز بل برأس الملك - وهذا التحدي أن هو الا ايذان بموتهم القريب » .

عندما تناهى ملوك اوروبا للتكتل ضد فرنسا يعتبرين أن « دانتون » انما عندهم شخصيا بتهدیده وبغية خنق الثورة في المهد حيث كانت تعد في رأيهم شذوذًا على القاعدة وقد كان التكتل الاول صدى لهذا النداء . كما كان لاعدام الملك وقع عميق في نفوس ملوك اوروبا .

فكاترين الثانية امبراطورة روسيا لبست الحداد وبيت ( PITTE ) وصف اعدام الملك بأنه ابغض جريمة عرفها التاريخ .

وقد كانت تحرك بعض الدول الاخرى نوازع متعددة فتحملها على مواجهة الثورة فالبرتغال مثلا كانت حركة تجارية تدفع حكومة ليشبونة للاتفاق مع انكلترا وشارل الرابع ملك اسبانيا كان يراقب منذ تسلمه العرش عام ١٧٨٨ قريبه الملك لويس السادس عشر ويدرس امكانية خلاف « البوربون » في اسبانيا لابناء عمهم « بوربون » فرساي سيمما بعد أن سرت في بلاط مدريد شائعة عقم الملك لويس السادس عشر . وعقد ملك سردينيا اتفاقا مع انكلترا تعهد بموجبه تقديم ٥٠ الف مقاتل لقاء مئتي الف ليرة استرلينية تؤديها انكلترا .

لقد نظم التكتل الاول عام ١٧٩١ في بيلانيتز ( PILLITZ ) بين بروسيا والنمسا حيث انضمت

اليه بعد اعدام الملك لويس السادس عشر كل من انكلترا - اسبانيا سردينيا - والصقليةitan وقد تصدع هذا التكتل بمعاهدة صلح بال ( PALE ) مع بروسيا .

### ٣ - مجلس المديرين وسياسته

اعطي لقب مجلس المديرين للحكومة التي تسلمت زمام الحكم في فرنسا في الفترة الممتدة من ٢٧ تشرين أول عام ١٧٩٥ الى ٩ تشرين الثاني عام ١٧٩٩ .

وكان هذا المجلس يحكم بمساعدة مجلسين آخرين :

#### مجلس القدماء هـ مجلس الخمسة

وقد التحف مجلس المديرين هذا عاطفة الشعب وسعى الى تثبيت اقدامه بايقاظ روح الوطنية فيه واعلانه انه لن يهادن الملكية وسعى لتأمين تبعية صناديق الدولة الفارغة لمتابعة الحرب كما اذكى في النفوس لهبة التوسع وجعل نصب عينيه بأن الممولين الذين يتميزون باقتدائهم مذاخيل لا تنضب هم القادة المحاربون فانطلق القادة في جبهات متعددة تدفع كلها منهم الى مواصلة الجهد فكرة التنوف على الاقران من بين القادة وفكرة الاستفادة من ذلك في خدمة مصلحته المقبلة وكان من شأن هذا التسابق أن مهد الطريق للدكتاتورية العسكرية التي حل محل مجلس المديرين وقد تحقق ذلك على يد نابليون بونابرت في ٩ تشرين الثاني ١٧٩٩ .

لقد كان نابليون يتوق للقيادة والسيادة ويأبى

أن يكون تحت امرة رئيس وما كان من مواليد كورسيكا فكان يحفره منبته للتطبع جهة ايطاليا وقد كان يتحرق لاستعادة حقوق عائلته في توسكاني ويستعد مع شقيقه جوزيف لاعادة اعتبار قضية قضائية قديمة شغلت بالهما وكانت هذه القضية من جملة الحوافر التي دفعت نابليون ليصبح الامر المطلق في تلك المنطقة . لقد تسلم نابليون قيادة جيش ايطاليا عام ١٧٩٦ وأحرز انتصارات باهرة كان من شأنها أن تثبتت ثقة رجال مجلس المديرين بأنفسهم وجعلتهم يؤمنون بقدرتهم على متابعة الحرب وتوسيع جبهتها .

بدأت طلائع الخوف تغزو نفرا من رجال مجلس المديرين من بونابرت الذي لم يعد يكتفى بتنفيذ ما يسند اليه من مهام وهذا ما حدا بمجلس المديرين أن يلحق كرمان ببونابرت ليكون قائد جيش الالب على ان يبقى نابوليون قائد جيش ايطاليا عندها هدد نابوليون بالاستقالة وانصاع مجلس المديرين لمشيئته وغدا صاحب السيادة المطلقة .

وكانت خطة بونابرت تهدف الى قلب نظام ايطاليا بواسطة الشعب اذ تعمد اثارته وحمله على الانتفاض ضد النمسويين . كما حاز ثقة الجيش بعد أن اسبغ عليه الخيرات مخاطبا اياه بالعبارة التالية : ( لن تستطيع حكومة الكونفانسيون اطعامكم ) .

فاسقودكم اذن نحو اخصب اراضي لومبارديا

فتجدون الزاد والثراء والنعمه الا أن تنظيم بونابرت الداخلي لايطاليا لم تكن حكومة باريس لترضى عنه سيمما وانه اقام حكومة جمهورية فيها تتعارض مع سلطة البابا وقد ألفت حكومة باريس نفسها أمام أمر واقع فلم تقو على تعديله . وقد كان « كارنو » اشد اعضاء مجلس المديرين معارضه لبونابرت فقام واترابه بمساع ازاء النمسا لحملها على طلب الصلح بعد اقناعها باعادة ايطاليا وسلسبورغ اليها .

ولما لم ترق لبونابرت خطة « كارنو » وصحابه قرر السير بحملاته الى قلب النمسا والتوجه بجيشه الى قلب فيينا ليجبرها على الخضوع وقد أرغم النمسا بعد معركة ( ليوبن LEOBEN ) الطاحنة على طلب الهدنة وذلك على اثر انكسار جيش الارشادوق شارل في هذه المعركة وقد ظهر بجلاء أن بونابرت عني بهذه المعاهدة بخدمة اطماعه أكثر من عنایته بجعلها حلقة من حلقات السياسة العامة الخارجية لفرنسا كما أنه لم يقم اي وزن او اعتبار لانتقادات مجلس المديرين وبدأت سياسة بونابرت الشخصية تفعل فعلها في أوروبا وفي فرنسا ذاتها منذ ذلك الحين . ان اطماع بونابرت ورغبتها في تحقيق سياسته دفعته الى تعديل معاهدة ليوبن ونقضها ، وقد أعلن عن تلك الرغبة للنمساويين الذين اعتبروا على الاثر أنهم في حل من جميع تعهداتهم السابقة التي فرضتها عليهم المعاهدة المذكورة .

وقد حاولت النمسا بغيه كسب الوقت ، أن تدعو مؤتمر في برن يضم دول أوروبا ذات الشأن لبحث القضية بدلا من أن يقتصر أمر المفاوضة على

الدولتين المعنيتين لكن بونابرت أدرك أن نية النمسا هي في كسب الوقت لاعادة تجهيز جيشه فلم يعطها المهلة الكافية وهددها باعلان الحرب ولكن أعزوه في حينها تأييد حكومة باريس حيث كان التصدع بين المديرين متفشيا وقد كان بعضهم يخشى تمادي بونابرت وديكتاتوريته الا ان مناصرة باراس ورابوال ( REB WELL ) والجنرال اوجيرو ( AUGEREAU ) الذي عين آنذاك وزيرا للحربية حققت لبونابرت النجاح على كارنو وحزبه الذين كانوا ينتظرون نابليون بالتأثير والخارج على القانون . في حين ان باراس ورابوال جعلا من بونابرت في رددهما على كارنو درع الدستور واتفقا معه على القيام بانقلاب للتخلص من بعض اعضاء الحكومة القائمة وقد حصل ذلك الانقلاب في 4 ايلول سنة 1797 وفدى كان لتدخل نابوليون الاثر الحاسم في نجاح هذا الانقلاب اذ ارسل أحد قواه اوجيرو ( AUGEREAU ) لتولي القيادة في باريس فاحتل المراكز الهامة في المدينة وضمن نجاح الانقلاب بزعامة اعضاء الادارة الاخرين « باراس » « وربوال » ورفيلير ليبو وقد عزز هذا الانقلاب موقف نابوليون كمفاوض مع النمسا واستطاع ان يسيطر على سير المفاوضات ويسرع في انجازها وفق رغباته كما اتسع له المجال للتشدد في مطالبه بوجه النمساويين ووقعت اخيرا معاهدة صلح كامبوفورميو التي ثبتت أقدام بونابرت في ايطاليا حيث جعل منها دولة ترضع لسيطرته كما منعت على النمسا التعرض للجزر اليونية . وما كاد بونابرت يوطد أقدامه في تلك المنطقة حتى راودته فكرة توسيع الجمهورية الايطالية على حساب

بعض المناطق السويسرية فاستولى على « انكون » ( ANCONE ) ل يجعلها نقطة انطلاق له نحو الشرق وقد أعلن بونابرت في آب عام ١٧٩٧ لو خيرنا بين جزر كورفو وزانت وسيفالوني وبين ايطاليا لرددنا ايطاليا الى النمسا ولاحتفظنا بتلك الجزر لأنها كانت في نظره مفتاح غزواته المقبلة .

## ن - بقاء المصراع الانكليزي الفرنسي على أشدّه

أثرت غالبية الدول الاوروبية المقاتلة لفرنسا ان تعقل نزاعها ولو الى حين ما عدا انجلترا التي أبقيت على موقفها العدائى من فرنسا . فقد كان اسطول انجلترا الحربي قوياً منيعاً وكان ازدهار التجارة فيها متحققاً بفضل الاسطول . وعلى الرغم من اغلاق منافذ التجارة بوجه السلع الانكليزية في القارة الاوروبية بسبب الحصار القاري عام ١٧٩٧ فلم يعتر كميات السلع التي بارحت المرافئ الانكليزية سوى انخفاض ضئيل . وقد تمكنت انجلترا بفضل قواها البحرية من دعم مركزها الحربي والحايلولة دون تموين فرنسا بقافلات القمح والمواد الغذائية كما حرمتها من قسم كبير من المواد الاولية الأخرى . وقد كانت انجلترا تعزز اسطولها بقطعات حربية تقتنصها اثناء معاركها فقد غنمته من اسبانيا وفرنسا العديد من القطعات الحربية اضافته الى اسطولها . وقد بلغ من دهائتها أن كانت تعتمد في حربها ضد فرنسا على جيوش الدول الأخرى « كبروسيا والنمسا وهولندا واسبانيا » . فضلاً ( عن أن

الخسائر التي كانت تمنى بها القوى البحرية تعد ضئيلة بالنسبة لخسائر القوى البرية ذلك أن انكلترا حشدت في سنة ١٧٩٤ - ١٧٩٥ خمسة وثلاثون ألف مقاتل في هولندا فخسرت منهم زهاء ستة الاف بسرعة .

وهناك مخاوف عديدة كانت تقلق راحة انكلترا وتقضى مضجعها منها :  
١ = انشغالها باخماد ثورة الانتيل .

٢ = تذمر أفراد بحارتها لضالة مرتباتهم وعدم الثقة في البحارة الأجانب ونسبتهم العشر وكذلك عدم الاطمئنان من البحارة الأيرلنديين ونسبتهم العشر أيضا .

٣ = قيام حركة عصيان في صفوف البحارة في ربيع ١٧٩٧ .

٤ = كان نشاط القرصنة المتزايد في البحار مضافا إلى المساواة الفرنسية يشلان نشاط البحرية الانكليزية التي كانت تضطر لاستخدام قطعها الحربية لمواكبة قافلاتها التجارية .

٥ = كان نجاح الحصار الذي فرضته انكلترا على فرنسا يقضي بالتصدي لسفن الدول المحايدة بغية تفتيشها فكانت تلقى معارضة شديدة من هذه الدول لا سيما روسيا التي كانت تجعل من نفسها درعأ لحماية الزamas القانون الدولي لجهة حرية الملاحة في البحار كما كانت دول أخرى تؤيد روسيا في هذا المضمار

٦ = متابعة انكلترا على دفع تكاليف الحرب والمساعدات التي كانت قد تعهدت بادائتها للدول المتحالفه حيث ناهزت الاحد عشر مليون ليرة استرلينية عام ١٧٩٥ مما اضطرها لانتهاج سياسة القروض واللجوء الى زيادة الضرائب .

٧ = تزايد مخاوف انكلترا من عداء الايرلنديين لها وقد كان يتجسد ذلك العداء في ثورات داخلية .

٨ = استغلال حكومة باريس بشخص الايرلنديين لانكلترا وارسالها حملة بقيادة « هوش » قوامها خمسة وأربعون قطعة حربية عام ١٧٩٦ نحو ايرلندا وانكلترا ولكن هبوب العواصف بعثر قطع الاسطول وحال دون نجاح الخطة .

٩ = سوء الانتاج الزراعي والمحل الذي حل بالحاصلات الانكليزية في سنتي ١٧٩٥ - ١٧٩٦ ونتج عنه غلاء المعيشة وسوء تغذية الفلاحين مما حمل هؤلاء على المنداداة بوجوب عقد الصلح كما كانت هناك فئة لا يستهان بها في انكلترا تنادي بأفضلية الصلح ابقاء على ازدهار التجارة الانكليزية وصناعاتها .

اما بشأن فرنسا فقد الحقت المعاهدة التجارية الافرنسيه - الانكليزية المعقودة عام ١٧٨٦ عجزا بتجارتها كما اعاقت انطلاق حركة الصناعة والتجارة فيها فقام من يطالب بالغاء هذه المعاهدة وقد كان احتلال فرنسا لبلجيكا وهولندا يغذي فيها اهل القضاء على التجارة الانكليزية وقد قال « سيايس » بهذا

المصدق ( لو عقدنا الصلح واحتفظنا « بانفرس والاسكوند فلسينغ » مدة عشر سنوات لقضينا على مركز لندن واهمية التاميز ولا لحقنا بانكلترا من الخسارة ما يفوق حاصل عشر سنوات حرب وربحنا فيها لعشرين معركة ) .

وبناء لما تقدم فقد استن مجلس المديرين سياسة الحظر على البضائع الانكليزية في سائر الدول المحتلة من قبل فرنسا وكان بذلك الوقت على استعداد لعقد الصلح شرط أن يتخلل الاقتصاد الفرنسي من اغلال المعاهدة القاسية وخشية معارضة الملكيين ودرءا لخطار الانتخابات القريبة .

ورغم ادراك انكلترا ان الصلح لن يقضي بالواقع على منافسة فرنسا لها فقد ارادت الظهور بمظهر الراغب في عقد الصلح وانهاء النزاع تجنبًا للمصاعب والمخاوف التي وردت اعلاه .

لقد كان كل فريق يتذرع بحسن النية في الظاهر ويكن للفريق الآخر الحقد والعداء ويود ان يظهره بمظهر المتعنت السيء النية فيحمله عواقب الاخفاق في تحقيق الصلح وبالفعل حقق ما يمكن تسميته بالمهزلة وحضر مندوب انكلترا الى باريس عام 1796 وعرض بعد وصوله اليها بمدة شهرين تقريبا شروطا غير مقبولة بالنسبة لفرنسا ولما لم تؤد المفاوضات بين الجانبين الى آية نتيجة غادر الموفد الانكليزي باريس عائدا الى بلاده . وفي عام 1797 وبعد انسحاب النمسا من الحرب وتوقيعها معاهدة ليوبين « فكرت

انكلترا مجددا باستئناف المفاوضات مع فرنسا ولكن مظاهر عدم الثقة المتبادلة كانت تسود المحادثات كما كان موقف اصحاب الاموال الانكليزية والذين كانوا من دعاة التوسيع الاستعماري ومن مشجعي سياسة مجلس المديرين الاقتصادية أثر فعال في اخفاق المفاوضات . وقد كان لفرنسا يد في هذا الاجماع بسبب تخوفها من تأثير الصلح على سياستها في بلجيكا وهولندا . لذلك ما ان وطد مجلس المديرين دعائمه سياسته في الداخل حتى سارع الى قطع المفاوضات مع انكلترا فبقيت هذه الاخيرة وحدها في الميدان .

### نتائج المعارك العسكرية تحت بونابرت وحكومة المديرين على الاسراع في توجيه حملة مصر

شعر بونابرت عقب توقيع معاهدة الصلح مع النمسا في كمبوفرميو بضرورة ارسال المعاهدة الى باريس للحصول على تصديق حكومة المديرين عليها . وقد كان على بونابرت اقناع الرأي العام الفرنسي بقبول هذه المعاهدة المتضمنة شروطا نعتها البعض بالطيبة اكثر من اللازم بالنسبة للنمسا كما ارسل الى تليران يطلعه على المبررات في نظره لعقد الصلح بالشروط التي كانت موضع نقد من جانب الحكومة وقسم من الرأي العام الفرنسي وكانت تلخص حجج بونابرت في أنه ما دام قد انفرط عقد المحالفه الدوليه ضد فرنسا بخروج النمسا نهائيا يقتضي الاسراع في منازلة غريمة فرنسا الكبرى وهي انكلترا اذ ان كل تأخير في تنفيذ هذا الامر يترك الفرصة لانكلترا لانتزاع المستعمرات الفرنسية والاسبانية والهولندية وختم

بونابرت رسالته بقوله :  
ان من واجب حكومتنا القضاء المبرم على الملكية الانكليزية والا فمصير حكومتنا التدمير على ايدي اصحاب العزلة النشيطين ، من الانكليز بفضل ما يدبرونه من مكائد وأفساد ، والوقت الحاضر هو خير الاوقات لهذا العمل فلنركز نشاطنا بغية التوصل لتدمير انكلترا حتى اذا تم لنا ذلك وقعت اوروبا باسرها تحت اقدامنا .

ان اقتناع مجلس المديرين بصواب اراء بونابرت جعله يصادق على المعاهدة ويتخذ عدة قرارات لتوجيه قوى الجمهورية بأجمعها نحو النضال ضد انكلترا من بينها قرار بتجديع جيش قوي دون ابطاء على شواطئ المحيط بقيادة بونابرت فبدأ توا بتنظيم جيش انكلترا .

ولئن اعتقد الكثيرون بأن اعداد حملة انكلترا في نهاية عام 1797 وأوائل عام 1798 لم يكن يقصد منه سوى ( ذر الرهاد في العيون ) وتحويل انتباه انكلترا من الشرق والبحر الابيض فان الدلائل تشير الى أن هذه الحملة الكبيرة كانت في الحقيقة مشروعًا جديا يؤيد ذلك الاوامر والمراسلات المتعلقة بالاستعدادات البحرية والعسكرية لتنفيذ هذا الغزو كما يتضح من رحلة التفتيش الكبرى التي قام بها بونابرت على السواحل الفرنسية في أوائل شباط 1798 .

استمرت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لتدبير الاموال والاعنة اللازمة ووضع الخطة العسكرية .

بيد أن ضرورة انجازها في أقصر مدة مستطاعة سرعان ما أظهر لحكومة المديرين ولنابوليون عظم الصعوبات التي تعرّض هذا الغزو منها صعوبة الحصول على الاموال الازمة والعدد الكبير من السفن لنقل الحملة وتمويلها كما اتضح لنابوليون على أثر رحلته التفتيشية ان حملة كهذه تتطلب وقتا طويلا من الاستعدادات الهامة في الثغور الشمالية لتنفذ في الوقت الملائم كما جاءت تقارير ضباطه وبحوثهم في المراكز التي تفقدوها تؤيد هذه الحقيقة . كل هذه العوامل حولت تفكير ذوي الشأن في فرنسا عن غزو انكلترا مباشرة في عقر دارها الى غزوها بطريقة غير مباشرة وفي ميادين اخرى فكانت حملة مصر .

## القسم الثاني

### الاسباب المباشرة

تعددت هذه الاسباب واختلفت الاراء بصدقها : فمن قائل ان حكومة المديرين اصبحت تخشى من نفوذ بونابرت بعد انتصاراته الباهرة في ايطاليا وودت لذلك لو انها استطاعت التخلص من هذا القائد (1) بارساله في حملة جديدة تبعده عن باريس فوجدت في تعينه لقيادة الجيش المرسل الى مصر فرصة مؤاتية لتحقيق هذه الرغبة ذلك أن بونابرت منذ انتصاراته في ايطاليا قد ازداد اعتدادا بنفسه فأصبح لا يقنع بمركز الخادم المطيع فحسب مجلس المديرين وان يمهد سبيلا العظمة لغيره من اعضاء هذا المجلس امثال « باراس » (BARRAS ) وكارنو . وفي الواقع فقد كان نابوليون يطمع في أن يكون من اعضاء مجلس المديرين ولكن سنہ التي كانت أقل من الأربعين تحول دون ذلك بمقتضى دستور السنة الثالثة وعلى ذلك فقد فضل التريث حتى يبلغ هذه السن وحتى « تنضج الكهاثري » كما قال : غير أنه لم يكن يرضي أن يبقى خاملا حتى يبلغ السن المحددة في الدستور فينساہ الشعب ، انبرى

بكل قوته لتأييد مشروع الحملة على مصر (١) .  
أما تليران فقد كان يعزو تلك الحملة إلى أن  
اللواء الشاب لم يكن ليقتنع في أن يضيع اسمه بين  
جمهرة القادة بل كان يطمع في أعلاء سمعته بعمل يكفل  
له ذياع الصيت وأنه هو الذي عرض في باريس على  
مجلس المديرين القيام بحملة مصر فأجابه المجلس إلى  
ذلك ومما لا ينكران المتأمل لتلك السياسة يرى من  
خلالها أن حملة مصر لم تكن وليدة التخطيط العام الذي  
ترسمه مجلس المديرين بل كانت حلقة من حلقات  
سياسة بونابرت الذاتية على غرار معاهدتي ليوبن  
وكابوفورميو . وهنا يتسائل المرء عن الأسباب التي  
دفعت بونابرت إلى تدبير تلك الحملة في موسم خصب  
بالانتصارات في إيطاليا ؟

الجواب على ذلك هو أن بونابرت كان يعمل على  
الاطاحة بمجلس المديرين وقد عاد من ميدان إيطاليا  
لينجو من مؤامرة هؤلاء الآخرين مفضلاً العودة إلى  
ميدان السياسة في فرنسا عاملاً على كسب شعبية  
يستمدّها من غزواته تخدمه عند العودة إلى فرنسا .

ويرى البعض أن سبب حملة مصر كان الاستمرار  
في اضطهاد المماليك للرعايا الفرنسيين المقيمين في  
مصر وامعان مجالسون (MAGALLON) في ارسال  
الشكوى من سوء معاملة المماليك إلى حكومة المديرين

(١) الحملة الفرنسية وظهور محمد علي — الدكتور محمد نسوان  
شكري الفصل الثاني .

وقد تضمنت خطاباته التي أرسلها إلى حكومة بلاده فكرة الاستيلاء على مصر ذاتها كخير وسيلة لضمان المصالح الفرنسية في مصر .

### تقرير ( MAGALLON ) ٩ شباط ١٧٩٨ - (١)

- كانت الفوضى المنتشرة في مصر لا تدعو إلى استباب التجارة وكان الفرنسيون على الرغم من اضطراب أحوال هذه البلاد لا يزالون متمسكين بمصالحهم التجارية فيها .

وعندما حضر البارون دي توت إلى مصر برحلة تفتيشية كانت الحكومة الفرنسية كلفته القيام بها ووقف بنفسه على طغيان المماليك وفرضهم المفaram المادحة على التجار الفرنسيين في القاهرة . أشار على حكومته بانتقال مراكز تجارة الفرنسيين من القاهرة إلى الإسكندرية فوافقت الحكومة الفرنسية على ذلك .

الآن إنكلترا لم تتوان فيبذل الجهد والمساعي لدى السلطان في الاستانة لتعطيل مصالح الفرنسيين التجارية في مصر فكان من شأن ذلك أن قويت رغبة فرنسا في الاستمرار في تجارتها وتدعيمها في هذه البلاد . وقد عمد ( VERGENNES ) وزير خارجية فرنسا في سبيل تحقيق ذلك إلى تكليف سفير فرنسا الجديد في القسطنطينية ( CHOISEUL GOUFFIER ) بأن يحصل على موافقة الباب العالي من أجل فتح الطريق البري عبر بربازخ السويس للتجارة الفرنسية فلم ير السفير بدا من الاعتماد على خدمات أحد التجار

CHARLES MAGALLON الفرنسيين المدعو شارل مجالون الذي كان مضى على اقامته في مصر عشرون سنة ونيف وكان يقوم بأعباء الاشراف على مصالح مواطنيه في القاهرة منذ انتقال القنصلية الفرنسية الى الاسكندرية عام 1777 فتوصل بفضل مساعديه الى عقد اتفاقات تجارية عام 1780 بين حكومة البكوات الماليك والحكومة الفرنسية .

الا ان طغيان اثنين من حكام الماليك مراد بك وابراهيم بك وسوء معاملتهم للتجار الفرنسيين حملت هؤلاء الاخرين على غلق متاجرهم في القاهرة والهرب الى الاسكندرية وكان مجالون نفسه على رأسهم وكان لا ينفك يرسل الشكاوى المتتابعة الى حكومة المديرين ويظهر لها عبث الاعتماد على الوسائل السلمية في التأثير على الماليك كما كان يدعوا الى فكرة الاستيلاء على مصر كخير وسيلة لضمان المصالح الفرنسية .

وفي عام 1790 كتب مجالون الى فرنيناك فسي الاستانة أنه لا ينبغي الاعتماد على الفرمانات مهما كانت قوية في تغيير وتحسين مركز الفرنسيين في مصر بل على العكس ستؤدي الى ازدياد خطورة مركزهم وعلى ذلك فاما أن ينتقم لنا الديوان العثماني بشكل حاسم واما أن يططلع على ان الجمهورية ذات قوة تمكناها من تأديب جماعة من الافراد لا يعرفون سوى الكبراء والخيلاء .

وأضاف مجالون اذا كانت الجمهورية تريد

الاهتمام بالتجارة واستغلالها فالواجب يحتم عليها احتلال مصر باكملها .

وقد ارسل مجالون صورة من خطابه هذا الى لجنة العلاقات الخارجية بباريس كما ارسل خطابا آخر عام ١٧٩٥ الى قوميسير هذه اللجنة كولشين (GOLCHEN) جاء فيه : ان فكرة الاستيلاء على مصر كانت موضع تفكير الحكومة الملكية الملغاة لما كانت تعرفه تلك الحكومة من الفوائد التجارية الكثيرة التي يمكن ان تجنيها من فتح هذه البلاد ولم يغفل مجالون في خطابه هذا عن ذكر مزايا الاستيلاء على السويس والسيطرة على البحر الاحمر . كما ارسل في ذات العام خطابا ثالثا بالمعنى المتقدم الى اعضاء (لجنة الخلاص ) في باريس .

## عودة مجالون الى فرنسا وتقديمه تقريره

### التاريخي المشهور الى حكومة المديرين

اجازت حكومة المديرين العودة لمجالون الى فرنسا فوصل الى باريس عام ١٧٩٧ في الوقت الذي ختم فيه الصالح مع النمسا في (كامبوفورمي) التفكير جديا في الاقتصاد من انكلترا وفي هذه الظروف قدم مجالون تقريره التاريخي المشهور الى حكومة المديرين فكان هذا التقرير من جملة المستندات التي استرشدت بها حكومة المديرين عند اتخاذها القرار النهائي بصدّ ارسال الحملة الى مصر بقيادة نابليون بونابرت .

## أسباب الخصام المزمن بين فرنسا وإنكلترا

يتساءل الكثيرون لماذا لم يجد هذان الشعبيان - الانكليزي والفرنسي اللذان يتمتعان بقسط وفير من الذكاء والمدنية - صعيداً للتفاهم وأخmad جذوة الخصام بينهما وعلى هذا يجيب اللورد (CHATAM) . أبان المفاوضات البدائية لصلح باريس عام ١٧٦٣ القى هذا اللورد خطاباً أمام البرلمان في كانون الأول عام ١٧٦٢ قال فيه :

« ينبغي على وزراء جلالة الملك إلا ينسوا مطلقاً هذا المبدأ الأساسي المبدأ الموجه لسياسة بريطانيا بأجمعها بأن الشيء الوحيد الذي تخشاه بريطانيا هو أن ترى فرنسا تصبح قوة بحرية وتتجارية واستعمارية فهل معنى ذلك أن اللورد (CHATAM) كان يغذي روح الضغينة ضد العرق الفرنسي ؟

لا فإنكلترا قد اتبعت ذات الطريقة حيال إسبانيا وهولندا والدانمرك وستتبع ذلك المسار أزاء كل من يريد التقدم والثروة والخروج من حدود بلاده . اذ أنها تعدد ذلك اذى لمصالحها لا تطيق عليه صبراً .

ان هذه السياسة الطافحة بالانانية هي مفروضة على بريطانيا بسبب عزلتها عن بقية أوروبا وبضرورات صناعتها . ولهذا فهي ما برحت تدافع بكل ما أوتيت من جهد عن مبدأ حرية البحار لؤمن تجاراتها وتمون بلادها وقد قال (URQUHARDT) في

مجلس العموم عام ١٧٦٢ :

( اذروا ان البحر يساعدكم وبذات الوقت يهدكم ، فهو يحميكم ولكنه يضرب الحصار عليكم فوضع هذه الجزيرة لا يحتمل حلا وسطا بين ان تكون في منتهى القوة او بأن لا تكون . لهذا فقد كان يسهل اخضاعها الى ان اخضعت بدورها البحر فأصبحت سيدة العالم وستصبح بريطانيا ضحية البحر في اليوم الذي لم تعد فيه ملكته ) .

ولهذا فان بريطانيا تراقب دون هواة وعن كثب العمارت البحرية في جميع البلدان وتعلن بأن اسطولها يجب أن يكون متقدما على كافة اساطيل الدول الكبرى في اوروبا .

فإذا ما وجدت يوما علما ينافسها فلا تتورع من محاربة الدولة العائد لها هذا العلم .

واثباتنا لهذا القول فان الحرب العالمية الاولى التي كان حادث ( SARAJEWO ) عذرا لاعلانها لم تكن في الحقيقة سوى نتيجة للمنافسات التجارية بين المانيا وانكلترا .

ولهذا فان بريطانيا لا تربح الا اذا جعلت من السياسة قضية تجارية فهي لا تهتم سوى بمصالحها المادية وتتجاهل سياسة العواطف فهي تقاتل في سبيل الاولى وليس من أجل الافكار .

تلك كانت حالة اوروبا بوجه عام ازاء فرنسا التي الغت الملكية من دستورها وأعلنت حربا دون هواة على الدول ذات النظام الملكي .

ننتقل بعد هذا الى القاء نظرة خاطفة على حالة مصر قبل مجيء الحملة الفرنسية اليها وعند مجئها .

## الفصل الثاني

### حالة مصر الاجتماعية والاقتصادية قبل هجوم الحملة الفرنسية

استولى العثمانيون على مصر سنة ١٥١٧ وأزال السلطان سليم سلطة المماليك الشراكسة منها وقد وضع هذا السلطان قاعدة النظام السياسي للحكومة وهي :

- ايجاد سلطتين تتنازعان الحكم وتراقب كلتاهمما الاخر :

الاولى - سلطة نائب السلطان (الوالى )  
الثانية - سلطة رؤساء الجناد .  
كما وضع ايضا نواة سلطة ثالثة وهي سلطة البوکوات المماليك بغية حفظ التوازن بين سلطة الوالى ورؤساء الجناد .

ان هؤلاء المماليك هم بقايا الدولتين الالى يهما الحكم في مصر على التوالي فنيفا و٤٦٧ سنة فالاولى هي دولة المماليك البحرية - والثانية هي دولة المماليك البرجية .

وقد أعلنت تلك البقية الباقية من المماليك خصوتها وقد همت طاعتها للسلطان سليم فعين منها حكامًا للمديريات .

ولم يطل الامر حتى بدأ التنازع بين الولاية ورؤساء الجند فاغتنم المماليك تلك الفرصة وأخذوا يعملون على الانفراد بالحكومة وانتهت التنافس بين السلطات الثلاث إلى تغلب سلطة البو匡ات المماليك وكان ذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر وساعدتهم على ذلك الضعف الذي أصاب السلطنة العثمانية في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر بسبب حروبها المتواصلة ضد النمسا .

ولما كانت السلطة الفعلية تمثل آنذاك في «شيخ البلد» الذي هو كبير المماليك ورئيس الحكومة المحلية والباشا (الوالى) لا حول له ولا قوة ، أصبحت ادارة الحكومة العسكرية والمدنية بحكم الطبع منحصرة في يد المماليك .

ان تقهقر السلطة العثمانية وانصرافها الى محاربة النمسا وروسيا خلال القرن الثامن عشر ساعد المماليك على الاستئثار بالحكم والتخلص من تركيا وكان أول من جاهر بهذه السياسة من المماليك المدعو «علي بك» الملقب بالكبير وقد وصل هذا المملوك بقوه اشياعه واتباعه الى مشيخة البلد سنة ١٧٦٣ فلما نشب الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٧٦٨ جاهر بعدم طاعته للدولة العثمانية وأعلن استقلال مصر وامتنع عن دفع الخراج سنة ١٧٦٩ وعزل الوالي التركي وضرب النقود باسمه . وكان من مهاميكه واتباعه

احمد باشا الجزار ومحمد بك ابو الذهب اللذين لعبا  
دورا هاما على مسرح الاحداث .

ولما كان علي بك واسع المطامع طموح النفس  
فقد جرد الجيوش وفتح معظم جزيرة العرب ونادي به  
شريف مكة ( سلطان مصر وخاقان البحرين ) وقد أوفد  
محمد بك أبو الذهب ليفتح باسمه سوريا وما كاد يتم  
له فتح دمشق حتى انقلب على علي بك واتفق مع  
الباب العالي وعاد الى مصر ليستأثر بالحكم فيها .  
فنشبت الحرب بينه وبين سيده علي بك انتهت بقتل  
هذا الاخير سنة ١٧٧٣ وعادت مصر ولاية عثمانية  
وخلصت امارتها محمد بك ابي الذهب الذي استقر  
( شيئا للبلد ) وصدر فرمان من السلطان يثبت محمد  
بك هذا في مشيخة البلد وتوليه حكم مصر وعادت  
تركيا الى ارسال الولاية كما كانت الحالة في السابق .  
الا أن سلطة الوالي ظلت اسمية بسبب استئثار  
محمد بك بالسلطة الفعلية حتى موته سنة ١٧٧٥  
فخلفه في مشيخة البلد ابراهيم بك وقادمه السلطة  
مراد بك .

ثم حصلت فتنة بين المماليك تولى على اثرها  
اسماويل بك مشيخة البلد لكنه لم يلبث فيها الا قليلا  
حيث خلفه ابراهيم بك ومراد بك وعاذا ثانية الى  
اقتسام سلطة الحكم مع الاشارة الى أن ابراهيم بك  
كان شيئا للبلد وكانت له الرئاسة .

جردت تركيا سنة ١٧٨٦ حملة عسكرية بقيادة  
حسن باشا الجزائري لاسترجاع سلطتها في مصر

انتهت بفارار ابراهيم بك ومراد بك الى الصعيد وعاد اسماعيل بك الى مشيخة البلد لكن نشوب الحرب بين روسيا وتركيا صرفاها عن الاستمرار في محاربتهم فعاد حسن باشا الى الاستانة ثم على اثر موت اسماعيل بك بالطاعون سنة ١٧٩١ . عادت السلطة الى ابراهيم بك ومراد بك وتلاشى بجانبهم نفوذ الوالي واستقر ابراهيم بك شيئا للبلد الى ان جاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ .

## ٢ ) الحالة الاجتماعية والاقتصادية في مصر عند مجيء الدولة الفرنسية

كانت مصر تعداد حينذاك ثلاثة ملايين . ينقسم شعبها الى حكام ومحكومين -  
فالمحاصرون : هم فئة المالكين المترافقون عدد المقاتلين منهم بين تسعة وعشرين ألفا مملوك .  
والمحكومون : هم الشعب المصري الذي كان يتالف من عدة طبقات اجتماعية .

كان العلماء ورجال الشرع يؤلفون الطبقة الاولى ولهم تأثير عظيم في نفوس الامة وقيادة افكارها كما كانت لهم الزعامة الادبية والسياسية بين الجماهير .  
ثم تأتي طبقة الملوك والتجار . فكانت فئة الملوك تضم كبار الاعيان الذين عرفوا بسعة الثروة وبسطة الجاه وهم سلالة البيوت المصرية القديمة . أما فئة التجار فكانت اغنى طبقات الشعب المصري .  
واما طبقة المزارعين ( الفلاحين ) والتي تكون

الشطر الاكبر من الامة فكانت في حالة يرثى لها من الجهل والفاقة . والزراعة في تقهقر بسبب حرمان البلاد من منشآت الري كحرمانها من حكومة عادلة توطن الامن وتصون حقوق الافراد .

اما طبقة الصناع فكانت تنتظم في طوائف تشبه نقابات الصناع الحالية يرأس كل طائفة شيخ يسمى (شيخ الطائفة) ولم تكن البلاد تعرف الصناعات الكبرى .

هذا وكانت مصر تقسم من الوجهة الادارية الى ست عشرة مديرية تسمى كل منها (اقليما) وقد كانت القاهرة ولم تزل اكبر مدن القطر المصري ومقر حكومته وعدها في ذلك العصر حوالي ثلاثةمائة الف نسمة (١) .

---

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر للدكتور عبد الرحمن الرافعى بك  
- الجزء الاول = الفصل الاول .

## الفصل الثالث

### تنفيذ الحملة الفرنسية على مصر

أقلعت العمارة من طولون يوم ١٩ ايار سنة ١٧٩٨ وعددها نحو ثلاثة سفن يحرسها اسطول الاميرال برويس ( BRUEYS ) المؤلف من ٥٥ سفينة حربية منها ١٣ بارجة كبيرة احداها السفينسة ( اوريان ORIENT ) وهي سفينة الاميرال التي أقلت وقتل نابليون القائد العام وأركان حربه وبعض العلماء وسلاحها ١٤٠ مدفعاً .

وفي الثاني والعشرين منه انضمت الى الحملة بواخر جنوه .

وفي السادس والعشرين بواخر كورسكا . فرست بجزيرة مالطة بتاريخ ٩ حزيران وكان يحكم هذه الجزيرة طائفة من الرهبان منذ عهد شارلماں يعرفون بفرسان القديس هنا الاورشليمي ثم عرفوا بعد ذلك ( بفرسان مالطة ) .

استولى نابليون بونابرت على جزيرة مالطة بعد دفاع ضعيف ووقع حاكم هذه الجزيرة معاهدة التسليم في الباخرة ( ORIENT ) بتاريخ ١٢ حزيران .

تابع بونابرت تقدمه الى مصر بعد أن نظم حكومة في الجزيرة وأبقى فيها حامية فرنسية قوامها ثلاثة آلاف جنديا بقيادة الجنرال ( VAUBOIS ) لتوطيد سلطة فرنسا في الجزيرة والدفاع عنها وقد استعراض بونابرت عن هذه الحامية بألفي جندي من المالطيين ضمهم الى جيشه ورافقوه الى مصر فالآف منهم ( الكتيبة المالطية ) .

أما عدد افراد الحملة فكان ٣٣٠٠ مقاتلاً كما  
ضمت نصف ومائة وعشرين عالماً بينهم ( MONGE و  
BERTHOLLET ) حتى أمكن القول بأنها كانت بعثة  
علمية بقدر ما هي حملة عسكرية .  
وقد كان الجنرال ( BERTHIER ) رئيس أركان  
حرب الجيش .

- والجنرال ( CAFFARELLI ) قائد سلاح الهندسة .
- والجنرال ( DOMMARTIN ) قائد المدفعية .
- والاميرال ( BRUEYS ) قائد الاسطول .

اقفلت العمارة الفرنسية من مالطة في ١٩ حزيران فوصلت الى شاطئ الاسكندرية في أول تموز وكان قد جاء الاميرال نلسون - البريطاني بأسطوله الى هذا المكان قبل ذلك بثلاثة أيام يفتش عن البوادر الفرنسية ثم عاد ادراجها متابعة التفتيش عنها في أماكن أخرى . وما ان علم نابليون بذلك حتى أمر بأن تتم عملية انزال الجيوش الى اليابسة في هسأء النهار نفسه خشية من أن يهاجمها بفترة الاسطول البريطاني الذي يجد في أثرها . وقد لاقى الجنود الفرنسيون

مصابع جمة في النزول الى القوارب لشدة هيجان البحر حينذاك حتى ان تسعه عشر جنديا قضوا غرقا تحت ستار المظلام . الا انه قبل المباشرة بالنزول الى اليابسة - تلي في كل عمارة بحرية على مسامع ركابها أمر نابليون الآتي :

« ايها الجنود انكم توجهون الان ضربة مؤلمة الى بريطانيا ريثما توجهون اليها بعد هذه الضربة القاضية . واني مؤمن بالنجاح فيما شرعنا به . وسنفني المماليك الذين أهانوا فرنسا بعد بضعة أيام . وأعلموا ان المادة الاولى للشعب الذي ستعيشون بينه هي ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) فسلا تعاكسوهم في معتقدهم . وأعلموا أن النهب يحرق الجيش وأن المدينة التي هي الان امامكم وغدا ستحتلونها قد بناها الاسكندر » .

تملك الرعب قلوب سكان الاسكندرية حينما رأوا على ضوء القمر مئات البوادر قد وصلت الى شاطئ مدinetهم دون أن يكون لديهم ادنى علم في الامر . وكان أول من وصل الى اليابسة الجنرال ( MENOУ ) في الساعة التاسعة مساء في حالة ( MARA BOUT ) أما نابليون فلم يصل الى البر الا في الساعة الواحدة بعد نصف الليل حيث أمر في الساعة الثالثة بجمع من وصل الى اليابسة من الحملة حيث بلغ عددهم ٤٥٠٠ مقاتل لانه وجد من الضرورة احتلال نقطة عسكرية فجأة دون اللجوء الى النيران وبماشر بالتقدم لتحقيق بغيته .

الا أنه في الساعة الواحدة بعد نصف الليل نمى الى قائد مدينة الاسكندرية المدعو كريم بأن عدوا قد

احتل قلعة هارابوت وان البحر مغطى بمراكبه  
والشاطئ اسودا لكثره ما عليه من الرجال .

سارع كريم هذا بتوجيهه رساله الى هراد بك في  
القاهرة يطلعه على الخبر وكان اسلوب رسالته يلقي  
الرعب في النفوس فقد قال فيها ( ان العمارة التي  
حضرت هذا اليوم مراكب عديدة ما لها أول يعرف ولا  
اخر يوصف فبالله ورسوله ادركونا بالرجال ) (١) .

ثم امتطى جواده وسار على رأس عشرين مملوكا  
فاللتقي بسرية رماة تقوم بمهمة حماية جانب الحملة  
فأغار على قائدتها وأطاح برأسه وجاء به الى  
الاسكندرية يعرضه ظفرا . وتألب البدو على خيولهم  
من كل حدب وصوب لسلب هذا العدو الجديد وكم كان  
سرورهم عظيما عندما لم يروا مع الغزاوة خيولا . حيث  
كانت لا تزال بعد في المراكب - فكانوا يغيرون على  
جناح الجيش ومؤخرته فتوصلوا الى أسر اثني عشر  
فرنسيا أعجبوا ببشرتهم . ورغم كل هذه العقبات  
فقد توصل نابليون الى خرق جدار المدينة وقد جرح في  
هذه الاثناء الجنرال ( KLEBER و MENOU )  
الذين كانوا يقومان بالانقضاض أمام قواتهما .

أرسل نابليون ضابطا تركيا يعلم شيوخ المدينة  
وعلامها ووجهاءها بأنها معرضة للخراب في حالة  
ابداء اية مقاومة فأعلن الجميع خضوعهم للفاتح  
الجديد . فدخل نابليون مدينة الاسكندرية ونزل في  
مسكن قنصل فرنسا ، وقبل وصوله أطلق عليه أحد  
جنود الاتراك من نافذة أحد المنازل النار فأخطأه ولكن

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر ج ١ الفصل الرابع .

حرس القائد العام قبضوا على مطلق النار في الحال .  
وقد كانت خسارة الفرنسيين في معركة الاسكندرية  
ثلاثمائة جندي بينما خسر الاتراك والهماليك ثمانمائة ،  
أما كريم قائد المدينة فقد التجأ إلى منارة  
الاسكندرية فحُوصر فيها وبعد مفاوضات استغرقت  
طوال الليل أُعلن استسلامه وخضوعه إلى القائد  
الفرنسي وأقسم اليهين على ولائه له فقضت حنكة  
نابليون بالصفح عنه رغم قتله قائد السرية الفرنسي  
وعهد إليه أمر السكان لحملهم على الخلود إلى  
السكينة ففعل أذ أنه كان ذا صولة وبطش يرهبه  
أهل الاسكندرية وجوارها .

وفي مساء ٢ تموز أمر قائد الحملة بتعليق مناشير في الاسكندرية كتبت باللغة الفرنسية والعربية والتركية وهذا نصها :

« الى القضاة والشيوخ والعلماء والائمة والشعب المصري . أن البقوات يهينون فرنسا هنذ وقت غير قصير وأن ساعة أدانتهم قد آتت ، والله الذي يجري كل شيء بأمره قال : أن عهد المماليك قد انتهى .

فأن قيل لكم بأنني جئت لانتقام من الإسلام فأجيبوا : أنني أحب الرسول والقرآن وما جئت إلا لاعيد حقوقكم إليكم ، فأسعد الناس من يعلن انه معنا ، والسعيد أيضا من يلزم الحياد ولهؤلاء الوقت الكافي بأن يتعرفوا علينا ، والويل من تحدثه نفسه بحمل السلاح ضدنا ، أنهم يفنون ، وسنحاكم عسكريا كل قرية تظهر لنا العداء ، فترقى أن لزم الامر ، أن الشيوخ والائمة وأئذنهم أمنون حيث كانوا » .

وقد سطّر نابليون رسالة إلى الباشا حاكم القاهرة كلف بنقلها ضابطاً من الاتراك هذا نصها : « طالما طالبت الحكومة الفرنسية الباب العالي بمعاقبة بقوات مصر فكان جوابه :

أن المكوات جشعون ومتمردون وينزع عنهم حمايته وقد أرسلت فرنسا جيشاً عرماً لتأديبهم فأت اذا ملقاتي » . احتاج نابليون لنقل العتاد والذخيرة والمؤن إلى خيول وجمال وما كانت موارد الاسكندرية لا تكفي لهذا الغرض اضطر مصالحة أمراء القبائل المجاورة وعقد اتفاق معهم فعهد إلى كريم لتسهيل الامر . سارع كريم هذا بأيفاد رسلاً إلى شيوخ القبائل فأتاه ثلاثة شيخاً من قبيلة هنيدى وأولاد على فقدمهم إلى قائد الحملة وجرى الاتفاق بينهم وبينه وتعهدوا بابقاء طريق الاسكندرية - دمنهور حرة حتى للأفراد العزل وتقديم ثلاثة جواداً وخمسين جملًا مقابل ثمنها وتقديم ألف جمل على سبيل الإيجار في مدة لا تزيد عن ٨ ساعـة وقبضوا رعبونا قدره ألف ليرة ذهبية وتعهدوا أيضاً باعادة الاثنى عشر اسيراً قدموا في اليوم التالي قسماً منها على أن يقدموا ما تبقى في الأيام المقبلة القريبة .

و قبل أن يتحرك الجيش من الاسكندرية أرسل نابليون أمراً إلى الاميرال قائد الاسطول بأن يدخل البوادر والمراكب إلى ميناء الاسكندرية . فأبقيت في نفس المكان رغم أوامر نابليون الصريحة بشأنها (أي في مرفأ أبي قير ) . سارت الحملة بسيطر القاهرة بعد أن قسمت خمس

فرق كل فرقة بقيادة أحد القادة الآتية اسماؤهم :  
( DESAIX و DUGUA و BON و REYNIER و VIAL )  
وبقي الاحتياط بقيادة ( MURAT ) وكانت المدفعية  
التي ترافق هذه القوة ۲۴ مدفعا لأن البقية قد تركت في  
الاسكندرية للدفاع عن مينائها وقد انيط الدفاع عنها  
إلى الكولونيل ( CRETIN ) من سلاح الهندسة وقد  
كان مجموع الحملة ۲۱۰۰۰ مقاتل بينهم ۶۰۰ بحريا  
بقيادة الاميرال ( PERREE ) تمخر النيل مواكبة  
المشاة . وبقي الجنرال ( KLEBER ) حاكما للاسكندرية  
وضواحيها لعدم تمكنه من الاشتراك مع الحملة بسبب  
جراهه وبقي معه تسعه آلاف مقاتل للدفاع عن  
الاسكندرية .

وبينما كان البدو على أهبة تقديم ما تبقى عليهم  
من خيول وجمال تلقوا فتوى من علماء القاهرة  
وسيوخها يدعونهم للمبادرة إلى حمل السلاح والوقف  
في وجه العدو الذي يهدد الاسلام فعليهم الدفاع عن  
الدين فأنكرروا المعاهدة وأعلنوا لكريم بأن تهديد الدين  
يحملهم على عدم الاعتراف بالمعاهدة وانهم يناصبون  
العداء الذي تعاهدوا معه وباشروا بالفتنة وكانوا  
يواكبون الحملة الفرنسية كأنهم حماة الجوانب  
والمؤخرة ويلازمونها ملازمة المظل طمعا في سلب مقاتل  
ضل طريقه أو أعياه التعب فتوقف عن اللحاق برفاقه  
وبات من العسير أن يترك أحد أفراد الحملة الصحف لاي  
سبب كان فينحرف يمنة أو يسراه ولم تحدث أحد  
منهم نفسه بالتأخير فيكون بانتظاره الموت المحتم  
وكانت المؤن والذخيرة تسير بين الصفوف محافظة  
عليها من النهب .

لقد لاقى الجنود الامرين اثناء سيرهم . فالملياه  
قليلة . ناهيك عن عذاب الحر وفقدان الظل فكادوا  
يستسلمون الى اليأس لولا وعود نابليون لهم بأن  
القاهرة جنة من جنан الارض ينسون فيها التعب .

سر بقوات مصر عندما علموا بأن الحملة التي  
احتلت الاسكندرية وتتابع سيرها الى القاهرة لا تملك  
خيولا وتعالت اصواتهم فرحا وسرورا واضيئت القاهرة  
ابتهاجا قائلين لبعضهم : ( ان العدو القادم هو  
بطيخ للقطع ) وامتنع احدهم جواده وسار على رأس ( DAMANHOUR )  
٧٠٠ مملوكا ملاقاة العدو في دمنهور ( DAMANHOUR )  
وتأخير سيره فاصطدم بهم في المكان المذكور وكم كانت  
بغتتهم عندما انهال عليهم الرصاص وقد لاقى القسم  
الجريء منهم حتفه على أسنة الحراب . ولما علم مراد  
بك بهذا الانهزام العاجل نعتهم بالجبن وتقديم على  
رأس ثلاثة آلاف مملوكا وألفين تركيا . يواكبهم ستون  
مركبا وجمع حواليه جميع عرب الفيوم وتبعه ابراهيم  
بك بقوة تفوق قوته ولما وصلت هذه القوات الى  
( CHOBRÂKHYT ) شوبراكيت عسكرت فيها وبشرت  
بتحصينها . ولكن ما كاد نابليون يعلم بنوايا المماليك  
حتى سارع ملاقاتهم قبل أن يكون مراد بك متسع من  
الوقت لتحسين القرية ونظم جيشه استعدادا لبدء  
المعركة .

بقي الجيش - الجيش الفرنسي والمماليك -  
ينظر أحدهما الى الآخر بضع ساعات لأن الفريق الاول  
كان ينتظر وصول مراكبه ولكنها لم تصل بسبب عدم  
هبوط الارياح فبقيت في معزل عن المشاة وما كاد

الهماليك يغيرون على خيولهم ويشقون صفوف العدو حتى انهال الرصاص من كل جانب فخسروا عددا كبيرا وما رأى مراد بك ما حل بجيشه من الخسارة والفوضى فكر بالانسحاب سريعا لينتظر العدو على ابواب القاهرة .

جمع الهماليك كل قواهم أمام القاهرة . وتمركز مراد بك على ضفة النيل الميسرى ومعه عشرة آلاف مقاتل من الهماليك والاتراك . وبقي ابراهيم بك على الضفة اليمنى ومعه الاحتياط والاموال والنساء وبقية ثروة الهماليك حيث يكون على استعداد تام للدخول الى القاهرة أو للهرب الى سوريا وفقا لما تضمنه نتائج المعركة . وفي ٢١ تموز وصلت الحملة الفرنسية الى سهول الاهرام فأصدر نابليون أمره بانتظار العدو وعدم فتح النار الا على مسافات قريبة ورسم خطة ، بحيث تساعده على القاء اكبر عدد من الهماليك في النيل حيث لا يجدون غيره مفرا وسرعان ما حققت فكرة نابليون اذ ما كاد الهماليك يغيرون كعادتهم حتى وجدوا حاجزا ناريا وكيفما اتجهوا يصلون نارا فتراجع عدد كبير منهم الى الصحراء وقسم سقط في النهر وانسحب مراد بك الى مصر العليا أما ابراهيم بك فلما علم ما ألت اليه الحال أضرم المراكب التي كانت تقل ثروة مصر كي لا يغنمها العدو وتوجه مسرعا نحو سوريا . وكانت خسارة الهماليك ستمائة مقاتل ما عدا ألفا منهم قضوا غرقا . في هذه المعركة قال : نابليون لجيشه وأشار الى الاهرام ( ايها الجنود أربعة الاف عام تنظر اليكم ) .

وقد كان للرسالة التي بعثها نابليون الى حاكم

القاهرة أثر كبير في أوساط العاصمة المصرية فما كاد يكتب له النصر في معركة الأهرام حتى سارع إليه وفد من شيوخ القاهرة وعلمائها إلى الجيزة حيث كانت المدينة تنتظر عودتهم بفارغ الصبر فشكروا القائد العام على حسن ملاقاتهم وأعلنوا خصوّعهم للسلطان الكبير ، هكذا كان البدو يلقبون نابليون ويعرفونه بهذا الاسم . ثم دخل الجنرال ( DUPUY ) إلى القاهرة وعين حاكماً عليها . وعلق في جميع أنحائها المنشور الآتي وهذا نصه :

« يا أهل القاهرة . أني مسرور من تصرفكم . وما جئت إلا لقطع دابر المماليك وحماية التجارة . فليطمئن ذوق المخاوف منكم . ولتقام الصلاة اليوم كما اعتاد فلا تنازعوا شيئاً على عيالكم وبيوتكم وأملاككم وخاصة بيكم الذي أحبه » .

وخصص نهاري ٢٢ و ٢٣ تموز لاستقبال اعيان القاهرة في الجيزة حيث كانوا يفدون لأنّ علان خصوّعهم للفاتح الجديد . وقد استخدم نابليون في تلك الائتماء جل حذكته بحسن الحفاوة للوفود لكسب ثقتهم وكذلك مقدرة المترجم المدعو ( VENTURE ) كانت من العوامل التي حملت الجميع على تقدير السلطان الكبير ولا يخفى أن هذا المترجم قد قضى أربعين عاماً في تركيا ويعد أول مستشرق أوروبي . وفي الخامس والعشرين من تموز دخل نابليون القاهرة ونزل في حي الأزبكية .

### الإنكليز والحملة الفرنسية

لم تكن بريطانياً تدرك شيئاً من غرض

استعدادات الفرنسيين في بادىء الامر وكانت تخشى أن تكون هي بالذات هدفاً لهذه الاستعدادات وكان اسطولها مرابطاً في البحر بقيادة : JERVIS BART ( SAINT VINCENT ) على مقربة من مدينة كاديكس الأسبانية وهي مرفأ حربي على الأطلنطيك وعلى مقربة من مضيق جبل طارق إلى الشمال .

أوعزت الحكومة البريطانية إلى سنت فنسنت هذا بالمراقبة عند جبل طارق كما كلفته ب اختيار أحد الضباط الكفاءة لتقسي حركات الأسطول الفرنسي في البحر الأبيض وقد اختار VINCENT لهذه المهمة الاميرال (HORACE NELSON) هوراس نلسن ولم يكن فنسنت وحده المسؤول عن هذا الاختيار فقد كتب إليه الاميرالية تشير إلى اختيار نلسن على اعتبار انه أكثر خبرة ودرائية بالبحر الأبيض من غيره وما هو مشهود له بالكفاءة والنشاط .

ومع أن اختيار نلسن أثار امتعاضاً بين الضباط الآخرين من الرتب العالية والذين اعتقدوا من حقهم القيام بهذه المهمة فقد دلت الحوادث على أن اختيار نلسن كان اختياراً موفقاً في النهاية .

اجتاز نلسن مضيق جبل طارق بغيضة جمع المعلومات الكافية عن حركة الأسطول الفرنسي ولكنه لم يوفق في العثور على العمارة الفرنسية فاستطاع الفرنسيون الاستيلاء على مالطة والافلات من مراقبته . عندها كتب نلسن إلى القنصل الانكليزي في الاسكندرية « جورج بلدوين » أنه لما لم تكن صقلية هدف الفرنسيين فالمعتقد ان غرضهم الاستيلاء على ميناء من موانئ مصر ثم الاستقرار عند رأس البحر

الاحمر حتى يمكنهم ارسال جيش عظيم الى الهند وهناك يستطيعون بالعمل سويا مع ( تبو صاحب ) ، الذي هو اخر نباب في الهند ومشهور بعدائيه لبريطانيا ، طرد الانكليز اذا أمكنهم من الهند .

كما طلب نلسن من بلدوين ان يمده بالاخبار عن اية استعدادات تقام في مصر لاستقبال الفرنسيين او عن اعداد اية سفن في السويس لنقلهم في البحر الاحمر . صمم نلسن على الاتجاه صوب الاسكندرية بناء على المعلومات التي حصل عليها في الموانئ التي زارها في نابولي وصقلية ولكنه وجد لدى وصوله الى الاسكندرية ان بلدوين القنصل الانكليزي قد غادرها منذ ثلاثة أشهر كما أنه لم يشاهد العمارة الفرنسية هناك . عندها غادر نلسن الاسكندرية متوجها شطر الشواطئ الآسيوية ثم هم على مقربة من شاطئ كريلي الجنوبي ثم عاد الى شاطئ صقلية وكاد اليأس يمتلكه فأبحر الى ( MOREE ) وهناك علم بأن الاسطول الفرنسي قد غادر شاطئ كريت منذ أربعة اسابيع فأسرع حينذاك نلسن صوب الاسكندرية وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر أول اب سنة 1798 شاهد الاسطول الفرنسي رابضا في خليج أبي قير .  
كان الاميرال الفرنسي ( BRUEYS ) وضباطه على المائدة حينذاك وقسم من الملحين والقوارب في الاسكندرية او على الشاطئ في أبي قير .

### معركة أبي قير البحرية

اعتمد نلسن خطة محكمة لهاجمة الاسطول الفرنسي الذي حصر بين نارين وصب على بargee

**القيادة الفرنسية** ( أوريان ) نيران شديدة فأصيب قائدتها ( CASABIANCA ) ثم أصيب الاميرال برويس بجروح بليغة في رأسه وفي جسمه أودت بحياته . ودامت المعركة الى ظهر اليوم التالي اسفرت عن تدمير الاسطول الفرنسي ومقتل أربعة الاف من بحارته ( ١ ) هذا ولم يساهم الاميرال ( VILLENEUVE ) في القتال متذرعاً بحججة أنه كان بانتظار إشارة من الاميرال ( BRUEYS ) الذي قتل في حين انه كان في أزمة لا حاجة لاعطاء مثل هذه الاشارة للمساهمة في القتال . لقد دفع الاميرال ( BRUEYS ) أعلى شيء عليه وهي حياته - لخطأه وعدم تقديره بأوامر القائد العام اي بابقاء العمارة في أبي قير وعدم اخذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عنها .

وكذلك لانه لم يعين من يقوم بدوريات استطلاع الى الادريatic .

اما نلسن فقد أصيب بجروح بليغ في أثناء المعركة وقد بقي حوالي الأسبوعين في أبي قير وفي ١٩ آب أبحر الى وارسو ( ٢ ) .

أرسل نلسن أنباء هذه الهزيمة الى لندن والى بمباي في الهند والى القسطنطينية معلقاً أن هذه الهزيمة انما هي مصلحة السلام والامن في اوروبا وفي

( ١ ) تاريخ الحركة القومية في مصر ج ١ الفصل الثامن .

( ٢ ) NELSON VOL III

المهند بعد أن أصبح من المتعذر ارسال حملة فرنسية من السويس الى الهند على متن هذا الاسطول الذي دمر القسم الكبير منه كما حدث الباب العالي على استرجاع مصر بأساليه البارج والجيوش لتحطيم سفن العدو الباقيه واستعادة الاسكندرية كما صادر كافة رسائل بونابرت المرسلة الى فرنسا .

### أسباب الهزيمة

ترجع أسباب هذه الهزيمة الى عدم مهارة الفرنسيين البحريه وتفوق انكلترا عليهم في هذا المضمار كما تعود الى نقص تدريب البحريه الفرنسية والى اهمال من قادتها . الا أنه من الواضح أن بقاء الاسطول الفرنسي في الشواطئ المصريه بدلاً من الذهاب الى كورفو هو السبب الأساسي في تعريضه لهذه الكارثه .

### صدى نبأ هزيمة ابي قير في باريس

كتب تليران على أثر سماعه نبأ الكارثة الشنيعة التي حلت بالاسطول الفرنسي الى ( SIEYES ) في ١٥ أيلول ١٧٩٨ متسائلاً : ماذا كان يفعل الاسطول في الاسكندرية بدلاً من الذهاب الى كورفو كما كان المتفق عليه فينتظر في كورفو أوامر الحكومة وحيث يستطيع الوصول اليها من غير مشقة ٦٦٦

## - مسؤولية بونابرت في كارثة أبي قير ودججه - بونابرت ومرسى الاسطول

لقد احتفظ نابليون لنفسه مع اعضاء حكومة المديرين أثناء الاستعدادات للحملة المزمعة على مصر بسرية هدف هذه الحملة . كما تم الاتفاق بين بونابرت وحكومة المديرين قبل اقلاع الحملة من طولون ( TOULON ) عما يجب اتخاذه بمجرد انسزال جيش الحملة الى البر في الشواطئ المصرية وعلى عدم بقاء الاسطول في المياه المصرية بل الذهاب عند الفراغ من انسزال الجيش الى كورفو للاحتماء بها من شرور الاسطول الانكليزي الذي كان من المترقب أن يجد في البحث عن الاسطول الذي يقل الحملة الفرنسية في البحر المتوسط .

ويعود السبب في الاتفاق على المكان الذي يصبح التجأ الاسطول الفرنسي اليه بعد انسزال ( جيشين الشرق ) في مصر فهو أن اعضاء حكومة المديرين لم يكونوا جميعهم مقتنعين بنجاح الحملة . فقد لاحظ أحد اعضاء هذه الحكومة وهو REVELLIERE LEPEAUX أن سيطرة الانكليز البحرية تجعل اجتياز البحر الابيض من أشد الامور خطورة وتهدد الجيش بمجرد نزوله الى البر بالعزلة التامة . وقد تم الاتفاق على اختيار كورفو ( CORFOU ) وهي أحدى الجزر الاليونية في بلاد اليونان مكاناً امناً لالتجاء الاسطول الفرنسي

اليه . ومن المحتمل ان يكون بونابرت هو الذي اشار الى كورفو لما لهذه الجزيرة من أهمية كمركز استراتيжи ولانها لا تبعد كثيرا عن مصر وقريبة في الوقت نفسه من فرنسا ومن حكومة المديرين التي تستطيع في هذه الحالة من ارسال اوامرها الى نابليون من طريق ( ANCONA ) وهي مرفأ في ايطاليا يقع على بحر الادرياتيك فتحمل هذه الاوامر الى مصر قطع الاسطول الموجودة في كورفو ويظهر أن الذي حمل بونابرت على اقتراح ( CORFOU ) كان تهدئة روع LAREVELLIER أعضاء حكومة المديرين وعلى الخصوص

LEPEAUX ) والحصول على موافقتهم لانه

كان من غير المعقول بتاتا أن تعرض فرنسا زهرة شبابها وصفوة علمائها والبقية الباقية من أسطولها الى أشد المخاطر من غير اتخاذ الحيطنة الكاملة وقد كانت المحافظة على سرية الحملة من جهة ثم الاتفاق على مكان أمين لالتجاء الاسطول اليه بعد الفراغ من مهمته من جهة أخرى من وسائل هذه الحيطنة .

الآن بونابرت منذ وصول الحملة الى الشواطئ المصرية لم يكن فقط قد ترك ظاهريا مسألة ذهب الاسطول الى كورفو بل ويريد نهائيا استبقاءه في المياه المصرية لأن بونابرت كان بحاجة الى الاسطول الذي كان يحمل مقدارا من المدفعية والمعدات التي لم تنزل الى البر ، كما أن ابعاد الاسطول عن الشواطئ المصرية يجعل الاتصال بين الجيش والاسطول عسيرا لوجود الاسطول الانكليزي في البحر الابيض . أضف الى ذلك أن بونابرت لم يكن قد سيطر بعد على الموقف تماما في مصر فاذا حللت

الهزيمة بالجيش او حالت صعوبات غير متنبأة دون تقدمه واضطر الى الارتداد الى الشاطئ فماذا يفعل اذا لم يجد الاسطول ؟ كما أن بقاء الاسطول على الساحل المصري حماية لمدينتي الاسكندرية ورشيد الخاليتين من أية تحصينات ولا تستطيعان الدفاع ضد الغزو الاجنبي وضد الاسطول الانكليزي وزيادة على ذلك فقد كانت هنا كر غبة نابليون نفسه في العودة سريعا الى فرنسا ذلك انه عندما تقرر ارسال الحملة الى مصر لم يكن معنى ذلك اهمال الحملة الكبيرة ضد انكلترا والتي كان بونابرت يمني النفس باستلام قيادتها .

لجميع هذه الاسباب بقي الاسطول الفرنسي في المياه المصرية الا ان بونابرت كان قد امر الاميرال ( BRUEYS ) عند مغادرته الاسكندرية بوجوب ادخال السفن ميناء الاسكندرية .

وبتاريخ ٢٦ آب تلقى بونابرت خبرا مؤرخا في ٣٠ تموز مفاده أن العمارة الفرنسية لا تزال ترسو في مرفأ أبي قير فاغتاظ لهذا الخبر وأرسل مرافقه الكابتن ( JULIEN ) للاستفسار عن أسباب تأخر ( BRUEYS ) في تنفيذ أوامر القائد العام ووجوب ادخال السفن الى ميناء الاسكندرية غير أن ( JULIEN ) قتله الاعراب قبل وصوله الى الاسكندرية ونهبوا الحقيبة التي كانت تحتوي على أوامر بونابرت بصدق الاسطول .

وبتاريخ ١٩ آب تسلم بونابرت نبأ الكارثة التي حلت بالاسطول فما كان من بونابرت الا ان استشنط غيظا قائلا :

« عندما وصلت الاسكندرية تمنيت لو أن الحظ يحفظ العمارة لمدة خمسة أيام فوافقت القدر على مدة شهر ولكن الاميرال ( BRUEYS ) لم يضيع الاسطول بما من في ميناء الاسكندرية ولم يكن يستلزم هذا العمل أكثر من ست ساعات . أن القدر الذي لا يقهر يلاحق بحريتنا وسيكون لهذه الكارثة نتائج حاسمة في القريب والبعيد » .

هذه هي أسباب الحملة الفرنسية التي وجهت بقيادة نابليون الى مصر وهذا هو قسم من وقائعها سنشرع بدرس آثار هذه الحملة في كافة الحقوق مستهلين هذه الآثار بنتائج معركة أبي قير البحرية :

## الفصل الرابع

### آثار الحملة

#### ١ - آثار معركة أبي قير البحرية ونتائجها بوجه عام .

لقد كانت نتائج هذه الهزيمة حاسمة اذ انهما عطلت نهائيا مشروع ارسال الحملة المرتقبة الى الهند ثم قضت في النهاية على الحملة الفرنسية ذاتها في مصر ذلك أن قطع المواصلات بين مصر وفرنسا أدى الى التجاء الفرنسيين للاعتماد على موارد البلاد الداخلية اعتمادا كلية مما أدى الى نشوب الثورة في القاهرة وأثراء الاضطرابات في الاقاليم فانعدم بسبب ذلك وجود اي مجال للتعاون بين الفاتحين وأهل البلاد وفشلت سياسة نابليون الاسلامية وكان من نتائج هذه الهزيمة أن أقدم الباب العالي على الانضمام الى انكلترا وروسيا ضد فرنسا واشترك في الحملات التي أرسلت لطرد الفرنسيين من مصر واستمر النضال حتى اخلى الفرنسيون البلاد وكان معنى جلاء الفرنسيين اخفاق مشروعهم الاستعماري في الشرق وفي مصر ، ذلك المشروع الذي كان الهدف من تحقيقه هو التغريض عن الخسائر التي لحقت بفرنسا في مستعمراتها في

الانجليز وجزر الهند الغربية .

لقد تلاشت هذه الآمال في معركة أبي قير إذ قضت هذه المعركة على البحرية الفرنسية وضمنت لإنكلترا السيادة على البحار وأحيطت آمال الدول الملكية التي قهرتها فرنسا في ميادين القتال وانتهت إنكلترا فرصة انتصارها على ظهر البحار لتجذب إليها الدول الموتورة وانضمت روسيا إلى تلك الدول وعقدت محالفه جديدة مؤلفة من إنكلترا والنمسا وروسيا وتركيا ونابولي لحاربة الجمهورية الفرنسية وتمكنـت إنكلترا من أن تحمل الباب العالي على اعلان الحرب على فرنسا والانضمام إلى روسيا عدوته التاريخية وفتح البحر الأبيض للبواخر والقوات الروسية . كما قامت الثورة في مالطة ضد الفرنسيين وتحرج مركز فرنسا بسبب هذا التكتل الذي أقامته الدول الملكية ضدها (التحالف الثاني ) فكانت معركة أبي قير نذيرا بضياع فتوحاتها في القارة الأوروبية والبحر الأبيض المتوسط ( وسنرى تفصيل ذلك عند الكلام عن آثار حملة بونابرت على الصعيد الدبلوماسي والعسكري ) . ولهم كان وقع هذه المعركة إليها في نفوس الجنود الفرنسيين لأنهم أدرکوا أن المواصلات قد انقطعت بينهم وبين فرنسا وكان وقع الكارثة أشد على جنود الإسكندرية والسواحل المقربة حيث شهدوا آثارها عن كثب : فالمستشفيات تغص بالجرحى والشاطئ يحصن بقايا العمارة المحطمة والبواخر الانكليزية تمخر عباب اليم فتلقى الرعب في القلوب .

أثرت كل هذه العوامل في روح الجنود المعنوية غفزا نفوسهم اليأس وكان من نتائج هذه الواقعة أن

ضعضعت هيبة فرنسا في جهات الاسكندرية  
وجوارها وشجعت أهاليها على الثورة .

كما شدد الاسطول الانكليزي الحصار على  
الشواطئ المصرية فقطع المواصلات التي كانت مصدر  
ثروة الاسكندرية ونسب معين الجمارك فشعر أهل  
الاسكندرية بالحرج والضيق وزاد سخطهم على  
الاحتلال الفرنسي .

في هذا الظرف الحرج المشحون بالأحداث جاء  
بونابرت بفكرة تأسيس المجمع العلمي المصري بعد  
أن وصلته انباء كارثة تحطيم العمارة الفرنسية في  
مرفأ أبي قير وقطعت كل صلة بينه وبين فرنسا  
وتركته وجيشه منعزلين في مصر .

وفي الوقت الذي تلقى فيه الجند نبأ الكارثة  
بأنهيار في العزم قابله بونابرت بالجلد والعزم  
فأسس المجمع العلمي ليجد من خبرة اعصابه  
وكفاءتهم ما يجعله يكتفي بموارد البلاد ( وسنأتي  
على ذكر هذا الاثر الخالد - المجمع العلمي - عند  
تكلمنا عن آثار حملة بونابرت على الصعيد العلمي  
والثقافي ) وأخذ يقيم النظم في مصر كأنه باق فيها الى  
الابد وفي ذلك دليل واضح على قوة عزيمة بونابرت  
وعلو همته ونبوغه وعبقريته فكان أبا الطيب المتنبي  
عنده بقوله :

وتعظم في عين الصغير صغارها  
وتصغر في عين العظيم العظام

## **ب - آثار الحملة على المصعيد الديني والاسلامي**

لقد أراد بونابرت أن يجعل من الحملة أداة لنشر الحضارة في البلاد . كما اعتقاد أنه من الممكن احياء قوة الاسلام بانشاء مركز اسلامي علمي في القاهرة حيث يوجد سوربون الازهر الى جانب المركز الاسلامي الديني المصرف في مكة .

لذلك فقد اخترط بونابرت في سياساته الداخلية في مصر خطة كانت لحمتها وسداها احترام شعائر أهل البلاد وقد كانت كافة الاواامر والمنشورات التي أصدرها بونابرت لجنته ، ولاهل البلاد تتضمن احترامه العميق للإسلام . وكان يشترك في الاحتفالات الدينية كما حاول غرس بذور التفرقة بين المصريين وال Ottomans وشرع بمحكمة الامراء المسلمين في البلدان المجاورة محاولا انشاء العلاقات معهم وأخيراً أسس الحكومة الوطنية وعمادها المشايخ والعلماء وأعيان البلاد لمساعدة الفرنسيين في الحكم .

## **٩ - سياسة نابليون حيال الاسلام**

لم يكن احترام نابليون للإسلام وليد الساعة وإنما كان مبدأ من مبادئ السياسة التي ترسمها قبل وصوله الى مصر يدل على ذلك المنشور الذي أصدره من على ظهر البارجة ( أوريان ) الى جنده وأوضح فيه عظم الاثر الذي سوف يحدثه استيلاؤهم على مصر على حضارة وتجارة العالم اجمع . كما أبان لهم أن الشعوب التي سوف يعيشون بينها هسي شعوب

اسلامية شهادتهم . : ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأوصاهم ان يظهروا الاحترام لفتنيهم وأئمتهم وجوا معهم والتسامع حيال الاعياد والاحتفالات الدينية . ثم أصدر منشورا اخر الى كافة أهالي مصر استهله بالعبارة التالية : بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله ولا ولد له ولا شريك له في ملکه . ثم استطرد مخاطبا المصريين قائلا : يا أيها المصريون قد قيل لكم بأنني ما نزلت بهذا الظرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين انني ما قدمت اليكم الا لاخلاص حقكم من يد الظالمين . وأنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى واحترم نبيه والقرآن العظيم . ثم طلب بونابرت في هذا المنشور بأن تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة وأن يظل القضاة والمشائخ والعلماء والائمة في وظائفهم .

## ٤ - محاولات بونابرت في التفرقة بين المصريين وتركيا

كما لجأ بونابرت لتدعم اركان سياسته الاسلامية الى وسيلة جديدة وهي تلخص في التفرقة بقدر المستطاع بين المصريين والعثمانيين ثم محاولته احياء امال المصريين في امكان اكساب الاسلام قوة جديدة والنھوض بالقاهرة الى مصف المراكز الدينية الرئيسة في الاسلام حتى تتخذ الى جانب مكة المكرمة محلا لائقا للزعامة في العالم الاسلامي .

وعندما ساعت علاقات بونابرت مع الباب العالي حاول بذر بذور التفرقة بين المصريين والاتراك وقد تنوّعت الوسائل والحجج التي حاول بونابرت فيها

اظهار السلطان العثماني بمظهر غير المهتم بالصلحة الدينية الاسلامية موضحا ان السلطان كان حليفا لفرنسا في وقت كانت فيه هذه الدولة الامة المسيحية العريقة ثم نبذ صداقتها عندما أصبحت اكثر عطفا على المسلمين وأقرب ميلا لتفهم العقيدة الاسلامية .

ومنها محالفة الباب العالي للروس الذين يعتقدون بوجود الله ثلاثة بينما يعتقد الفرنسيون بوجود الله واحد .

وقد حاول بونابرت احياء امالي المسلمين في نصرة العقيدة الاسلامية في عهد الحكم الفرنسي في مصر وذلك بتحسين علاقاته مع المصريين انفسهم أو مع الامراء وحكام البلدان الاسلامية المجاورة كما يتضح من خطاب بونابرت الى المواطن ( BEAUVOISIN ) المندوب الفرنسي لدى ديوان القاهرة عندما طلب اليه التوجيه الى يافا مقابلة احمد باشا الجزار صاحب عكا واقناعه بأن بونابرت لا يبغي الاستيلاء على بيت المقدس وتحطيم الدين الحرام الحنيف ولا استرقاق المسلمين وأنما يريد خلاصهم .

### ٣ - هراسلات بونابرت للامراء المسلمين

وتظهر رغبة نابليون في انشاء الصلات مع الامراء المسلمين في الاقطار المجاورة في هراسلاته لحاكم درنة وحاكم طرابلس ثم الى سلطان مكة وأمام مسقط وكان يرجو من هذا الاخير أن يساعدته في توصيل الاخبار الى تبو صاحب في الهند كما أرسل بعدها رسالة الى هذا الامير يطلعه على عزمه على تحقيق طرد الانكليز من

الهند . كما كتب بونابرت الى شريف مكة رسالة في ٣٠ تموز عام ١٧٩٩ لتوطيد العلاقات التجارية بين مصر وبلاد العرب والهند .

ج - آثار حملة بونابرت على الصعيد المحلي في نفوس المصريين .

### ثورة القاهرة - اسبابها ونتائجها -

ذهبت كافة المحاولات التي قام بها بونابرت في استمالة المصريين إلى جانبه أدرج الرياح وظلّ المصريون على اعتقادهم الراسخ بأنّ الفرنسيين إنما هم أعداء الدين الإسلامي . ولل جانب هذا العداء الديني الذي كان من العوامل الرئيسية في تحرك الاضطرابات والثورات هناك أسباب أخرى مهدت إلى اندلاع لهيب الثورة في القاهرة ذكرها نقولا التركي أحد المعاصرين نلخصها أدناه :

- ١ - انخداع المصريين بأقوال الفرنسيين الذين زعموا انهم حضروا إلى مصر بارادة السلطان سليم ثم وقوفهم على عدم صحة هذا النبأ .
- ٢ - ورود رسائل من الامراء المصريين وكتابات من أحمد باشا الجزار تحت المصريين على الثورة .
- ٣ - عدم تقييد الفرنسيين بقواعد الادب والاعراف المحلية حيال النساء المسلمات .
- ٤ - شرب الخمر وبيعه إلى الجنود .
- هدم الجواجمع والمنارات لتوسيع الطرق .

الا أن السبب المباشر والرئيسي لم يذكره نقولا  
التركي وهذا السبب هو اقتصادي ويقول الجبرتي  
في ذلك «أن تذهب المصريين من ترتيبات الفرنسيين  
الاقتصادية وتنظيماتهم المالية كان هو المحرك الأول  
لقيام الثورة» .

ذلك أن بونابرت منذ أن وطأت قدماه أرض مصر  
بدأ كأنه يريد الاعتماد على موارد البلاد في تموين  
سد نفقات الحملة ثم تضاعف هذا الاعتماد خصوصاً  
بعد هزيمة أبي قير البحرية . وكان نابليون بونابرت  
منذ سقوط الإسكندرية حتى انطلاق الثورة في القاهرة  
شديد الاهتمام بضرورة تحصيل الأموال فكان يلجأ  
إلى فرض الغرامات على المدن تارة وإلى مصادرة أملاك  
الملاليك طوراً . وفي ١٦ أيلول صدر أمر بإنشاء مكتب  
للتتسجيل «في كل مديرية لتسجيل مستندات التملك  
على أن يحصل عليها رسوم بنسبة قيمتها وقد جاء  
في هذا الأمر أن كافة الممتلكات التي لا تسجل لا يعترف  
بها ، وقد أعطى هذا الأمر مهلة شهر واحد للتسجيل في  
مدينة القاهرة وشهرين في كافة مديریات القطر . فإذا  
لم تسجل الأملاك تصبح من نصيب الجمهورية  
الفرنسية .

وصدر أمر آخر بذات التاريخ بالزام كل فرد من  
 أصحاب المهنة أو الاعمال أيًا كان نوعها أن يكون لديه  
ترخيص يجيز له القيام بعمله يطلب منه من إدارة  
التسجيلات وعليه أن يجدد هذا الترخيص سنويًا  
ثم فرضت ضريبة على المباني والحمامات ومعاصر  
الزيت وطواحين الغلال والبيوت والغرف كما قسمت

المباني الى أربع درجات تتراوح الضريبة عليها بين  
١٨ ريالاً ونصف ريال .

ولما كان الغرض الاول لسياسة بونابرت المالية هو الحصول على المال بكل وسيلة فمن المنتظر أن يشتد تذمر المصريين من هذه الخطة وأن يتنددوا للثورة على أنظمة الفاتح الجديد .

وسرعان ما تألفت في الازهر «لجنة المتأمرين» جمعت حولها الغاضبين من الحكم الفرنسي والمكارهين له وقد اشترك في التحريرض على الثورة الائمة والمؤذنون وغيرهم من رؤساء الدين حتى انفجر بركانها ولكنها أخمدتها بعد ثلاثة أيام وقدرت خسائر التأثيرين بآلافين وخمسمائة ضحية بينما لم تتعذر خسائر الفرنسيين الخمسين رجلاً .

وكان من نتائج هذه الثورة أن قلب سياسة الفرنسيين رأساً على عقب تلك السياسة القائمة على التودد الى الاهالي ومجاملتهم فسلك بونابرت منذ ذلك الحين سياسة الشدة والصرامة مع المصريين وشدد في عقاب المحرضين على الثورة كما أمر بمعاقبة عدد من المشايخ الذين اشترکوا فيها بالاعدام ومصادرة ممتلكاتهم ثم عطل الديوان مدة شهرين حيث اضطر الى اعادته عندما قرر الخروج بحملته الى سوريا .

وهكذا يكون قد انعدم اي رجاء في الحقيقة بسبب هذه الثورات والاضطرابات في امكان التعاون بين الفرنسيين والمصريين .

كما شغل بونابرت في الشهور التالية بالاعمال العسكرية عندما نشب الصراع العنيف بين فرنسا

وبين بونابرت في مصر من جانب وبين أعضاء المحالفه الدولية الثانية الاوروبية من جانب آخر وكان تأليف هذه المحالفه التي انضمت اليها تركيا بعد ترددتها الطويل من آثار هزيمة الاسطول الفرنسي تلك الهزيمة الحاسمه في موقعة أبي قير البحريه .

#### د - آثار حملة بونابرت على المصعيد التنظيمي والاداري .

##### ١ - نظام الحكم الداخلي في مصر

كان النظام الذي شاء بونابرت أن يضعه لحكومة البلاد الداخلية يقوم على اساس انشاء الديوان في القاهرة والدواوين في المديريات تتالف من المشايخ والعلماء واعيان البلاد . وكان الغرض الذي يهدف اليه بونابرت هو استباب الامن والنظام في الديار المصرية واستئمالة الرؤساء الدينيين وضمان انجازهم له ليستطيع بواسطتهم بما لهم من نفوذ على الجماهير الوصول الى اقناع المصريين بالرضى بالحكم الفرنسي من جهة والوقوف على اراء ومطالب الشعب المصري من جهة ثانية وذلك لكي يتمكن من انجاز المشروعات التي يرى الفرنسيون من الضروري تنفيذها دون أن يصطدموا مع الاهالي . وقد كان بونابرت يرى أن اشراك الشيوخ والعلماء في الحكومة الداخلية اشراكا محدودا تحت اشراف الفرنسيين ومراقبتهم يكفل ضمان التفاهم مع المصريين وتوطيد السيطرة الفرنسية في مصر . ثم دعا بونابرت الى انشاء ديوان عام في القاهرة غايتها محاولة تعويذ اعيان مصر على فكرة عقد

المجالس والقيام بأعباء الحكومة ومعرفة ما ينبغي اتخاذه من تدابير لسعادة الشعب .

أما غاية إنشاء دواوين الأقاليم في معرفة الانظمة التي ينبغي اجراؤها في القضايا المدنية والجنائية ثم بحث الوسائل الكفيلة بتأييد حقوق الوراثة وحقوق الملكية وما ينبغي اتباعه في فرض وتحصيل الضرائب .

ولم يلبث بونابرت أن استخدم الديوان والعلماء في إصدار المنشورات لتسكين خواطر الاهالي وحضهم على التزام الهدوء والسكينة . ومن الأمثلة على ذلك النصيحة التي أذاعها علماء مصر على المواطنين لاجتناب الفتنة حيث جاء فيها :

« ننصحكم أيها المصريين الا تحرکوا الفتنة ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الاذية فقد قال النبي عليه افضل الصلاة والسلام » :

« الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها بين الامم » .

## ٢ - ديوان القاهرة (١)

### ١ - إنشاء الديوان :

صدر بتاريخ ٤٥ تموز عام ١٧٩٨ من معسكر

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظم الحكم في مصر - عبد الرحمن الرافعى : الفصل الثالث .

القاهرة الامر التالي :

بونابرت عضو المجمع العلمي الاهلي والقائد العام للجيش يأمر بما يأتي :

- أولاً : تحكم مدينة القاهرة بديوان مؤلف من تسعة اعضاء .

- ثانياً : يتالف هذا الديوان من المشايخ : السادات - الشرقاوي - الصاوي - البكري - الفيومي - العريشي - موسى الرسي - والسيد عمر نقيب الاشراف - ومحمد الامير وعليهم أن ينتخبوا من بينهم رئيساً وأن يختاروا سكرتيراً من غير الاعضاء ويعينوا اثنين من الكتبة والترجمة يعرفان الفرنسية والعربية . وعلى الديوان أن ينتخب لجنة مؤلفة من ثلاثة مراقبة الاسواق وتمويل الدينونة ولجنة من ثلاثة آخرين يكلفون بمهمة دفن الموتى بالقاهرة وضواحيها .

ثالثاً : يجتمع الديوان ظهر كل يوم ويبقى ثلاثة اعضاء على الدوام بدار المجلس .

رابعاً : يقام على الديوان حرس فرنسي وأخر تركي .

خامساً : على الجنرال (BERTHIER) اجراء ما يلزم لاعضاء الديوان ولكي يأخذ عليهم عهداً الا يعملا شيئاً ضد مصلحة الجيش .

ب - اختصاصات الديوان

لئن غدت السلطة المدنية للحكومة من اختصاص

الديوان فلم يكن لهذا الاخير - سلطة قطعية في اي امر من الامور بل كان المرجع الاعلى للسلطة العسكرية .  
كما كان للديوان صوت مسموع في تعيين كبار الموظفين كمحافظ المدينة ورئيس الشرطة وقد احتفظ الفرنسيون بتعيين بعض كبار الموظفين دون استشارة الديوان : كمدير الشؤون المالية للحكومة ومدير الجمارك ومدير البريد .

وقد عين بونابرت الجنرال (BEAU VOISINS) قوميسيرا لدى الديوان وعهد اليه حضور جلساته على الدوام وأن يرفع اليه عقب كل جلسة كل ما يدور فيها وكان بونابرت حريصا على تتبع مداولات الديوان حتى في اثناء غيابه عن القاهرة .

ولا يخفى بأن مهمه القوميسير هي التجسس على الاعضاء يؤيد ذلك تعيين بونابرت للفرنسي (TALLIEN) عوضا عن (BEAU VOISINS) الذي أوفد بمهمة الى الجزار لحضور جميع جلسات الديوان والسعى لمعرفة اخلاق اعضائه واطلاعه على الشكاوى التي ترفع الى الديوان وامسائل التي تبحث فيه .

فيتبين مما ذكر أن سلطة الديوان لم تكن تتعدي مدينة القاهرة وأن هذه السلطة كانت استشارية ومقيدة بتعهد الاعضاء الا يأتوا بعمل ضد مصلحة الجيش .

### ٣ - دواوين الاقاليم

وفي ٢٧ تموز اصدر بونابرت امرا بتأليف ديوان من سبعة اعضاء في كل مديرية من مديریات القطر

المصري همته السهر على مصالح المديريه والنظر بالشكاوي التي تصل اليه ومنع اعتداء القرى بعضها على بعض ومراقبة الاشخاص السيئي السيرة ومعاقبتهم والاستعانة على ذلك بالقوات التي تحت أمر القواد الفرنسيين . كما عين في كل مديرية قوة مسلحة قوامها ستون رجلا للمحافظة على النظام والامن والسكينة . وقد عين مباشر لجباية اموال الميري والضرائب وايراد اهلاك المماليك التي أصبحت ملكا للجمهورية كما عين بجانب هذا المباشر وكيل فرنسي للاتصال مع مدير المالية ومراقبة تنفيذ الاوامر .

#### ٤ - الديوان العام

هو عبارة عن جمعية تمثل اعيان العاصمة والاقاليم الفها بونابرت ليستشير بآرائها ويستشيرها في النظام النهائي للدواوين التي أسسها وفي ادارة الحكومة ووضع نظامها الاداري والمالي . وقد تؤدى بونابرت اختيار هؤلاء الاعيان من الاشخاص الذين لهم نفوذ بين الاهالي ومن الذين تميزوا بمركزهم العلمي وكفايتهم وطريقة استقبالهم للفرنسيين .

وقد اصدر بونابرت امره الى العالمين مونسج ( MONGE ) و ( BERTHEOLET ) عضوي المجمع العلمي بالاشتراك في جلسات الديوان العام بصفة قومسييرين لحضور المناقشات وعرض مشروعات الحكومة على الاعضاء وقد تلقى هذان العالمان من بونابرت رسالة ضمنها الغرنس من عقد الديوان العام جاء فيها :

أن الغرض من عقد الديوان العام هو تعويض الانعیان المصريين نظم المجالس الشوریة والحكم فقولوا لهم أني دعوتهم لاستشارتهم وتلقي آرائهم فيما يعود على الشعب بالسعادة والرفاهية .

- أطلبوا من الديوان العام أن يبدي رأيه في المسائل الآتية :

أولاً : ما هو أصلح نظام لتأليف مجالس الديوان في المديريات وما هو المرتب الذي يجب تحديده للأعضاء .  
ثانياً : ما هو التشريع الذي يكفل ضبط المواريث وأنواع الشكاوى والاجحاف الموجودة في النظام الحالي .  
ثالثاً : ما هو النظام الذي يجب وضعه للقضاء المدني والجنائي .

رابعاً : ما هي الاصلاحات والاقتراحات التي يراها الديوان لثبتات ملكية العقارات وفرض الضرائب .

عقد الديوان العام أول اجتماع في أوائل شهر تشرین الاول عام ١٧٩٨ حضره العالماں الفرنسيان مونج وبرتوليه مندوبيـن من قبل بونابرت لافتتاح الـديوان والاتصال بالاعضاء وعرض أفكار الحكومة عليهم ومشروعاتهم لأخذ رأيهم فيها .

ولما استقر بالاعضاء المقام ناول كبير المندوبيـن (مونج) الترجمان خطبة الافتتاح وتلـيت مترجمة الى اللغة العربية نورد خلاصتها لما لها من فائدة تاريخية ولما أحدثه وقعها من اثر في نفوس المصريين وقد جاء

فيها :

«أن مصر بلاد لا نظير لها وأن العلوم والصناعات والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ولكن قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه . فملكه أهل بابل وملكه اليونان والعرب والترك الآن إلا أن دولة الترك شددت في خرابه لأنها اذا حصلت الثمرة قطعها ولذلك لم يبقوا بأيدي الناس إلا القدر الميسير . ثم أن الفرنسيين بعدما تمرسوا بأمور المدروب اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه واراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلاً وغباء فقد مروا وحصل لهم النصر ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ولم يعاملوا الناس بالقسوة وأن غرضهم تنظيم أمور مصر واجراء خلجانها التي دثرت فيصير لها طريقان طريق الى البحر الأبيض وطريق الى البحر الأحمر فيزداد خصبهما وريهما ومنع القوي من ظلم الضعيف استجلاباً لخواطر أهلها والبقاء للذكر الحسن هناك ناسب من أهلها ترك الشغب وآخلاق المودة . أن المتأمل في نص هذه الرسالة يرى نابليون يشيد بعظمة مصر القديمة ومركزها الممتاز في العالم ويعرف بأنها كانت معلمة الأمم وحاملة لواء الحضارة والمعرفة وجميل أن يصدر هذا الاعتراف من قائد دانت له الممالك وخضعت له الرقاب .

على أن هذه اللهجة من شأنها أن تبعث في نفوس سامعيها من أعضاء الديوان روح العزة القومية فتصرفهم عن الأذعان لحكم الفرنسيين وغيرهم وتحدو بهم الى التطلع لاحياء مصر القديمة والواقع أن مصر

لهم تذعن للدهلة الفرنسية وثورة القاهرة في وجه  
الفرنسيين يوم الاحد في ٢١ تشرين الاول عام ١٧٩٨  
شاهد عدل على عدم رضوخ المصريين للفاتح الجديد .  
ومما يلفت النظر أن نابليون في خطابه هذا قد  
خالف خطته القديمة في مجامعته الباب العالى والظهور  
بالمودة للسلطان العثمانى فهو بهذه الرسالة يجاهر  
لأول مرة في خطاب رسمي علني بعدائه لتركيا ويعود  
السبب في ذلك الى أن هذه الاخيرة اتحدت مع انكلترا  
وروسيا لمحاربة فرنسا واخراج جنودها من مصر . فقد  
أعلن الباب العالى الحرب على فرنسا في أيلول عام  
١٧٩٨ ولذا لم ير بونابرت بدا من أن يجاهر بعدائه  
للاتراك وينعتهم بالظلم والجهل والغباوة ليصرف  
المصريين عن التعلق بهم . على ان المصريين كانوا  
يرون أن الدولة التركية تعامل بمساعدة  
حلفائها على أجلاء الفرنسيين من مصر وستترك البلاد  
لاهلها بعد جلاء الفرنسيين عنها وقد حفقت الاحداث  
صحة ما ترقبه المصريون لأن محمد علي لم يحقق  
استقلال مصر الا بعد طرد الفرنسيين والانجليز من  
البلاد .

**وعودة سريعة الى نظام الديوان العام والقاء  
نظرة خاطفة عليه تطلعنا :**

١ = أن رئاسة هذا الديوان كانت تحصل بالاقتراع  
السرى كما يحصل في المجالس النيابية .

٢ = لم تكن للديوان سلطنة قطعية في الامور التي  
تفرض عليه بل كان الغرض من انعقاده استشارته  
والوقوف على آراء اعضائه .

هذا وقد كانت المسائل التي تعرض على الديوان تدرس في الوقت نفسه من قبل لجنة ألفها بونابرت برئاسته وبعضوية مدير مهام الجيش المدعى (SUCY) ومدير الشؤون المالية بوسبيانغ وكبير المباشرين وهو المعلم جرجس الجوهرى الذى كان كبير المباشرين في عهد المماليك فابقاه بونابرت في مركزه كما أمر بونابرت بأن تتعقد هذه اللجنة يومياً وتعطى القرارات النهائية بما يتناول فيه الديوان .

فقرارات الديوان كانت اذن أشبه برغمبات تعرض على اللجنة وهذه الاخيرة القول الفصل .

٣ = أما بشأن تأليف الديوان العام فقد قرر بونابرت أن يكون هذا الديوان مؤلفاً من ٤٥ عضواً منهم تسعة من القائمية والخمسة عشرة عضواً كل مديرية من المديريات الست عشرة التي كان يتألف منها القطر المصري .

٤ = أما النظام القضائي المدني والجنائي فقد رأى الديوان أن يبقى نظام القضاء على ما كان عليه لكنه طلب أن تحدد رسوم التقاضي التي تدفع للقضاة وموظفي المحاكم كما طلب أن يكون تعين القضاة في كل مديرية من حقوق «الدوين» المؤلفة بها .

٥ = لقد طال <sup>السؤال</sup> في هيئة التشريع الخاص بالمواريث بين أعضاء الديوان الذين طالبوا بتقسيم المواريث بحسب النوع الشرعية الواردة في آيات المواريث وبين المندوبين الفرنسيين اللذين تقدموا بأراء معاكسة بهذا الموضوع فرجحت في النهاية فكرة اعفاء

الديوان بعد تقديمهم المراجع من الآيات الكريمة فوافق بونابرت على نظام التوريث الشرعي وقرر تقسيم المواريث طبقا لاحكام الشريعة الفراء .

٦ = اما بشأن تسجيل عقود الملكية والضرائب العقارية فقد وضع بونابرت نظاما جديدا لاثبات الملكية على قاعدة تسجيل مستندات التملك في مقابل رسوم تدفع للتسجيل وقد مهد لهذا النظام بانشاء محاكم تسمى ( المحاكم التجارية ) وقد انشئت هذه المحاكم في كل من القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد بناء على أمر صدر عن بونابرت في ٠ ( أيلول سنة ١٧٩٨ ) وتختص هذه المحاكم بالفصل في المنازعات التجارية والمدنية ويختار اعضاؤها من التجار على اختلاف جنسياتهم يعينهم القائد العام لمدة ثلاثة سنوات .

وفي ١٦ أيلول سنة ١٧٩٨ أصدر بونابرت أمرا بانشاء ادارة لتسجيل مستندات التملك وقد سميت هذه الادارة ( مصلحة التسجيلات وادارة املاك الحكومة ) وأمر بأن يقدم جميع ملاك العقارات حجج تملكهم القديمة والجديدة لتسجيلها في مقابل رسوم ٢ في المائة من قيمة العقارات يدفعها المالك اجمعون .

اما نص الامر فهو التالي :

« ينشأ في عاصمة كل مديرية مكتب لتسجيل جميع سندات التملك والعقود ويدفع عن التسجيل رسم نسبي طبقا للائحة الرسوم . وقد قدر هذا الرسم في الائحة باثنين في المائة عن معظم المعاملات ولا يعترف بالملكية الا للعقود والسنادات المسجلة واذا لم تسجل تصادر الملكية لجانب الجمهورية وعلى جميع

الملاك أن يسجلوا سندات ملكيتهم في مدى ثلاثة أيام من تاريخ نشر الامر واذا لم يتم التسجيل في هذه المدة يدفع الملك ضعف الرسم المقرر للتسجيل واذا انقضى شهر اخر ولم يقع التسجيل تصدر الملكية لجانب الجمهورية الفرنسية ومن الان فصاعدا يجب تسجيل عقود البيع والبدل والتنازل في مدى عشرة أيام من تحرير العقد والا يعتبر باطلما . وكذلك يجب تسجيل الوصايا في مدة ثلاثة اشهر على الاكثر من وفاة الموصي ولما كان بونابرت يبغي من وضع هذا النظام ابتكار وسيلة جديدة لجمع المال من الاهالي ضج الاهالي من هذه الرسوم لأنها كانت أشبه بضربيه جديدة لم يكونوا يدفعونها من قبل .

كما فرض بونابرت ضرائب سنوية على جميع أصحاب الحرف والصناعات فسخط الصناع وأصحاب الحرف من هذه الغرامات .

وقد وضعت ضرائب على المباني وقسمت هذه الاخيرة الى أنواع لكل نوع ضريبة تقدر بحسب درجاته ووفقاً لبيان اعد لهذا الغرض فقد قسمت المباني الى أربع درجات وتقرر بأن تدفع الضريبة في السنة على قسطين .

لقد كان تقرير هذه الضرائب الفادحة من أهم الاسباب التي نفرت المصريين من حكم الفرنسيين . أما الديوان العام فقد انخفض في ٢٠ تشرين أول سنة ١٧٩٨ دون أن يستطيع تخفيف فداحة الضرائب التي استخدمها الفرنسيون ولم يكدر ينخفض حتى شبت

نار الثورة في القاهرة .  
وقد وقفنا على أسبابها ونتائجها فلا ضرورة  
للعودة إليها ولكن ينبغي تتبع مصير الديوان بعد هذه  
الثورة حيث تظهر حركة بونابرت ومثابرته على  
متابعة العمل في الحقل التنظيمي .

### ٥ = اعادة الديوان (١)

بعد إخماد ثورة القاهرة لم يشأ بونابرت أن يخبط  
في معاقبة السكان خبط عشواء بل صب جام غضبه  
على المحرضين على العصيان والثورة فاكتسب بعمله  
هذا قلوب العدد الكبير من السكان الذين أظهروا نداهة  
بانقيادهم وانصياعهم للمحرضين من عمال المماليك  
والإنكليز . وكذلك لم يشأ بونابرت عندها رأى الهدوء  
يسود أحياء القاهرة أن يحرم طويلاً هذه المدينة ومصر  
كافحة من المجلس التمثيلي الذي يمكنه من مناقشة  
المصالح الوطنية مع ابقاء الشعب مرتبطاً بالسيطرة  
الفرنسية .

لهذا لم يمض شهراً على حل مجلس الديوان  
حتى أمر بونابرت بتشكيل مجلس جديد يتتألف من  
كبار المشايخ في القاهرة كما في باقي الأقاليم بحيث  
يكون عدده ستين عضواً على أن ينتقى من بين هؤلاء  
مجلس أو ديوان دائم يكلف بالإدارة والعدل ومصالح  
السكان المصريين وقد الحق بهذا الديوان مندوب

فرنسي يكون له صوت استشاري وليطلع بنفسه  
الوقت بونابرت على أعمال هذا الديوان كما عهد الى  
هذا المندوب صلاحية اخذ التدابير الازمة بما يتعلق  
بمصالح الجيش ولئن حاول بونابرت استعماله قلوب  
الشعب المصري بما اتخذه من اجراءات وابتدعه من  
اساليب فلم يسه عن باله بذات الوقت أن يتخذ  
التدابير الازمة لتجنب ثورة ثانية باقامة القلاع  
والتحصينات وعهد بذلك الى الجنرال  
( CAFFERELLI ) الذي باشر باقامة التحصينات  
 حوالي المدينة وداخلها ليكون بوسعيه التحكم بالاحياء  
 التي كانت بالامس بؤرة للعصيان والثورة وقد أعطيت  
 هذه القلعة والمحصون والانشات اسماء بعض القادة  
 الذين صرعوا في ساعات القتال .

## ٦ = اثار الديوان

لقد كان تأسيس الديوان نواة لنظام شوري لم  
تكن تعرفه مصر من قبل وقد حصل في عصر ( أواخر  
 القرن الثامن عشر ) كان الحكم فيه مطلقا يقوم على  
 الظلم والاستبداد واهواء الحكام في الشرق وفي اغلب  
 الدول الاوروبية . فكان النظام الذي انشأه بونابرت  
 في مصر اذن نظاما جديدا في الحكم .

وبعد أن كان العنصر المصري اثناء حكم المماليك  
 بعيدا عن كل نفوذ فقد أصبح له صوت في حكومة البلاد  
 وبالرغم من أن نظام الديوان جعل السلطة العليا  
 للفرنسيين فقد أشرك العنصر الاهلي في ادارة الحكومة  
 حصل ذلك دون شك بتأثير الافكار والمبادئ الجديدة  
 التي أوجت الثورة الفرنسية وقد كان بونابرت نفسه

وليد هذه الثورة التي كان علمها لا يزال يخفق فوق جيوش الجمهورية الفرنسية .

ويرى المتتبع للمنشورات والبيانات التي اعلنتها بونابرت عند حضوره الى مصر وصاغها بلهجته التوడد أنها تشبه تلك الاعلانات التي أطلقها قادة جيوش الثورة الفرنسية في البلدان التي احتلواها كبلجيكا وايطاليا زاعمين انهم أقدموا على الاستيلاء على هذه البلدان في سبيل نصرة مبادئ الحرية وتحطيم أغلال الاستعباد .

ولئن كان بونابرت قد استثار الروح القومية المصرية في منشوراته فقد أثارها في الوقت نفسه باعتدائه وتصرفاته فحملت المصريين على مقاومته وأعلن الثورة عليه .

ومما لا شك فيه أن الحملة الفرنسية قد هزت أعصاب الأمة المصرية فاستيقظت من سباتها وأزاحت عن أبصارها غشاء الجهل .

لقد كان بونابرت على يقين بأنه لا يستطيع انشاء دولة عربية على ضفاف النيل تخضع لحكمه الا اذا استهمال قلوب المصريين ولذا فقد جاءت بيانياته تنضح بروح التوڈد الا أن أهالي مصر لم يذعنوا للحكم الفرنسي ولم يطمئنوا اليه ولم تغرهـم عبارات بونابرت المحسولة .

## - مساهمة السكان المصريين في اعمال حفظ الامن (١)

نظمت مفارز من الأهلين مد يد المساعدة الى رجال الشرطة وذلك بغية مراقبة المقاهي والتجمعات والساحات العامة والأسواق وفقا لعادات المناطق . وقد ألغت ثلاث سرايا يونانية قوام كل منها مئة رجل كلفت خصيصا بمرافقة وسائل الاسعاف .

وقد ساد الرضاء القاهرة فترة من الزمن فعمد الاوربيون الى فتح الحوانيت والمقاهي التي كان من شأنها أن تخفف عن الجيش الفرنسي بعض الشيء الام الهجرة والحنين الى الوطن . كما استخدم أحد قصور المماليك لشئى أنواع الترويح عن النفس فانشئ فيه صالات للعب ولبلليار ( billiard ) وقاعات للمطالعة وجوقة للموسيقيين ( orchestres ) وللرقص ومقهى ومطعم وألعاب نارية بحيث لم تقل شأنها عما يعهده الفرنسيون في باريس .

## - نشاط الفرنسيين في الحقل التجاري (٢)

ولقد قرر التجار الاوربيون الذين كانوا انذاك في القاهرة أن ينشئوا شركة تجارية مساهمة برأس مال قيمته ثلاثة ألف فرنك وثمن السهم ثلاثة آلاف فرنك حيث نالت موافقة بونابرت بعد أن أعلن رغبته بأن

BONAPARTE en EGYPTE P. 214 (١)  
BONAPARTE en EGYPTE P. 215 (٢)

يستفيد صندوق الجيش منها بعشرة أسمهم .

## - اثار حملة بونابرت على المصعيد

### العلمي والثقافي

١ = وهن اثار حملة بونابرت تأسيس المجمع العلمي

قال تييرس ( THIERS ) في كتابه تاريخ الثورة الفرنسية : أن نوابغ فرنسا في الحروب والعلوم والفنون قد صحبوا نابليون في الحملة وجذبتهم إليها ثقتهم في قائدتها الفتى العظيم وركبوا البحر دون أن يعرفوا إلى أية جهة يقصدون .

ذلك أن نابليون قد اصطحب معه طائفة من علماء فرنسا ونوابغها في الهندسة والطب والجغرافيا والفلك والأدب والكيمياء والاقتصاد السياسي والآثار والمعادن وطبقات الأرض والحيوان والنباتات وفن العمارة وهندسة الري والقنطر والجسور والميكانيك وطائفة من رجال الفنون من المصورين والرسامين والموسيقيين والنقاشين فبلغ عددهم ٤٦ عضواً ما بين عالم وأديب ومهندس تتالف منهم لجنة العلوم والفنون . وكان من بينهم جماعة من أقطاب العلوم ممن يشار إليهم بالبنان أمثال مونج ( MONGE ) العالم الرياضي وبرتوليه ( BERTHOLLET ) العالم الكيميائي وهما اللذان عهد إليهما نابليون اختيار أعضاء البعثة ( ١ ) . بقي أعضاء « بعثة العلوم والفنون » في

( ١ ) تاريخ الحركة القومية في مصر - الجزء الأول - الفصل الثاني

الاسكندرية بلا عمل حتى انتهت العمليات الحربية ودخل نابليون القاهرة فاعتزم بعد موقعة الاهرام الانتفاع بموهبة أولئك العلماء والفنين فاستدعاهم إلى القاهرة وفك في إنشاء المجمع العلمي المصري على غرار المجمع العلمي الفرنسي الذي أنشأه عام ١٧٩٥ وانتخب نابليون عضواً فيه عام ١٧٩٧ . وتحقيقاً لهذا الغرض عهد نابليون بونابرت إلى سبعة من أقطاب لجنة العلوم والفنون وقادة الجيش اختيار أعضائه وهؤلاء السبعة هم العلماء مونج وبرتوليه وجوفروا سان هيlier وكوستاز والطبيب ديجنت وكل من القائدين كافريالي واندريوسكي فيكون بونابرت بهذا قد أسس بجانب «الديوان» مجلساً له صبغة علمية وله علاقة بادارة الحكومة وهو (المجمع العلمي المصري) INSTITUT D'EGYPTE ) - أصدر بونابرت أمره بإنشاء هذا المجلس في ٢٢ آب سنة ١٧٩٨ وضمنه الغرض من إنشائه وبيان اختصاصاته . ويتألف هذا الأمر من ست وعشرين مادة تتلخص فيما يلي :

### ١ - الغرض من المجمع :

أن الغرض من تأسيس مجمع العلوم والفنون في مدينة القاهرة هو :

أولاً : تقديم العلوم والمعارف في مصر ثانياً : دراسة المسائل والأبحاث الطبيعية الصناعية والتاريخية الخاصة بمصر ونشر هذه الأبحاث .

ثالثاً : ابداء رأيه للحكومة في المسائل التي تستثيره فيها .

## **ب - اقسام المجمع :**

يتتألف المجمع من أربعة اقسام وكل قسم من اثنين عشر عضوا وهذه الاقسام هي :

- قسم الرياضيات

- قسم الطبيعيات

- قسم الاقتصاد السياسي

- قسم الآداب والفنون

## **ج - انعقاد المجمع :**

كان يجتمع هرتين في الشهر ويجوز لقادة الجيش الفرنسي وضباطه أن يحضروا جلساته .

## **د - أبحاث المجمع :**

ينشر المجمع مجموع أبحاثه كل ثلاثة أشهر وتشمل هذه المجموعة مذكرات أعضائه وتقارير اللجان التي يمؤلفها لدرس إلزائل التي تعرضها عليه الحكومة .

## **هـ - مكتب المجمع :**

ينتخب المجلس من بين أعضائه هيئة مكتب المجلس وتتألف من الرئيس ونائب ويعاد انتخابها كل ثلاثة أشهر وسكرتير دائم ومدير يعاد انتخابه كل سنة وأمين دائم لمكتب المجلس ومحترم عربي ويجوز أن يكون من الأعضاء .

## و - جوائز المجمع :

يقرر المجلس اعطاء جائزتين كل سنتين : الاولى لاهم بحث خاص بتقدم الحضارة والمدنية في مصر والثانية لاهم بحث خاص بتقدم الصناعة .

## ز - لجنة توزيع الجوائز :

تتألف لتوزيع الجائزتين لجنة تنتخب بالاقتراع مؤلفة من خمسة أعضاء . يدرسون الابحاث المقدمة في الجلسة السابقة ويقررون البحث الذي يستحق الجائزة وطبع الابحاث التي تفوز بالجائزة في مجموعة المجلس اما الاعضاء التي كانت تؤلف اقسام المجمع فهي الواردة أدناه :

### ١ = قسم الرياضيات

مونج ، نابليون بونابرت ، فورييه ، كوستاز ،  
لوبيز ، جيرار ، كروا ، الجنرال اندريلوسي ، مناي ،  
وماليس .

### ٢ = قسم الطبيعيات :

برتوليه ، دولوميو كونتي ( جوفروا سان هيلار )  
ديكوتيل ، سافيني ، ديبوا ، ديجنت ، شاهبسي ،  
دليل .

### ٣ = قسم الاقتصاد السياسي :

الجنرال كافاريلى ، كلوديه ، SUCY ، مدير  
مهمات الجيش ( TALLIEN ) تاليان ( SULKOUSKI )

٤ = قسم الآداب والفنون :

PERSEVAL DEGRANDMAISON عضو المجمع العلمي الفرنسي (VENTURE) نوري (NORY) دي ترتر (TERTRE) فيفان دي نون (VIVANT DENON) رigel (RIGEL) ، (REDOUTE) وقد تغير بعض أعضاء المجمع العلمي وحل محلهم غيرهم ذكر من هذه التغييرات التي حصلت اثناء وجود بونابرت في مصر اثنين .

١ = قسم الرياضيات :

عين المهندس (LANCRET) بدلا من (SAY) الذي قتل في الحملة على سوريا .

٢ = قسم الاقتصاد السياسي :

عين كورنساز (CORRANCEZ) بدلا من الجنرال CAFFARELLI) الذي قتل في حصار عكا .

**آثار المجمع العلمي**

نستعرض فيما يلي أعمال أعضاء المجمع العلمي جماعة أو فرادي في المدة التي انقضت بين تأسيس المجمع ورحيل الفرنسيين .

كانت اولى جلسات المجمع العلمي يوم ٢٣ آب سنة ١٧٩٨ فاجتمع الاعضاء وانتخبوا العالم الرياضي « مونج » رئيسا للمجمع ونابليون بونابرت نائبا للرئيس وفوريه سكريتيرا دائما وكوستاز نائب السكريتير وعرض بونابرت على المجمع في هذه الجلسة درس المسائل التالية :

**أولاً :** ما هي الوسائل التي يمكن اتباعها لتدبير  
المواد الازمة لوقود أفراد الجيش ؟  
وقد أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من  
برتوليه وكافاريالي ومونج وساي ) .

**ثانياً :** هل يوجد وسيلة يمكن اتباعها في مصر  
لاستبدال حشيشة الدينار في مصنع البيرة .  
أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من برتوبيه  
وكوستاز وديجينيت وجلوتيه .

**ثالثاً :** ما هي الوسائل الناجعة لترشيح وتبريد ماء  
النيل ؟ أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من برتوبيه  
وكوستاز ومونج وفانتور .

**رابعاً :** ما هو الانفع للبلاد بحسب الحالة الراهنة  
في مصر طواحين الماء أم طواحين الهواء .

أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من  
اندريوسى وكافاريالي وكوستاز وماليس وساي .

**خامساً :** هل في مصر مواد أولية لصنع البارود وما  
هي هذه المواد ؟

أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من اندرؤوسية  
وبرتوليه وماليس ومونج وفانتور .

**سادساً :** ما هي حالة التشريع والقضاء المدني  
والجنائي في مصر وحالة التعليم وما هي الاصلاحات  
الممكن ادخالها على هذه النظم ويرغبها أهل البلاد ؟

أحيلت هذه المسألة على لجنة مؤلفة من كوستاز  
وسولكوسكي و SAY و TALLIEN كما عرضت فيما  
بعد على المجلس مسائل فنية أخرى لدراستها كدرس  
طرق زراعة القمح في مصر وزراعة العنب وتمويل القلعة

بمياه النيل ، وحفر الآبار في الصحراء وانشاء وبحث هزات الآية المغناطيسية في مصر .

كما بحث بونابرت في امكان جلب الاخشاب من الحبشة بطريق النيل لصناعة السفن في مصر وقد انشأ اعضاء المجمع العلمي مكتبة تحوي انفس الكتب التي أحضروها من فرنسا وجمعاوها من خزائن الكتب في القاهرة . وأخذوا يجوبون البلاد فأذاحوا الستار عن عظمة مصر القديمة ورسموا خرائط مفصلة للبلاد ونيلها وترعها وساحلها وبحثوا في طبائع الحيوانات والنباتات والمعادن ودرسوا مياه النيل وطمئنه وطبقات الأرض .

### الطباعة

أنشأ المجمع العلمي المصري بالقاهرة مطبعة عربية وفرنسية وهي التي أحضرها بونابرت إلى مصر وقد جمع لها الاحرف الفرنسية والعربية والميونانية من باريس واستكمل لها الاحرف العربية من روما وعهد بادارتها إلى المسيو هارسل المستشرق أحد اعضاء لجنة العلوم والفنون وعين المستشرق فنتور ( VENTURE ) مفتشاً للمطبعة بحيث لا يطبع فيها شيء إلا بأمره (1) .

وكانت هذه المطبعة تسمى في الاسكندرية (مطبعة جيش الشرق) وعندما نقلت إلى القاهرة أمر بونابرت بتسميتها (المكتبة الاهلية) واثناء ثورة القاهرة نقلت

إلى الجيزة ثم إلى القلعة إلى أن جلا المفرنسيون عن مصر . وهي أول مطبعة أنشئت في مصر في العصر الحديث وقد أعادها الفرنسيون معهم عند جلائهم عن البلاد ولم تعد الطباعة إلى مصر إلا في عهد محمد علي الكبير .

وكانت منشورات بونابرت بالعربية تطبع في هذه المطبعة وجريدة الجوائب المصرية (LE COURRIER)

(LA DECADE DE L'EGYPTE) والعشرية المصرية وكان للفرنسيين مطبعة أخرى خاصة (MARC AUREL) حروفها افرونجية فقط لصاحبها استعملت لطبع الأعداد الأولى من LE COURRIER DEL'EGYPTE إلى أن نقلت المطبعة الرسمية من الإسكندرية إلى القاهرة .

## الصحافة

### أنشأ المفرنسيون في مصر جريدين :

أحداهما سياسية دعيت (الجوائب المصرية LE COURRIER DE L'EGYPTE) وكانت تصدر بالفرنسية كل أربعة أيام في أربع صفحات طبع منها الثلاثون عدداً الأولى في مطبعة مارك اورييل ثم طبع باقي ما ظهر منها في المطبعة الاهلية . ظهر أول عدد منها في ٢٩ آب عام ١٧٩٨ وأخر عدد رقم ١١٨ في حزيران عام ١٨٠١ قبيل جلاء الفرنسيين عن مصر . تولى تحرير الأعداد الأولى من هذه الجريدة

كوستا زء أحد أعضاء المجمع العلمي ثم (FOURRIER) سكرتير المجمع ثم (DESGENETTES . . . ) كبير أطباء الحملة وتعتبر هذه الجريدة الصحفية شبه الرسمية للحملة الفرنسية .

اما الجريدة الثانية فهي (العشرينة المصرية) LA DECADE EGYPTIENNE اقتصادية كانت تصدر مرة كل عشرة أيام وتنشر فيها أبحاث المجمع العلمي ومناقشات أعضائه . تولى ادارتها كبير أطباء الحملة (DESGENETTES) وكانت تطبع في المطبعة الاهلية وقد صدر اول عدد منها في تشرين الاول سنة 1798 .

### مكتبة المجمع العلمي

كان للمجمع العلمي مكتبة تحتوي على عدد كبير من الكتب وبإمكان من أراد المطالعة أن يحضر إليها ويطلب ما يريد من الكتب وكان يعمل في هذه المكتبة خازن ومبashرون . مهمتهم المحافظة على هذه الكتب وأحضارها للطلبة واسترجاعها منهم وكانوا لا يمنعون المسلمين من الدخول إليها - على حد قول الجبرتي الذي هو مؤرخ معاصر للحملة الفرنسية ، بل كانوا يتلقونهم بالشاشة وخاصة اذا رأوا فيهم قابلية وتطلعا للمعارف . كما كان المجمع مزودا بالآلات الفلكية المتقدمة الصنع وكذلك افرد فيه مكان للمصوريين والرسامين والمهندسين والجراريين .

## آثار المجمع العلمي في الحقل الصحي (١)

أنشأ الفرنسيون محراً صحيّاً بجزيرة بولاق يحتجزون به المسافرين القادمين أيامه معدودة كما أنشأوا حبراً آخر في جزيرة الروضة خاصاً بالوباء .

كما أمر بونابرت بإنشاء مستشفى عسكري في قصر مراد بك إلا أن هذا المستشفى كان خاصاً بالجنود الفرنسيين . كما فكر بإنشاء مستشفى للوطنيين وألف لجنة لهذا الغرض من الجنرال كافريالي والطبيين ديجينيت ولاري والعالمين مونج وبرتولييه والمسيو دور مدير مهمات الجيش لكن المشروع لم ينفذ شيء منه في عهد الحملة الفرنسية . كما قرر إنشاء لجنة لإدارة الشؤون الصحية في القاهرة ومصر القديمة وبولاق ووضع اللوائح لنظافة المدينة وتقرير الوسائل الصحية فيها .

## آثار المجمع العلمي في الحقل الصناعي

أنشأ المسيو كونتي ( CONTE ) أحد أعضاء المجمع العلمي طواحين الهواء أحداها في جزيرة الروضة والثانية بباب الحديد .

كما أصلاح المسيو كونتي والمسيو CHAMPY) وولده دار الصناعة التي أنشأها مراد بك في الجزيرة لصنع المدفع والسفن والآلات الحربية وأنشأوا مصنعاً للبارود في جزيرة الروضة عهد بدارته إلى المسيو

(١) تاريخ العركة القومية - ج - ١ - الفصل الرابع .

( CHAMPY ) .

كما انشأوا مصنعاً للجوح وأخر لصنع القبعات وأخر لصناعة البيرة ولدبغ الجلد ومصنعاً ميكانيكي ومصنعاً للتجارة .

ولفطر اعجاب الفرنسيين بجمال جزيرة الروضة وحسن موقعها فقد أقاموا جسراً من المراكب من الروضة إلى الجزيرة وقد تم وضعه أثناء الحملة على سوريا كما فكر بونابرت أن يجعل من الروضة مقراً للجالية الفرنسية وينشئ فيها مدينة فرنسية وقد وضع الجنرال ( MENOUD ) تخطيطاً لمدينة ينشئها بها ولكن لم ينفذ شيء من ذلك .

- وقد أنشأوا منتدى للتنزه دعى ( التيفولي ) في الأزبكية تشبهها بنظيره بباريس سماه الجبرتي ( دار الخلاعة ) وأقاموا مسرحاً لتمثيل الروايات .

### نظرة شاملة إلى المجمع العلمي

وأقل ما يقال بصدق هذا المجمع العلمي : أن أعضاءه بذلوا جهوداً جبارة في خدمة العلم والفن بفضل نشاط أعضائه ومثابرتهم بحيث يمكن عدّه من أعظم المجامع العلمية قدرًا وأكثرها ثمرة .

ولا يخلو من الفائدة - للدلالة على أهمية هذا المجمع العلمي - ذكر فقرة من رسالة المسيو جوفروا سان هيلير ( GEOFFROI SATNTHAIRE ) وهو من أعضاء هذا المجمع النابهين بعث بها إلى زميله ( CUVIER ) العلامة الذي هو محدث علم التشريح المقارن وعلم مطمورات الأرض - يقول فيها ( أن

المجمع العلمي المصري في نشاط دائم وأنني أؤكد أن جلساته تعادل بالقليل جلسات المجمع العلمي الفرنسي في أعمالها وثمراتها وقد قررنا بناء على اقتراح زميلانا بونابرت (نابليون) أن ترسل إلى مجمعكم محاضر جلساتنا فهل لكم أن تقرروا أزائنا مثل هذا القرار وبذلك نتمكن من الوقوف على تطور حركة العلوم في أوروبا . (١)

### تعطيل أعمال المجمع العلمي

لقد تعطلت أعمال المجمع العلمي أثناء الحملة على سوريا وذلك بسبب انصراف الأفكار إلى حركات الحملة وانتظار نتائجها ولغياب جماعة من أقطاب المجمع كمونج وبرتوليه وكوستاز والجنرال كافاريالي (الذي مات تحت أسوار عكا) .

وقد استؤنف عقد جلسات هذا المجمع عند عودة الحملة من عكا إلى مصر بعد تعيين أعضاء جدد عوضا عن أولئك الذين قتلوا في حملة سوريا أو عادوا إلى وطنهم فرنسا . وببدأ المجلس أعماله بالبحث في الوباء الذي فتك بالجنود وبيان أسبابه ومنشئه وتطهيره ووسائل الوقاية منه . ثم شرع نابليون في بناء الحصون في القاهرة للدفاع عنها كما استؤنف نشاط الأعمال الصحية والعمل في مصنع البارود كما شرع بونابرت في تجديد ملابس الجنود باستعمال منسوجات البلاد

(١) رسالة جوفروا سان هيلير إلى كوفييه بتاريخ ٢٠ تشرين الأول سنة ١٧٩٨ الواردية في كتاب (رسائل من مصر) .

القطنية والاجواخ الواردة من خارجها واكتفى الجيش الى حد ما بموارد البلاد بفضل نشاطه المسيو كونتي والمسيو شامبي وادارة المسيو دور ( DAURE ) مدبر مهامات الجيش ( ١ ) .

كما ألف بونابرت لجنتين للكشف عن آثار الفراعنة في الصعيد ورسمها . فاللجنة الاولى برئاسة المسيو فورييه سكرتير المجمع العلمي . والثانية برئاسة المسيو كوستاز مهمتها التنقيب عن آثار مصر القديمة في الوجه القبلي فأزاحوا ستار عن عظمة مصر القديمة ودونوا أبحاثهم في كتاب تخطيط مصر فكانت أعمالهم وأعمال المجمع العلمي هي الخالدة من آثار الحملة الفرنسية .

- هذا ولم يكن المجمع العلمي المصري معهدا للعلوم والفنون فحسب بل كان أيضا بمثابة مجلس استشاري فني يضم اخصائيين لدرس المسائل والمشاريع التي تعرضها الحكومة عليه فهو من هذا القبيل يشبه المجالس الاقتصادية العصرية وان كان يتتفوق عليها بصلاحية النظر في المسائل الخاصة بالتشريع .

وإذا نظرنا الى هذا المجمع من الوجهة العلمية نجد أنه نفع البلاد بآثاره وأعماله وتعد مذكرات أعضائه نواة للأبحاث العلمية الخاصة بمصر ويمكن اعتباره الاثر الوحيد الباقي من آثار الحملة الفرنسية .

---

( ١ ) تاريخ الحركة القومية في مصر الجزء الثاني - النصل الرابع .

ولئن يكن قد انتهى العهد الاول لهذا المجمع بعد رحيل الفرنسيين فقد أعيد انشاؤه سنة ١٨٥٩ بالاسكندرية وانتخب المسيو جومار<sup>٠</sup> (JOMARD) آخر من بقي من اعضاء المجمع العلمي الاول رئيسا شرقيا للمجمع الجديد ، وأن المجمع العلمي الحالي هو استمرار للمجمع العلمي القديم وقد انتقل من الاسكندرية الى القاهرة سنة ١٨٨٠ ٠

## من آثار المجمع العلمي الخالدة كتاب تخطيط مصر

ولا بد قبل انتهاء آثار الحملة على الصعيد الثقافي والعلمي من الاتيان على ذكر الكتاب القيم الذي وضعه علماء الحملة الفرنسية وأسموه كتاب تخطيط مصر ٠

الكتاب الى قسمين :  
**DESCRIPTION DE L'EGYPTE**

- قسم النصوص ويقع في ستة وعشرين مجلدا ويحتوي على مذكرات علماء الحملة وتقاريرهم ومشاهداتهم واكتشافاتهم في خلال الثلاث سنوات التي قضوها في مصر ٠

- وقسم الخرائط والرسوم ويقع في أحد عشر مجلدا كبيرا ويحتوي على ثلاثة آلاف من الخرائط والرسوم حيث تظهر فيه رسوم الحيوانات والطيور والأسماك والحشرات والنبات والمعادن والخرائط الجغرافية عن مصر وسواحلها وترعها وبحيراتها

وصحاريهها .

أخذ علماء الحملة منذ وصولهم إلى فرنسا يجمعون المباحث التي أتموها أثناء اقامتهم بمصر فاستغرق تأليف هذا الكتاب سبعة عشر عاماً . ولا يخفى أن نابليون هو الذي أمر بجمع هذه الابحاث في كتاب واحد وطبعه على نفقة الحكومة .

وقد ألفت لجنة لهذا الغرض من ثمانية من أكبر علماء الحملة وهم :

برتوليه MONGE بونج BERTHOLLET  
كونتي COSTAZ كوستاز CONTE  
ديجينيت FOURIER فورييه DESGNETTES  
جيرار GIRARD لانكري LANCRET  
كما انضم إليها خلال العمل دليل DELILLE  
وديفيليه DEVILIERS وجومار JOMARD وجولي  
JOLLAIS وقد تولى برتوبيه BERTHOLLET رئاسة  
هذه اللجنة وتولى سكرترياتها على التوالي LANCRET  
ثم JOMARD ثم JOLLAIS .

- وقد هات بعض مؤلفي هذا الكتاب اثناء تأليفه فعين من يخلفهم حتى تم ظهور الكتاب الذي ظهرت أجزاؤه الاولى سنة ١٨٠٩ واستمرت تظهر تباعاً حتى سنة ١٨٤٦ .

أما مواجهاته فتقسم إلى ثلاثة أقسام :  
القسم الأول يحتوي على وصف مصر القديمة حتى الفتح الإسلامي .

- القسم الثاني وصف مصر الحديثة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الحملة الفرنسية .

- القسم الثالث التاريخ الطبيعي لمصر .

ويعتبر هذا الكتاب خير دليل على مقدرة علماء الحملة الفرنسية في استيعاب الحقائق العلمية واستقصاء المعلومات في فترة قصيرة لم تتعذر الثلاث سنوات كما يعد أعظم كتاب ظهر في العصر الحديث عن تخطيط مصر وشاهد عدل بما تدرع به مؤلأء العلماء من الصبر والجلد لاتمام هذا العمل الجليل .

### بعض مشاهير أعضاء المجمع العلمي

واكملالا للبحث في آثار المجمع العلمي نرى من المفيد اعطاء فكرة عن بعض من اشتهروا من أعضاء المجمع العلمي ولجنة العلوم والفنون وترددت أسماؤهم في هذه الرسالة . (١)

#### ١ = ونبدا بهونج :

MONGE فهو أكبر علماء الرياضيات بفرنسا في عصره ومؤسس الهندسة الوصفية وعضو بالمجمع العلمي بفرنسا وقد تلقى عليه نابليون علوم الطبيعة في مدرسة باريس الحربية وكان موضع احترامه وأجلاله ووقع عليه الاختيار لرئاسة المجمع العلمي بمصر وكان روح أبحاث المجمع العلمي .

#### ٢ = كوستاز :

COSTAZ من علماء الرياضيات وعضو بالمجمع

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر ج - ١ - النمل الرابع .

العلمي الفرنسي كان مدرسا بمدرسة الهندسة العالية بفرنسا عندما اختاره بونابرت لعضوية لجنة العلوم والفنون

### ٣ = جوهار :

JOMARD مهندس جغرافي وعضو لجنة العلوم والفنون له في مصر أبحاث أثرية وجغرافية على جانب كبير من الأهمية وقد اشترك في رسم خريطة مصر قضى سبعة عشر عاما في اظهار كتاب تخطيط مصر تولى عام ١٨٦١ رئاسة أولبعثة مصرية أرسلها محمد علي الكبير إلى فرنسا ولها أعيد إنشاء المجمع العلمي المصري أسندت إليه رئاسته الفخرية عام ١٨٦١ .

### ٤ = LE PERE

هو كبير مهندسي الري والمطرق والجسور في عهد الحملة الفرنسية وواضع التقرير المشهور عن اتصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط . عهد إليه نابليون أن يدرس هذا المشروع فقضى عامين في دراسته .

### ٥ = فورييه :

FOURIER من علماء الرياضيات كان مدرسا في مدرسة الهندسة قبل انتظامه في سلك لجنة العلوم والفنون انتخب سكرتيرا دائما للمجمع العلمي وتولى رئاسة الادارة القضائية في أواخر عهد الحملة الفرنسية وهو واسع مقدمة كتاب تخطيط مصر .

٦ = نوى :

MOUET من علماء الفلك ويعتبر أكبر علماء الحملة الفرنسية في الفلك والمبينات نشرت أبحاثه الفلكية الخاصة بمصر في الجزء الأول من كتاب تخطيط مصر .

٧ = برتوليه :

BERTHOLLET من كبار علماء الكيمياء وصديق لمونج اشتراكا معا في تأسيس مدرسة الهندسة في باريس واليهم عهد بونابرت اختيار أعضاء الحملة الفرنسية . كان من أعضاء المجمع العلمي الفرنسي قبل حضوره إلى مصر صحبة نابليون .

GEOFFROI SAINT HILAIRE = ٨

عالم كبير في التاريخ الطبيعي له أبحاث مستفيضة ورسوم عديدة لحيوانات مصر وحشراتها وأسماكها انتخب بعد عودته عضوا في المجمع العلمي الفرنسي - له شهرة عالمية في التاريخ الطبيعي -

٩ = دولوميه :

DOLOMIEU من علماء طبقات الأرض والمعادن كان استاذًا في مدرسة المناجم وعضوًا بالمجمع العلمي الفرنسي عاد إلى فرنسا أثناء الحملة لمرض أصابه وانكسرت به السفينة وجندت على شاطئ (تارانت) جنوب إيطاليا فأسر وألقي في السجن إلى أن انتصر بونابرت في معركة مارنجلو MARENGO سنة ١٨٠١ فجعل اطلاق سراحه شرطا من شروط الصلح .

١٠ = كونتيه :

CONTE عالم كيميائي وميكانيكي استخدم المناطيد في حروب الثورة الفرنسية ولما جاء إلى مصر أسس عدة مصانع تولى إدارتها وأنشأ طواحين الهواء في القاهرة وأنشأ مصنعاً ميكانيكياً وعهد إليه بونابرت صب أحرف الطباعة وكان يعتمد عليه كثيراً في استثمار موارد مصر لاستيفاء حاجات الجيش بعد كارثة أبي قير .

١١ = تاليان :

TALLIEN أحد أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية وخصم روبسبيير الشهير . انتظم في سلك لجنة العلوم والفنون عهد إليه نابليون وقتاً ما بمهمة مندوب لدى الديوان لكنه لم يكن موضع ثقة نابليون ولا احترامه . فقد بعد عودته إلى فرنسا مكانته السياسية .

١٢ = ديجينت :

DESGENETTES كبير أطباء الحملة الفرنسية في إيطاليا ومصر له كتاب قيم اسمه ( التاريخ الطبي لجيش الشرق ) وقد وضع في مصر رسالة في مرض الجذري طبعها في المطبعة العربية التي أحضرها الفرنسيون وأهداها إلى أعضاء الديوان .

١٣ = ذيفان دينون :

VIVANT DENON كاتب وفنان . ألف كتاب نفيسا سماه ( رحلة في الوجه البحري ومصر العليا أثناء حروب الجنرال بونابرت ) ضمنه رسوماً لبعض المعارك

التي شهدتها ورسمها أثناء وقوعها . كان من المؤلعين بالفنون الجميلة وتولى في عهد امبراطورية نابليون ادارة المتحف وانتخب عضوا في المجتمع العلمي الفرنسي .

#### ١٤ = فانتور :

VENTURE مستشرق وأكبر أعضاء المجتمع العلمي سنا وكبير ترجمة الحملة الفرنسية ومستشار نابليون ومرجعه في المسائل الخاصة بالشرق والشرقيين . قضى نحو أربعين سنة في بلاد الشرق . كان يعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطليانية والفرنسية .

#### ١٥ = ريدوت :

REDOUTE مصور في التاريخ الطبيعي رسم معظم حيوانات مصر وأسماكها وتزيين رسومه كتاب (تخطيط مصر) .

فكرة نابليون بونابرت فيشق قanal السويس (١) اما الفكرة التي ينبغي التوقف عندها والتي تعد من المشاريع الانشائية الكبرى فهي تلك التي اخترمت في ذهن بونابرت فقد حاول هذا القائد استرعاء انتباه نخبة اعضاء البعثة العلمية الى امكانية وصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط بواسطة قanal يشق عبر برزخ السويس ذلك أن الاساطير تشير الى ان وصل هذين البحرين قد تم في الايام الغابرة وفي عهد

كانت المدنية والتجارة والعلوم والفنون قد بلغت ذروتها في مصر التي كانت تتبواً مركزاً مرموقاً في العالم المعروف يومذاك .

الآن يد الإنجيل قد هدمت هذا القناه ثم بوشر بإعادته من جديد في أيام حكم الخلفاء الفاطميين ومهما يكن الأمر فإن ايجاد مثل هذا القناه بين البحر الأحمر والبحر المتوسط كان مشروعًا من شأنه أن يعيد لمصر مركزها القديم وأن يحقق لفرنسا منافع جمة في علاقتها التجارية مع إفريقيا وأسيا .

لقد كان جديراً ببونابرت الاقدام على تحقيق محاولة عظيمة كالمشروع المذكور اذا كانت المنطقة سهلة المسار ، كما كان ينبغي في كافة الحالات أن يصبح الفرنسيون أسياد مرفاً السويس قبل الشروع بأي تنقيب .

وقد كان من مصلحة الجيش الفرنسي احتلال مدينة السويس التي التجأ إليها أولئك الذين قاموا بالثورة في مدينة القاهرة وكانوا فضلاً عن تعكيرهم صفو المنطقة كان ابراهيم بك يستخدمهم لحدث القبائل في الصحراء على مناسبة العداء للفرنسيين وقد كان من الضروري احتلال هذه المدينة الهامة إلا أن الصعوبات الجمة التي كانت تتعارض القيام بهذه العمل نجم عنها هذا التأخير في الاستيلاء عليها . ذلك أن المنطقة قاحلة لا ماء فيها ولا ظلال وتنطلب أشترطتين وأربعين ساعة من المسير فهي مضنية صيفاً وقد كانت الحالة آنذاك تفرضي بتجنب كل ما يثير اشتئاز الجند فما أن حل فصل الخريف وخفت حدة الحر

وتحسنت اوضاع الجند حتى تقرر الرحف على مدينة السويس وكان الجنرال بون ( BON ) هو الذي كلف بهذه الحملة التي كان عددها ٧٠٠ رجلا و ٥٠ جواضا ومؤن لخمسة عشر يوما وماء لخمسة أيام كما زود بونابرت القائد بون ( BON ) بتعليمات خاصة لانجاز هذه المهمة على ان يباشر بانشاء التحصينات في السويس بعد الاستيلاء عليها لتصبح بامان من هاجمة الاعراب .

ولم يتاخر بونابرت عن اللحاق بالجنرال بون ( BON ) الى مدينة السويس وبعد أن زار احياءها قام بجولة في ضواحيها وبرفقةه مونج ( MONGE ) وعدد من القادة وقد استرعت انتباذه آثار جدار من الحجارة . وما كاد بونابرت يتبع اتجاه هذا الجدار حتى ظهرت أمامه آثاره قنال فتبع الاثر مدة خمس ساعات حتى داهمه الليل فعاد الى المخيم في السويس

لم يكتف بونابرت بالقاء نظرة خاطفة على تلك المنطقة فعاود الكرة في ٣ كانون الثاني عام ١٧٩٩ وشرع يجوب المنطقة للدرس والاطلاع تواكبه مفرزة الجند فصادف هروء ساع يمتهي جملأ ومعه رسالة من الجزار وابراهيم بك الى أهالي مصر وتتضمن هذه الرسالة خبرا مفاده أن الاشتباكات بدأت على الحدود السورية وأن جيش الجزار باشا قد توغل في الاراضي المصرية وأن طلائعه احتلت واحة العريش وشرعت بتحصين قلاعه . عندها عاد بونابرت الى القاهرة

ليتذر الامر على ضوء الواقع (١) فكانت حملته على سوريا والتي سندرسها بالتفصيل فيما بعد واذا كانت مسألة شق ترعة السويس لم ت تعد نطاق الفكره لأن الاحداث حالت دون ابرازها الى حيز الوجود فقد أخذ القنصل الفرنسي العام في القاهرة (FERDINAND DE LESSPS) تجسيم فكرة بونابرت وفتح ترعة السويس التي أصبحت صالحة للملاحة بتاريخ ١٧ كانون الاول سنة ١٨٦٩ .

## و - آثار الحملة على الصعيد الدبلوماسي وال العسكري

- ١ = على الصعيد الدبلوماسي
- ٢ = أثر حملة بونابرت في المباب العالمي

كان بونابرت وتليلران يعتقدان ان الامبراطورية العثمانية أصبحت قريبة الانهيار وأن من واجب فرنسا عدم فوات فرصة اقتسام تركية الرجل المريض وذلك على الرغم من علاقات الصداقة والمودة التقليدية القائمة بين فرنسا وتركيا .

وقد ظن تليلران وبونابرت عند خروج الحملة الى مصر أنه من الممكن التوفيق في وقت واحد بين عمليتين متناقضتين تماماً :

الاولى تلخص في تأكيد الصداقة نحو تركيا  
الثانية : الاستيلاء على جزء من ممتلكاتها الغنية .  
وعلى ذلك فقد أصبح للدبلوماسية الفرنسية ميدانان:

أحدهما في القاهرة والآخرة في القسطنطينية .

## ٤ = الدبلوماسية المفرنسية في مصر

حرص بونابرت كل الحرص عند استيلائه على مصر على التمسك بالصداقة نحو تركيا وأعلن عن أسباب حضوره إلى مصر معاقبة المماليك لتمردتهم على السلطان كما حاول بونابرت اقناع الباشا العثماني في مصر وبasha دمشق والصدر الأعظم واحمد باشا الجزار بأنه لم يحضر إلى مصر معادياً للعثمانيين أو معدياً على حقوق السلطان العثماني .

وقد كتب بونابرت إلى باشا القاهرة ( باكير باشا ) في ٢٣ تموز عام ١٧٩١ أن هدف الجمهورية الفرنسية من احتلال مصر هو طرد المماليك التائرين على الباب العالي . ورغم استيلاء الجمهورية الفرنسية على مصر فهي تود أن يبقى البasha نائب السلطان العثماني في مصر وأن تبقى له أمواله . وقد طلب إليه بونابرت أن يؤكد للسلطان العثماني بأنه لا ينبغي عليه أن يعتبر استيلاء الفرنسيين على مصر خسارة ذلك أن الخراج الذي كان يرسل في الماضي سوف يستمر ارساله في المستقبل . الا أن باشا القاهرة كان على رأس الهاربين مع فلول المماليك شطر الديار الشمالية ولم يجب على رسالة بونابرت وكتب بونابرت إلى الصدر الأعظم بضعة رسائل يؤكد له فيها صداقة الفرنسيين لتركيا ويشرح له الغرض من حضور الحملة إلى مصر وهو معاقبة المماليك الذين

أسأوا إلى التجارة الفرنسية كما أطلعه بأن وزير الخارجية الفرنسي تليران سيعين سفيرا لدى الباب العالي وسيزود بالتعليمات لعقد اتفاقيات مع تركيا من شأنها إزالة الصعوبات الناجمة من الاحتلال الفرنسي في مصر وتدعم الصداقة القديمة بين تركيا وفرنسا ولكن الصدر الأعظم لم يجب على رسالة بونابرت كما أن تليران لم يعين سفيرا وقد بعث بونابرت بر رسالة إلى باشا دمشق والي أحمد باشا الجزار يؤكد لها بأنه لم يكن يوما عدوا للمسلمين . وما يجدر ذكره أن بونابرت كلف المواطن (BEAUVOISINS) المندوب الفرنسي لدى الديوان في القاهرة بنقل الرسالة إلى أحمد باشا الجزار ولدى وصوله على ظهر بآخرة إلى عكا لم يقابلها الجزار وهدد بقطع رأسه اذا نزل إلى اليابسة فاضطر إلى العودة على نفس السفينة التي أقتلته إلى عكا .

### ٣ = الدبلوماسية الفرنسية في القسطنطينية

قررت حكومة المديرين إرسال الشملة الفرنسية إلى مصر قبل أن تعيين خالفا لسفيرها في الاستانة والذي توفي فجأة في أواخر عام ١٧٩٧ تاركا أعباء السفارة على عاتق السكرتير الأول فيها حيث رفع إلى مرتبة قائم بأعمال ، وقد اقترح تليران على الحكومة إرسال سفير ماهر إلى القسطنطينية ، فصل مهمته بتوكيد صداقة فرنسا نحو تركيا ورغبتها في أن تكون على سلام معها كما عليه أن يطيل المفاوضة حتى تستغرق شهرين أو ثلاثةريثما يكون الفرنسيون قد وطدوا اقدامهم في مصر كما عليه ان يعرض على الباب

العالی حلا من اثنین : اما ان يظل الباشا العثماني نائب السلطان في مصر على حالته وتستمر حکومة البلاد تدار شؤونها باسم الباب العالی شرط ان تبقى القوّة العسكريّة في ايدي الفرنسيّين الذين يحصلون على الضرائب ويدفعون منها الى تركيّا ٥٠٠ كيساً أو ٢٩٥٠٠٠ من الفرنكات سنويّاً وأما أن يتنازل السلطان عن مصر بكمال حقوق السيادة عليها الى فرنسا على أن تترك هذه الاخيره جزر الليفانت الى تركيّا

وفي ١٧ تموز ذاع في الاستانة نباء وصول الفرنسيّين الى الاسكندرية ومن ذلك الحين ذهبت سدى كل محاولة لاستمالة العثمانيّين الذين كانت تعوزهم القوّة لاظهار العداء لفرنسا علانية فصمّتوا على مضض مكتفين بالتضييق على القائم بالاعمال الفرنسي والفرنسيّين في الاستانة وفي البلدان الأخرى واستمر الحال على ذلك حتى ٢٤ آب حيث وردت الى الاستانة اخبار هزيمة الاسطول الفرنسي في أبي قير عندها كشفت تركيّا النقاع عن نواياها وفي آخر أيلول ١٧٩٨ القى الباب العالی القبض على القائم بالاعمال والرعايا الفرنسيّين وسجّنهم وكان ذلك يعني قطع العلاقات واعلان الحرب من جانب تركيّا على فرنسا .

#### ٤ - اسباب فشل الدبلوماسية الفرنسيّة

أخفت الدبلوماسية الفرنسيّة في محاولة اقناع الباب العالی بصداقه الفرنسيّين له في الوقت الذي كانت فيه جيوشهم تحتل جزءاً من الاملاك العثمانيّة . أما السفير الماهر الذي اقترح تليران ارساله الى

الاستانة فقد صرف النظر عن ارساله . وقد كان بونابرت يفضل أن يكون هذا السفير تالليران نفسه جريا على عادته من اشراك أولئك الذين يقبل النصح منهم في الاخطر التي تنجم عن قبول نصائحهم حتى يطمئن من عدم وقوع الخيانة من جانبهم أو انصرافهم عن تأييده . وقد اضطر تالليران حيال رغبة بونابرت وبعض رجال حكومة المديرين الى قبول هذه الامامة ولكنه رغم ذلك لم يذهب الى القسطنطينية .

وقد تضاربت الآراء في أسباب عدم ذهاب تالليران الى تركيا فمنهم من يقول : أن بونابرت كان يريد أن يكون هو المسيد على المفاوضات مع تركيا من مركزه في القاهرة ويقول آخرون : ان تالليران كان يخشى من أن يقبض عليه الاتراك ويلاقى به في غياهب السجون ، كذلك فان تلبد الغيم السياسي في أوروبا ذاتها جعلت من المتعذر على حكومة المديرين الاستفادة عن خدماته في وزارة الخارجية . وهكذا لم يذهب سفير فرنسي الى القسطنطينية . وقد عد بونابرت حكومة المديرين مسؤولة عن فشل السياسة التي سبق الاتفاق عليها بينه وبين اعضاء هذه الحكومة قبل ابحاره الى مصر . ذلك انه لما لم تتقدم من جانب الفرنسيين أية توضيحات للباب العالي عن الحملة ولم يحضر اي سفير الى القسطنطينية ارتمى الباب العالي في احضان انكلترا وروسيا .

## ٥ - نجاح الدبلوماسية الانكليزية في الاستانة

لم يكن من الصعب على الدبلوماسية الانكليزية ان تحول دون حصول الاتفاق والتفاهم بين الاتراك

والفرنسيين وذلك لشكوك الاتراك الظاهرة من نيات الفرنسيين وما كان يذاع من االشائعات والاخبار من أهداف الحملة في طولون والتي استولت بعد ذلك على مالطة ثم جاءت الاخبار اخيرا عن وصولها الى الشواطئ المصرية . وكان الوزير الانكليزي في الاستانة (سبنسر سميث SPENCER SMITH) شديد الانتباه لكل ما يجري من محادثات بين الاتراك وبين (روفان ) القائم بأعمال السفارة الفرنسية في الاستانة . ولم يكن المندوب الروسي ( بازيل تمارا BASILE TAMARA الانكليزي فقد خشيت روسيا من امتداد نفوذ الفرنسيين في الليفانت ( وكانت عبارة ECHELLE DE LEVANT ) تطلق على المرافئ التي كانت تابعة للسيطرة التركية مثل الاسكندرية وبيروت ) ومهما زاد مخاوف قيصرها بول الاول احتلال الفرنسيين لجزر الایونيان ثم استيلاؤهم بعد ذلك على مالطة ومع أن القيصر كان يريد السلام مع الجمهورية الفرنسية فقد اقنعته الحوادث الاخيرة بضرورة الاتفاق مع تركيا ومع اعداء فرنسا لدفع خطر الفرنسيين ونفوذهم في الليفانت .

وعلى ذلك فقد اجتمع المندوب الروسي بالاستانة بالرئيس أفندي منذ تموز سنة ١٧٩٨ ومن ذلك التاريخ سارت المفاوضات بين الاتراك من جهة وبين كل من روسيا وانكلترا من جهة ثانية وكان هدف سبنسر سميث ( SPENCER SMITH ) أن يضم الباب العالي الى جانب الدول ضد فرنسا ويعانى الحرب على الجمهورية . بيد أن الباب العالي ظل متربدا حتى اذا

وصلت اخبار هزيمة الاسطول الفرنسي في أبي قير كف الباب العالي عن ترددہ ۔ وضاعف سبنسر سمیث جهودہ فأصدر الباب العالي منشورا ضد فرنسا وضد حملتها في مصر في ۹ ایلوں وفي آخر الشهر ذاته القی (روفان) ومواطنه في السجون وكان معنی هذا اعلان الحرب من جانب تركیا على فرنسا ۔

وكان في طليعة المؤيدين لهذه السياسة ، سياسة اعلان تركیا الحرب على فرنسا ، اللورد دنلسن الذي كان يريد منذ أن انتصر على اسطول (برویس) في أبي قیر أن تعد تركیا جيشا وأسطولا لطرد الفرنسيين نهائیا من مصر فكتب من مالطة في ۲۶ تشرین اول ۱۷۹۸ - الى (سبنسر سمیث) يثنی على همته وكفاءته في العمل الشاق الذي قام به حتى يجعل الباب العالي يفكرا صحيحا ويعمل ما ينبغي عليه عمله (۱) وكان على الحكومة الانگلیزیة أن تنشط بعد هذا النجاح المبدئی لجذب الاتراك نهائیا الى المحافظة الدولية وتعاونة هؤلاء جديا على الكفاح ضد فرنسا ولطرد بونابرت وجیشه من مصر ۔

ولم تلبث انگلترا ان ادركت أهمیة الاشتراك العسكري - السريع مع تركیا لاخراج الفرنسيين من مصر عندما أصر (هنری دنداس) HENRI DANDAS وهو واحد من وزرائها المهتمين خصوصا بشؤون الهند على ضرورة اخلاء مصر من الفرنسيين صيانة للمصالح الانگلیزیة في الهند ذاتها ثم عندها قدم اخصائيوها

في المسائل الهندية أمثال الكولونيل ( FULLARTON ) ثم ( وارن هستنكرز ) التقارير لاظهار أهمية مصر لتجارة العالم بفضل موقعها الجغرافي وأهمية الاحتفاظ بمركزها او عدم سقوطها في أيدي العدو مصلحة انكلترا في الهند وزيادة على ذلك فان رغبة روسيا في الاشتراك الان في الدفع عن عدوتها القديمة تركيا كان من شأنه كله اقناع الانكليز بوجوب التدخل .

وسرعان ما وقع اختيار وزير الخارجية CRENVILLE على أحد الاخصائيين في المسؤولون التركية وهو السير سدني سميث ( SIR SIDNEY SMITH ) للتعاون مع الاتراك . فصدرت اليه التعليمات بالذهاب الى القسطنطينية على ظهر البارجة الحربية ( TIGRE ) التي استولى عليها الانكليز من الفرنسيين في تموز عام ١٧٩٠ ( ١ ) فيعمل مع اسطوله بالاشراك مع الاساطيل الروسية والتركية للدفع عن الامبراطورية العثمانية ولازعاج العدو في هذه الجبهات وقد أعطي سدني سميث حقوقا دبلوماسية تفولى الاشتراك مع الوزير الانكليزي في القسطنطينية ( سبنسر سميث وكان اخا له في المفاوضات المنتظرة ) ( ٢ ) وزيادة على ذلك وقع اختيار وزير الخارجية على الكولونيل ( كوهنر ) ( KOEHLER ) للذهاب الى القسطنطينية في بعثة عسكرية انفرض منها تنظيم واعداد الجيش العثماني وقد جاء في التعليمات التي أعطيت له ( ٧ تشرين الثاني ١٧٩١ ) - أن من واجبه بذل كل مساعدة ممكنة حتى يستطيع

BARROW VOL I P. 234

( ١ )

ELSON VOL III P. 216

( ٢ )

الحلفاء هزيمة وتدمر الجيش الفرنسي في مصر  
 وتحطيم نقالاتهم وبقية سفنهم الأخرى في ميناء  
 الإسكندرية وأبحر كوهنر إلى الاستانة في أوائل كانون  
 الأول عام ١٧٩٨ وأما السير سدني سميث فقد وصل  
 إلى القسطنطينية في آخر كانون الأول وكان وصوله  
 إليها في وقت كانت قد تقدمت فيه المفاوضات بين  
 الرئيس أفندي وبين سبنسر سميث من جانب وبين  
 الرئيس أفندي وبين المندوب الروسي من جانب آخر  
 وكان غرض الدبلوماسية الانكليزية أن تكون تركيا  
 في نطاق المحالفات المزعزع عقدها وتنظيمها هي المتردعة  
 للنضال ضد الفرنسيين في الشرق (١) وقد أسفرت  
 هذه الجهد عن عقد محالفه هجومية دفاعية لمدة ثمانين  
 سنوات بين روسيا وتركيا وفي ٥٥ كانون الأول ١٧٩٨  
 وقعها ( تمارا والرئيس أفندي احمد عاطف ) وفي هذه  
 المحالفه تعهد كل من المتعاقدين بضمانة أملاك الآخر  
 كما أعلنا أن الهدف من المحالفه ليس التوسيع وإنما  
 المحافظة على ممتلكاتها والعمل على تأييد مبدأ  
 التوازن بين الدول حرصا على السلام في أوروبا كما  
 اتفق المتعاقدان على دعوة الدول الأخرى للانضمام إلى  
 المحالفه كالنمسا وانكلترا وبروسيا ثم كافة رؤساء  
 الحكومات الأخرى . وفي ٥ كانون الثاني عقدت انكلترا  
 معاهدة التحالف مع تركيا (٢) ووقعها من الجانب  
 الانكليزي كل من ( سدني سميث وسبنسر سميث )  
 وجاء فيها أن جلاله ملك بريطانيا الذي تربطه مع  
 امبراطور روسيا المحالفه الوثيقة ينضم في هذه

CHARLES ROUX L'ANGLE. ET

(١)

L'EXPED T.I P.133

NOUADOUNGHIAN T.II P.28 - ٣١ (٢)

المحالفه المبرمه الان الى المحالفه الدفاعيه التي تم  
أخيرا عقدها بين السلطان العثماني وقيصر روسيا  
وكذلك فقد ضمن كل من المتعاقدين املاك الاخر وتعهد  
ملك انكلترا ( جورج الثالث ) بضمانة كافة ممتلكات  
الامبراطوريه العثمانيه من غير استثناء وكما كانت  
قبل غزو الفرنسيين لمصر مباشره وبما تشمل تعهد  
السلطان العثماني ( سليم الثالث ) بضمانة كافة  
الممتلكات البريطانيه من غير اي استثناء ثم نصت  
المعاهده على ضرورة موافقة الحرب بالاشراك وعدم  
اقدام احد المتعاقدين على ابرام صلح منفرد مع  
الاعداء .

وهكذا فقد كان عقد هاتين المعاہدتين مؤذنا  
بتكون المحالفه الدوليه الثانيه ضد فرنسا نهائيا .  
فقد انضمت الى الحلفاء مملکة نابولي في معاهدة  
القسطنطينيه في ٢١ كانون الثاني عام ١٧٩٩ وفي ٤  
هذه أعلنت النمسا الحرب على فرنسا تحت ضغط كل  
من انكلترا وروسيا (١) وفي هذه الظروف كانت مهمة  
السير سدنی سميث دفع الاتراك دفعا لانجاز  
استعداداتهم وبعد عملياتهم العسكريه وقد هاله أن  
يجد البحرية العثمانيه في حالة الضعف لا تمکن  
الاتراك من العمل الجدي بمفردهم وعلى ذلك فقد عول  
سدنی سميث على طلب المساعدة من انكلترا فكتب  
من القسطنطينيه في ٤ كانون الثاني ١٧٩٩ (٢) الى  
الورد ( نلسن ) يخبره بعقد المحالفه التي تحتم على

CHARLES ROUX OPERATION CIT.P.132  
BARROW VOL I P. 251 - ٢٥٢ (٢)

الإنكليز كما قال : في تنفيذها أن يبذلوا أقصى جهودهم لارجاع مصر الى الباب العالى ثم استطرد مخاطبنا نلسن بقوله : وأنكم يا سيدي اللورد قد فعلتم كثيرا في سبيل ذلك وهذا أيضا قبل أن نتعهد من جانبنا بشكل قاطع بارجاع مصر الى تركيا ولما كانت البحرية العثمانية لا تزال في مهدها ولا يستطيع الاتراك اعداد قوة كبيرة قبل الربيع القادم وهو الوقت المحدد لقيام الحملة ضد الفرنسيين في مصر هن تركيا فان الاتراك يعتمدون على الانكليز كل الاعتماد في محاصرة الاسكندرية وفي مساعدة الجزار باشا في هجومه على مصر والآن يا سيدي اللورد ذلك وحدك ان تعين مدي ما يمكنك امدادي ايام لتنفيذ كل ذلك جديدا وحتى يتسع لك الاحتفاظ بثمار النجاح الذي أحرزته في هذه المسألة .

وزيادة على ذلك فقد طلب سدني سميث من حكومته امداده بالاموال لاعداد الاسطول العثماني للعمل أو تقدم انكلترا اسطولا انكليزيا بدلا منه - وفي الوقت نفسه عقد سدني سميث الاجتماعات مع وزراء الباب العالى لاتفاق على برنامج للعمل العسكري والبحري ضد الحملة في مصر ثم أبحر الى رودس ثم الى عكا لاتفاق مع حسن بك حاكم رودس والجزار باشا حاكم عكا بقصد برنامجه العمليات الحربية (١) .

وقد اعترضت سدني سميث عدة صعوبات منها: غضب اللورد نلسن لحرمانه من الاشراف على حصار

مصر والدفاع عن المياه العثمانية وتعيين أحد الضباط ( سدني سميث ) من الذين لم يشتركوا في موقعة النيل كما ساعده ان يعطي سدني سميث حقوقا تجعله شبه مستقل في تحمل مسؤولياته عن نلسن وقيادته في البحر الابيض . وقد ازدادت صعوبات سدني سميث بسبب عدم وصول كوهنر وبعثته العسكرية الى القسطنطينية فقد تأخر خروجه من انكلترا وكانت الحاجة حاسة الى تنظيم واعداد القوات البرية - العثمانية (١) وفي الواقع كانت الضرورات ملحة لانجاز كافة هذه الاستعدادات بكل سرعة لان بونابرت في شباط ١٧٩٩ كان قد بدأ بالزحف على سوريا .

## ٩ - على المصعيد العسكري

### ١ - حملة بونابرت على سوريا

عندما باعت حكومة المديرين في القسطنطينية بالفشل كتبت الى بونابرت رسالة في ٤ تشرين الثاني ١٧٩٨ جاء فيها انه ما دام الانكليز والروس أصحاب السيطرة في البحر الابيض فمن المستحيل انشاء أية هواصلات بين فرنسا ومصر لارسال الجنود والذخائر الى هذه الاخيره فالواجب يقضي على بونابرت ان يتخذ الوسائل التي تكفل له الاعتماد على موارده في مصر فقط ولما كان من المتعذر على حكومة المديرين ارسال النجدة بسبب حراجة موقفها في أوروبا مضافة الى الاسباب الملحوظة آنفا فقد أصدرت هذه الحكومة تعليمات الى بونابرت تكتفي فيها - باقتراح ثلاثة

حلول وتترك له اختيار ما يروقه منها وهي :  
أولاً : البقاء في مصر مع تدعيم مركزه بشكل  
يمنع عنه هجوم الاتراك .

ثانياً : التقدم الى الهند ومن المنتظر أن يجد  
هناك أناسا على استعداد للانضمام اليه لتهديم  
السيطرة الانكليزية في الهند .

ثالثاً : السير برا الى القسطنطينية وسبق العدو  
الذي يهدده في عملياته .

كان بونابرت قد بدأ بالزحف على سوريا  
واستولى على بضعة مراكز هامة في حملته عندما  
وصلت اليه تعليمات حكومة المديرين .

ذلك أن بونابرت كان قد كتب الى حكومة المديرين  
منذ ١٧ كانون الأول ١٧٩٨ ينبئها ان الاتراك في سوريا  
كانوا يقومون باستعدادات عدائية .

وعندما امتنع الجزار باشا عن الرد على رسائله  
ووصلته من REYNIER التقارير عن زحف جند  
ابراهيم بك والجزار باشا نحو الحدود المصرية في ٣٠  
كانون الاول وذلك على الرغم من مسعي نابليون الاخير  
من أجل السلام مع تركيا قرر القائد العام مبادرة  
اعدائه بالهجوم والزحف على سوريا فأصدر أمرا في ١١  
كانون الثاني ١٧٩٩ حتى تبدأ مقدمة الجيش بالسير  
إلى العريش وقد أوضح بونابرت الأغراض التي كان  
يبلغى تحقيقها من هذه الحملة وهي تتلخص :

أولاً : في تدعيم الفتح في مصر ومنع الخطر عنها

من أية جيوش تهاجمها من الشرق أو تعمل بالاشتراك مع جيش أوروبي ينزل على الشواطئ المصرية .

ثانياً : ارغام الباب العالي على توضيح موقفه وحمله على تأييد المفاوضات التي لا بد وأن تكون حكومة المديرين قد بدأتها مع تركيا ثم تأييد ( BEAUCHANT ) في المهمة التي أوفده بونابرت من أجلها إلى القسطنطينية .

ثالثاً : حرمان السفن الانكليزية في البحر الأبيض من أخذ هؤلئها من سوريا .

تقدمت الحملة بقيادة بونابرت إلى غزة بعد سقوط قلعة العريش واستولت على الرملة ثم حاصرت يافا فسقطت بعد أربعة أيام بتاريخ ٧ آذار وأثناء ضربه الحصار على يافا أرسل بونابرت إلى شيوخ نابلس حتى يخيرهم بين الحرب والسلام كما كتب إلى الجزار باشا يدعوه إلى ترك القتال مع الفرنسيين والانضمام إليهم فلم يلق من الجزار باشا أي جواب وفي يافا انتشر الوباء . ولما كان بونابرت يخشى أن يؤدي وجود عدد الاسرى الكبير ( ٣٠٠٠ ) وهو في حالتهم السيئة الرثة إلى كثرة الاصابات بين الفرنسيين ولما كان الجندي يتذمرون من قلة المؤن لديهم وكان الجيش على وشك استئناف الزحف على العدو فقد واجهت بونابرت مشكلة البت في أمر هؤلاء الاسرى ولذلك عقد القائد العام مجلسا عسكريا من قواده لبحث موضوع هؤلاء الاسرى ، فاتجه الرأي أولا نحو إرسالهم إلى مصر ولكن لم تثبت أن اعتراضت الأخذ بهذا الرأي صعوبات منها عدم وجود المؤن الكافية لتغذية الاسرى في أثناء سيرهم الشاق إلى مصر ثم

عدم وجود العدد الكافي من الجنود حتى يمكن الاستغناء عن فريق منهم لحراسة الاسرى في عودتهم وكذلك كان يخشى من ارسالهم بطريق البحر حتى لا تتعرض سفن الانكليز لهم وأخيرا قر الرأي على اعدامهم رهيا بالرصاص بدلا من تركهم يموتون جوعا في يافا أو اعطائهم الفرصة حتى ينضموا ثانية الى الاعداء وقد علق صاحب تاريخ الحملة العلمي وال العسكري (١) على هذا العمل قائلا :

« ان المذبحة كانت ولا شك وصمة في جبين أولئك الذين كان في استطاعتهم منعها فإنه مهما انتhalbت الاذار لهذا الفعل الشنيع فقد سلم هؤلاء الاسرى أنفسهم ولا ينبغي بأي حال من الاحوال ومهما كانت الاسباب تحطيم الوعود ونسيان قوانين الحرب المعمول بها » .

الا أن بونابرت في كتاباته في جزيرة SAINTE HELENE ) يشرح الاحداث التي تبرر ضرورة اقدامه على اعدام الاسرى فقد ألمح في احدى مذكراته التي كتبها في جزيرة SAINTE HELENE ) عن الضرورة الملحة التي دفعته الى اعدام هذا العدد الكبير من الاسرى فقد زعم انه يوجد في موقع يافا عدد كبير من الجنود الاتراك لم يمض وقت طويل على وقوعهم في الاسر في معركة العريش وكان بونابرت قد قرر تسليمهم باتجاه بغداد بعد أن عاهدوه بأنهم سيعتزلوا الخدمة أو انهم على الاقل لن يحملوا السلاح في وجهه مدة سنة وعلى هذا الاساس فقد وجهوا

على طريق بغداد تواكبهم قوات فرنسية على مسافة  
٥٠ كيلومترا تقريرا .

الا ان هؤلاء الاتراك بدلا من الذهاب الى بغداد  
عرجوا على يافا وتمركزوا دفاعيا فيها مسببا خسائر  
هامة في القوات الفرنسية عند وصولها الى يافا فلو  
اتخذ بونابرت ذات الموقف حيالهم لكانوا تقدموه  
الى عكا وعززوا الدفاع فيها . ثم اضاف بونابرت بأن  
موجباته كقائد تحتم عليه ضمان التأمين والحرص  
على جنده من اعتداءات مماثلة من قبل هؤلاء الاسرى .  
لقد كان يستحيل على بونابرت ابقاء عدد كبير من  
جنده الذي يتضاعل عدده يوما بعد يوم لتأمين حراسة  
هؤلاء الاسرى ولهذا فقد كان اعدام هؤلاء الاخرين  
أضمن وسيلة للاحتفاظ بأكبر عدد من القوات الفرنسية  
لمتابعة القتال (١) . لقد كان اجتياز الصحراء الشاق  
والانتقال من مناخ جاف الى مناخ رطب وممطر من  
العوامل التي أثرت على صحة الجنود الفرنسيين كما  
أن الطاعون الذي نقلت جراثيمه من مصر بعض قطع  
الحملة قد تفشي في الجيش وانزل به خسائر فادحة  
فقد غصت المستشفيات بالمصابين ولاذ المرضىون  
بالهرب تجنب العدو ولكن بونابرت رغبة في رفع  
معنويات الجندي لم يتردد في عيادة هؤلاء المرضى فكان  
يتفقدهم في المستشفى وبرفقته هيئة أركان الحرب  
وكان يوزع عليهم الدراهم والمؤن ويتوجه اليهم  
بعبارات مشجعة ولما أشار عليه الاطباء بمغادرة  
المستشفى نجبا لالتقاط العدو أجابهم بهدوء قائلا :  
( هذا من واجبي اني قائدكم ) (٢) .

(١) BONAPARTE EN EGYPTE P. 276 - 277  
(٢) BONAPARTE EN EGYPTE P. 277 - 279

## الجزار باشا وبونابرت

في ١٨ آذار عام ١٧٩٩ بدأ بونابرت في حصار عكا وكان حصاراً طويلاً شاقاً دام ثلاثة أشهر وقد صمدت عكا أمام الفرنسيين بفضل مقاومة الجزار باشا ثم بفضل المساعدة التي قدمها سدني سميث من البحر إلى المحاصرين وقد سبق بونابرت في الوصول اليهما بيومين ثم استطاع أن يفتح الطريق لوصول النجدة من رودس إلى عكا كما شتت أسطولاً من السفن الفرنسية كان يحمل مدافعاً للحصار إلى بونابرت . وقد ساعد الجزار باشا في تقوية الدفاع عن عكا الكولونيل « PHÉLIPEAU » المهندس الفرنسي ومن أصدقائه سدني سميث ومن أعداء الجمهورية وعلى ذلك فقد أخفق بونابرت في حصار عكا . وقد حاول أثناء هذا الحصار استمالة زعماء البلدان المجاورة إليه وتنفيرهم من الجزار باشا فكتب إلى ابن الشيخ عمر ظاهر كما كتب إلى بشير الشهابي وإلىشيخ نابلس فلم يحصل على آية نتيجة من ذلك . وقد اشتبك الفرنسيون حول عكا في جملة مواقع كان أهمها موقعه جبل طابور أبلى فيها الجنرال ( KLEBER ) بلاء حسناً بالاشتراك مع بونابرت وأصبح طريق الشام مفتوحاً أمام الفرنسيين ولم يمكن بونابرت من التقدم سوى وجود العدو الممتنع في عكا في مؤخرته وقد كانت خسائر بونابرت في هذا الحصار كبيرة حيث خسر عدداً لا يستهان به من خيرة قادته وضباطه وجنده فقتل من القادة ( DETROYE )

CAFARELLI BON فقر عن ذلك العودة إلى مصر  
لقد عني بونابرت عنابة فائقة بنقل الجندي  
والمرضى من سوريا إلى مصر فأرسل ثمانمائة بطريق  
الصحراء وألف ومائتين بطريق البحر حيث أبحر  
أكثراهم من يافا كما أمر بوضع كافة الخيول تحت  
تصرف الجندي لنقلهم دون أن يستثنى الخيول  
الخاصة به (١) وفي ١٤ تموز دخل بونابرت القاهرة  
دخول الظافر المنتصر وان كان في الحقيقة يجر أذى  
الخيالة التي هنـي بها أمام أسوار عكا المنيعة .

### عودة بونابرت إلى القاهرة

عاد الجيش الفرنسي إلى القاهرة في ١٥ حزيران  
لقد أخفقت حملتا مصر وسوريا، أن انتصار الفرنسيين  
في معركة أبي قير البرية بتاريخ ٢٥ تموز على الجيش  
التركي البالغ عدده سبعون ألف رجل والقائهم في البحر  
لم يعوض عن هذا الإخفاق . فمنذ ستة أشهر لم تصل  
إلى مسامع بونابرت أخبار عن فرنسا ولكن وقوع  
بعض مجازات بين يديه صدفة اطلعته بأن فرنسا  
أصبحت على وشك الانهيار : ثورات في الداخل وانهزام  
جيش الرين ( RHEIN ) وانكسار جيش إيطاليا  
وضياع إيطاليا .

عندما سطعت في ذهن بونابرت فكرة العودة إلى  
فرنسا . ففي ١٩ آب غادر بونابرت القاهرة دون علم  
أحد إلى الإسكندرية وهناك أعطى الاميران  
( GANTHEAUME ) أمراً بأن يحضر سراً البارجتين

اللتين نجتا من كارثة أبي قير وهم  
LA CARRIERE LA MUIRON

لقد كان على نابليون أن يختار بين أهرين :  
الأول : خيانة الجيش - والثاني : خيانة فرنسا  
ولقد اختار بونابرت الامر الأول ولبى نداء القدر .  
وفي ليل ١٤ أب أبحر بونابرت على البارجة  
( MUIRON ) وفي صباح اليوم التالي احتفى الساحل  
المصري عن عينيه . لقد كانت الرحلة شاقة تحف بها  
الخطار من كل جانب فالاسطول الانكليزي يحوب البحر  
المتوسط من أقصاه إلى أقصاه .

استطاع بونابرت الوصول إلى ( PREJUS )  
صباح ٩ تشرين الأول وفي مساء ذلك اليوم توجه إلى  
باريس ( ١ ) .

## المفصل الخامس

### هصیر الحملة الفرنسية في مصر بعد أيام بونابرت الى فرنسا

أسند بونابرت قبل سفره من مصر قيادة الحملة الفرنسية الى الجنرال كليبر وترك له تعليمات خطية ضمنها وعودا معمولة لا تخلو من بعض التشجيع . كما ترك نداء للمجند أعلن عليهم في ٢٣ آب وهذا نصه :

« أيها الجنود أن الحالة في أوروبا تضطرنـسي للعودة الى فرنسا . أترك قيادة الجيش الى الجنرال كليبر (KLEBERE) سأوافي الجيش بأنبائي . لا أستطيع الافصاح أكثر من ذلك ولئن اضطررت الى فراق الجنـد الذي طالما أحببته فلن يكون هذا الفراق الا وقتيا » .

أما التعليمات التي تركها الجنـرال كليـبر فقد تضمنـت ما يلي :

ان حـكومـه المـديـريـن سـتطـاعـكـ مـباـشـرة بـعـدـ الـيـومـ عـلـىـ نـيـاتـهاـ وـأـنـاـ مـنـ جـانـبـيـ كـرـجـلـ ذـيـ صـفـةـ رـسـمـيـةـ وـكـمـواـطـنـ عـادـيـ سـأـفـعـلـ هـاـ يـلـازـمـ لـامـداـدـكـ حـيـنـاـ بـعـدـ حـينـ

بما يكون لدى من اخبار ومعلومات . واذا طرأت احداث غير متوقعة ولم تنجح محاولاتنا فلم يصلك مدد او معونة من فرنسا او اذا لم تجد الاحتياطات الصحية المتخذة ودخل الطاعون الى مصر وقتل من جنودك ألفا وخمسمائة رجل فلك عندئذ ان تكف عن القتال . واني أعطيك تفويضا بعقد الصلح مع الباب العالي ولو كان شرط الصلح الجلاء عن مصر ولكن عليك ان تستبعد تنفيذ هذا الشرط ما استطعت وتربيطه بعقد الصلح العام في أوروبا .

وأنت تعلم ما هي أهمية مصر بالنسبة لفرنسا وترى أن الامبراطورية التركية تتداعى من كل جانب وقد تنهار غدا . ولهذا فان انسحابنا من مصر سيكون كارثة علينا لانه لم يمض وقت طويل قبل أن تقع في يد دولة اوروبية أخرى . واذا أحاب الباب العالي على طلب فتح المفاوضات الذي بعثت به اليه قبل ان تصلك اخبار عنى من فرنسا فليكن جوابك أن لك من الصالحيات مثل ما كان لي وادخل معه في المفاوضات وجدد له التأكيد بأن فرنسا لم تفكر قط في انتزاع مصر منه وطالبه بالانسحاب من صفوف المتحالفين وبالاعتراف لنا بحق البابار في البحر الاسود وباطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وأخيرا بهدنة لستة أشهر وهي المدة الازيدة لا برام المعاهدة وتبادل وثائقها . واذا اضطررتك الظروف الى الاصراع في عقد الصلح فافعل . ولكن قل أنك لا تستطيع التنفيذ الا بعد الابرام . ومن الامور المتفق عليها دوليا أن الفترة التي تقع بين توقيع الصلح وابرامه تكون هدنة يمتنع فيها الفريقان

عن القيام بأي عمل حربي أو عدائي . (١) .  
هذه نبذة من التعليمات التي تركها بونابرت  
لكلير وقد كان ييفي من ورائها أن يجعل مصر  
موضوع مساومة مع الباب العالي وإداة استدرج  
لأخرجها من التحالف الدولي الثاني ضد فرنسا .

### موقف كلير حيال بونابرت وأرأوه

لم يكن كلير شديد الاقتناع بمضمون هذه  
التعليمات التي كان وقعها عليه أشبه بوقع الصاعقة  
وشعر بحراجة الموقف وبثقل التبعة التي ألقيت على  
عاتقه كما ساعده أن يتملص بونابرت منها وقد ظهر  
هذا الاستيءاف في رسالة وجهها إلى الجنرال (MENOU)  
في ٢٤ آب سنة ١٧٩٩ ( جاء فيها أن الطير قد فر من  
وكره ) كما طلب فيها إلى الجنرال (MENOU) أن  
يعطيه ايضاحات عن رحيل البطل وصاحب المبجليين  
وهي عبارة تنضح بالسخرية والتهكم .

وكان كلير يعتقد أن حملة مصر أكبر خطأ  
ارتكبته حكومة المديرين وإنها حملة فاشلة بسبب  
ارتجالها وخلوها من الدقة في التنظيم . ولا شك أن  
كلير كان مصينا في حكمه بعد أن أصبح رجال الحملة  
أشبه بمجموعة بشرية أسيرة منها بقوة محاربة وقد  
قطعت عليها سبل الاتصال بالوطن بعد تدمير  
الاسطول الفرنسي في أبي قير .

---

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي من ١٧٨٩ إلى ١٩٥٨ -

أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٣٠ - ١٣١ .

وكان بونابرت قد غادر مصر دون علم أحد تاركا  
وراءه جيشا قتل نصفه في حروب سوريا وثورات  
القاهرة والهماليك وليس في وسع العدد القليل الباقي  
أن يصمد أمام البريطانيين والترك والروس لأن ليس  
لديه ما يكفي من السلاح والذخيرة ولا مال عنده  
لتدارك الحال ودفع ما استحق ويستحق للجند فراحوا  
يبحثون عن الكسب والرزق بالطرق المحرمة فيسطون  
وينهبون (١) .

تقطعت أوصال آمال كليبر بوصول النجدة المازمة  
إليه من فرنسا لانقطاع المواصلات بينه وبين الوطن  
الأم فقرر الدخول مع العثمانيين في مفاوضات للصلح  
على أساس جلاء شريف .

## ٢ = آراء بعض قادة الحملة الفرنسية بصدق

### عودة بونابرت

وقد كان لعودة بونابرت إلى فرنسا بهذه الصورة  
المفاجأة صدى في نفوس بعض القادة ولا سيما كليبر  
وأعوانه أمثال تاليان وبوسيلينغ ودوغا (DUGUA)  
الذين كانوا يرون في الحملة على مصر عملا فردياً أقدم  
عليه بونابرت سعيًا وراء المجد لا تنفيذاً لسياسة  
وطنية وقد انتهى هذا العمل الفردي بتراجع بونابرت  
عنه وعدم المضي فيه .  
لكن فريقيا آخر من قادة الحملة كان لا يزال متفائلا

بالنجاح أمثال (MENOU) و (DESAIX) وكان يرفض قبول الهزيمة والنزول عند حكم الاعداء . وقد حاول (MENOU) الذي كان قائداً موقعاً الاسكندرية أن يقنع كليبر بضرورة المفاوضة مع الصدر الأعظم لسلخه عن حلفائه فقرر كليبر تعيين الجنرال (MENOU) للقيام بالتفاوضة ووجه له أمراً بتسليم قيادة موقع الاسكندرية إلى الجنرال لأنوس والحضور إلى القاهرة حيث كان كليبر بانتظاره ولكن الجنرال (MENOU) عندما علم بأن كليبر قد اختار الجنرال بوسيلينغ كمساعد له في المفاوضة وكان بوسيلينغ من محبذى الجلاء عن مصر اعتذر عند ذاك الجنرال (MENOU) عن الحضور إلى القاهرة بحجة أنه لا يملك فلساً واحداً للانتقال من الاسكندرية إلى القاهرة كما أوجس الجنرال (N. M.) خيفته بأن الجنرال كليبر مزعوم على اللحاق ببونابرت وأنه أيضاً من محبذى الجلاء .

ثم وجه الجنرال (MENOU) إلى الجنرال (KLEBER) تقريراً ضمته رأيه في مصر وأهميتها من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية وأنها كافية للتعويض عما خسرته فرنسا من مستعمرات في الهند والانتيل (١) وأنه لا بأس من التفاهم مع بريطانيا على أن تترك لها الهند وتجارة الخليج الفارسي وتمتنع عن إرسال اسطولها الحربي إلى البحر الأحمر

---

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٣٣ .

مقابل بقاء الجيوش الفرنسية في مصر . ولم يكن الجنرال ( MENOY ) ليستبعد امكان اقناع بريطانيا بهذا لأن روسيا بدأت تتوسع في المتوسط وليس من صالح بريطانيا أن تتغلب روسيا في الشرق وأسيا .

ولما كان الجنرال كليبر مصمما على المفاوضة مع العثمانيين بغية الجلاء بسلام وكان يبرر تصميمه هذا الى انه تتمة لما شرع به بونابرت في كتاب وجهه الى المصدر الاعظم بهذا الصدد في ١٧٩٩ آب ١٧٩٩ فقد كتب الى يوسف باشا في ١٧ أيلول ١٧٩٩ رسالة جاء فيها :

... فليكن لسعادتك مجد عقد الصلح . فالصلح أعظم خدمة يمكن أن تؤديها لوطنك . والفرنسيون لا يخشون اعداءهم . ولا يجزعون من الحرب وهم ما فتئوا يقدمون الادلة على هذا منذ عشر سنين ولكنهم يعتبرون الحرب القائمة بينهم وبين الباب العالي صديقهم التقليدي حربا ضد أنفسهم .

وترانا نبكي من انتصاراتنا لأنها تضعفكم وتهدى من قوة جيوشكم التي لا بد لها ولنا من الانضمام لنقاتل معا أعداءنا الحقيقيين . ومصر كانت لكم وستبقى لكم . بل هي لكماليوم أكثر منها بالامس لأن الاماليك قد أقصوا عن حكمها ولن يحكموها بعد الان . (١)

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ص : ١٣٤ .

اعتبر الصدر الاعظم رسالة كليبر كما اعتبر كتاب بونابرت دليل ضعف من جانب الفرنسيين ولم ينخدع بمضمونهما فأرسل جوابا على الرسائلتين طافحا بالعنجهية التركية قائلا :

أن الفرنسيين اعتدوا على مصر بدون سابق انذار واحتلوا هذا البلد التابع مباشرة للباب العالي وما يثير العجب أن تكتبوا إلى بعد عمل كهذا أن الجمهورية الفرنسية صديقة لنا ٠٠٠ أما وقد بدأ من جانب فرنسا هيل صحيح إلى الصداقة القديمة مع الباب العالي فان الصدر الاعظم يقبل أن يعفو عنها ويعيد جميع الفرنسيين الموجودين في مصر إلى بلادهم آمنين سالمين (٢) .

تقبل الجنرال كليبر هذا الجواب برحابة صدر  
محاولاً اقناع ناقل هذا الجواب محمد رشدي أفندي وهو  
أحد القادة العثمانيين بأن مصلحة الفريقين تقتضي بالا  
يصر الصدر الاعظم على أن يتم جلاء الفرنسيين عن  
مصر فوراً لأن ذلك يفتح أمام روسيا باب التدخل في  
مصر كما حرص الجنرال كليبر على أن يصب جام  
غضبه على روسيا دون التعرض إلى بريطانيا بشيء  
وأنه كان يعتقد بأن العثمانيين يكنون الصداقية  
لبريطانيا لما أظهرته من مساعدة لهم .

وما كاد الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا يقبل  
باجراء مفاوضات منفردة مع القائد الفرنسي حتى وجه  
سدنبي سميث من سفينته ( النهر ) الراسية أمام  
دمياط الى كليبر رسالة ضمنها وجهة نظر بريطانيا في

١٣٥ : ذات المصدر (٢)

## موضوع جلاء للفرنسيين .

وقد استند سدني سميث فيما تضمنته رسالته الى كتاب تلقاءه من اللورد سبنسر في ٦ آذار سنة ١٧٩٩ بصدده جلاء الفرنسيين عن مصر جاء فيه :

أننا سنسهل على الفرنسيين جلاءهم عن مصر بكل الوسائل الممكنة . وأني أرى من واجبي أن أؤكد لبونابرت أننا مستعدون لسماع كل اقتراح معقول . ولما كان الذباب لا يصاد بالخل فعلي أن أقدم له العسل ولن يقتصر تقديمي هذا الجسر الذهبي إلى بونابرت وحده وسأسعى لتقديمه بطرق غير مباشرة إلى كل من أفراد جيشه (١) .

ولما كانت مهمة سدني سميث في البحر المتوسط عسكرية وسياسية معا فقد رأى أن يقف موقفا فعالا أزاء ما سيجري من مفاوضات بين القائد الفرنسي والصدر الأعظم ولو هذا فقد وجه الاميرال سدني سميث إلى الجنرال كليبر رسالة طويلة نقتطف منها ما يهم الموضوع :

« قال : لما كانت بريطانيا ذات مصلحة سياسية في الامور التي تناولتها الرسالتان - ويعني بها رسالة كليبر إلى الصدر الأعظم - فإن باستطاعتي أن أدلّي برأيي في الموضوع سيما وأن المادة الخامسة من معاهدة التحالف الموقعة بين بريطانيا وتركيا في ٥ كانون الثاني عام ١٧٩٩ تنص على أن لا يحق لدولة من الدهلي المتحالف أن تعقد صلحا أو هدنة بدون أن تشرك

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي ص : ١٣٦ .

حلفاءها في ذلك وتومن مصالحهم وسلامتهم . كما نصت المادتان الثامنة والتاسعة من ذات المعاهدة أن الفرقاء المتعاقدين هم في حالة حرب ضد عدو مشترك قد اتفقوا على أن يكونوا يدا واحدة فلا يتم صلح ولا تعقد هدنة إلا باتفاقهم جميعا كما تعهدوا بتبادل الرأي وبأن يطلع أحدهم الآخرين على تفكيره فيما يتعلق بشؤون الحرب ومدتها وشروط الصلح . هذه هي العهود التي تربط الحلفاء . ولا شك يا حضرة الجنرال بأنك ستخرج من قراءة ما تقدم مؤمنا بأن الحكومة العثمانية المعروفة من قديم الزمان بالاستقامة والوفاء لن تنحرف لحظة واحدة عن واجب العمل (١) بالاتفاق مع الدولة التي أتشرف بتمثيلها . أن اقتراحتنا على الجيش الفرنسي أن نؤمن له طريقا حرّة في حالة جلائه عن مصر قد تجاهلت القيادة الفرنسية حتى اليوم ووصفته بأنه محاولة لافساد افراد هذا الجيش . ولم يكن هدف الذين تقدمو بهذا الاقتراح سوى حقن الدماء والحد من الألام التي يعانيها جنود منفيون . على أن وقت الأفادة من هذا الاقتراح الكريم لم يفت بعد . ولن يجيء الفرنسيون من بقائهم في مصر إلا مصائب فوق مصائبهم . أن الاقتراح الذي أجده لكم اليوم لا مرد له إلا الروح الإنسانية . وفي الأوضاع السياسية الحالية ما يفرض علينا الرجوع عنه . ولكن التقاليد البريطانية توجب على البريطانيين أن يكونوا عند القول الذي أعطوه ولو ان في الوفاء للقول المعطى تأثيراً غير مستحب على مصالحهم الحاضرة . أما

(١) ذات المصدر : ١٣٧ .

الصنع العام فيجب أن تفهموا جيداً أنه أمر مستحيل الوقوع قبل الجلاء عن مصر وهذا الجلاء أساسي . فكلما أسرعتم فيه أسرعت فكرة الصلح في الرجوع إلى العالم (١) .

تلقي الجنرال كليبر كتاب الاميرال البريطاني المدون بمداد القساوة والعنجهية ، برحابة صدر وأرسل جواباً مهذباً إلى الاميرال سدني سميث يوافق فيه على الجلاء عن مصر إذا كان هذا الجلاء ثمناً للصلح العام كما جاء في رسالته ما يلي : أن القوى التي بيدي تكفيني لمدة طويلة . ومهما تكن رقابة الاعداء في المتوسط يقظة ودقيقة فإنها لن تمنع وصول المددلينا أن الغاية التي أسعى إليها هي الصلح والسلام . أن سلامية الامبراطورية العثمانية التي هي أساس التحالف بين بريطانيا والباب العالي هي أيضاً موضوع عطف الجمهورية الفرنسية . وإذا كنت أقبل أن يكون الجلاء نتيجة لفاوضات الصلح فأني لا أستطيع قبول الفكرة التي تريده أن تكون مقدمة لهذه المفاوضات وأنهى كليبر كتابه قائلاً : لقد حان لامتنين قد لا تحب أحداهما الآخرى وعدم الحب لا ينفي الاحترام والتقدير أقول لقد حان لامتنين هما طليعة الحضارة الاوروبية أن توقفاً القتال بينهما (٢) .

عندما أقنع الاميرال البريطاني الصدر الأعظم بأنه من الأوفق أن تبدأ المفاوضات في جو تكون فيه

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعند  
اسماويل ص : ١٣٨ .

(٢) ذات المصدر ص : ١٤١ .

لهم أي لتركيا وبريطانيا - الكلمة العليا فيه وقررا القيام بحملة عسكرية من جانب تركيا يلين معها عود القيادة الفرنسية كما اتفقا على أنه في حال فشل الجيش التركي فعندئذ تدخل بريطانيا طرفا ثالثا في النزاع وقد كان الاميرال سدنى سميث موقفنا بنجاح الحملة التركية وبأن انتصارا تحرزه هذه الحملة على الفرنسيين يمكن تركيا وبريطانيا من املاع شروط الجلاء على الجنرال كليبر .

ولهذا فقد أنزل العثمانيون في أول تشرين الاول عام ١٧٩٩ جيوشهم في الساحل المصري عند دمياط لحماية البوارج الانكليزية ولكن القوات الفرنسية ألحقت بهذه الجيوش الهزيمة فرددت بعضها وقضت على البعض الآخر . وبالرغم من انتصار الفرنسيين على الاتراك فقد بقي الجنرال كليبر مصرًا على متابعة المفاوضات بينه وبين الصدر الاعظم وذلك بالرغم من معارضة الجنرال ( DESAIX ) الذي حذر الجنرال كليبر من دسائس الاميرال البريطاني وقد جاء في كتاب الجنرال ( DESAIX ) إلى الجنرال كليبر أن لسدنى سميث غاية واحدة وهي اقناعنا بضرورة الانسحاب من مصر في أسرع وقت . وأن هذا الرجل راغب في المفاوضة . واذا عدوك طلب شيئاً فكن على يقين ان هذا الشيء يؤلمه جداً أن يكون في يدك فعليك الا تجبيه الى طلبك .

الا أن كليبر بقي مصرًا على موقفه ومعلنًا رغبته في متابعة المفاوضات .

وفي ٢٨ تشرين الثاني عام ١٧٩٩ وافق المُصدر  
الاعظم على مبدأ الدخول في المفاوضات وفوض هرغما  
الاميرال سدنى سميث أن يقوم بها باسم السلطان  
كما اختار كليبر للتفاوض باسمه كل من القائدين  
( DESAIX ) وبوسيلينغ وطلب اليهما التشدد في أن  
يكون الجلاء ثمناً للمطالب التالية :

١ = انسحاب الجيش الروسي من الجزر الایونية  
واعادتها الى فرنسا .

٢ = انسحاب الباب العالي من الحلف مع روسيا  
وبريطانيا والنمسا .

٣ = تعهد بريطانيا ببقاء هالطة بيد الجمهورية  
الفرنسية ورفع الحصار الذي ضربته عليها بعد معركة  
أبي قير .

٤ = انهاء الحرب بين فرنسا وتركيا .

٥ = يتم انسحاب الفرنسيين من مصر بكميل  
معداتهم وأسلحتهم وينقلون الى المرافئ الفرنسية  
التي يختارونها على سفن تركية لا بريطانية (١) .

لقد تشدد الجنرال كليبر بهذه المطالب بعد أن  
لاحظ تراخيًا في صفوف معاونيه وميلًا الى القبول

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل

اسماويل ص : ١٤٢ .

بالشروط التي ي يريدها البريطانيون كما كان يريد أن يطول أمد المفاوضات عليه يتلقى من فرنسا أخبارا تساعده على معرفة التطورات وقد كان الجنرال كلير يتوقع بأن سدني سميث يرفض مقترحاته وأن روسيا سترفض الانسحاب من الجزر اليونية دون مقابل كما أن بقية المطالب تتعدى صلاحيات سدني سميث وتنصل بالسياسة العليا .

كما كان كليبر يهدف من وراء هذه الشروط  
اقصاء تركيا عن حلفائها وعقد صلح منفرد معها دون  
الرجوع الى حكومته كما فعل بونابرت في معاهدة  
كامبوفور ميو عقب انتصاره الساحق على النمسا .  
وبتاريخ ٢٣ كانون الاول سنة ١٧٩٩ اجتمع المندوبان  
الفرنسيان والاميرال سدني سميث على ظهر دارعته  
(النمر) لبدء المفاوضات فأعلن المندوبان الفرنسيان  
أن قائد الحملة الفرنسية مستعد للجلاء عن مصر  
مقابل اعادة الروس للجزر اليونية لفرنسا .

عندما أرسل سدنبي سميث إلى المدير الأعظم يوسف ضياباً باشا الذي كان يومذاك في يافا بوجوب الرد على الاقتراح الفرنسي بعمل حربي ونحو الزحف إلى العريش وأحتلال قلعتها وقد أراد سدنبي سميث امتحان أعصاب الجنرال كليبر ومعرفة مدى تمسكه بطلبه فما كان من كليبر إلا أن كتب إلى الجنرال ( DESIX ) يوعز إليه بالتساهيل ما استطاع لانهاء المفاوضات .

وحدث في تلك الاثناء أن وردت إلى كليبر أخبار

من فرنسا عن الاضطرابات الداخلية فيها وحشد الجيوش الأجنبية على حدودها فأدرك ان التشدد بوجه سدني سميث عمل في غير محله وأن الوضع في فرنسا سيزيد سدني سميث تصلبا في موقفه ولهذا فقد كتب كليبر الى ( DESA IX ) وبوسيلف أن يتراجعا عن الشروط السابقة ويربطا الجلاء بشرطين فقط .  
١ = وقوف الباب العالى على الحياد .

٢ = عودة جيوش الحملة الى فرنسا بحرية تامة  
( ١ ) .

٣ = عدم موافقة الصدر الاعظم على اقتراح كليبر .

الا ان الصدر الاعظم يوسف باشا لم يرضى باقتراح كليبر وأعلمته برسالة أن الباب العالى غير مستعد لتبديل موقفه من حلفائه واعتماد سياسة الحياد وأنه سيواصل الاعمال الحربية ضد الجيش الفرنسي الى أن تقبل قيادته بالجلاء عن مصر دون قيد ولا شرط .

عندما ثارت ثائرة ( DESAIX ) وعد تصليب الصدر الاعظم تحديا لكرامة الفرنسيين فكتب الى كليبر يقول : ( أن المفاوضة مع العثمانيين الذين يعملون بتعليمات سدني سميث أصبحت لا تطاق فهم يصرؤن على الجلاء دون قيد أو شرط وهذا ما اعتبره

( ١ ) السياسة الدولية في الشرق العربي - ص : ١٤٤ .

استسلاماً يتنافى وكرامة الجيش الفرنسي وأننا لا  
صلاحية لي لتوقيع وثيقة استسلام . )

أما رفيقه الجنرال بوسيلغ فلم ير في الامر  
غضاضة وكانت لا يرى في الجلاء بدون قيد او شرط انتقاماً  
من الكرامة والآباء . فكتب الى كليبر رسالة يستحثه  
فيها على قبول شروط الصدر الاعظم لانه ( المندذ  
الوحيد الى الخلاص من الازمة العصبية (١) .

#### ٤ = اقتناع الجنرال كليبر بضرورة الموافقة على الجلاء

اقتنع كليبر بضرورة الموافقة على الجلاء بدون  
قيد أو شرط على أن يتم نقل الجيوش الفرنسية الى  
بلادها على سفن تركية وبجوازات مرور بريطانية  
وأرسل الى ( DESAIX ) يطلعه على موافقته وأنه  
يعتمد عليه في أن لا يكون في اتفاق الجلاء ما ينطوي  
على معنى معانٍ الاستسلام والهزيمة وذيل  
رسالته بعبارات تكشف عما في قلبه من عداء دفين  
لبونابرت حيث يقول فيها : عليك أن تواجه الحقيقة  
وهي أن بونابرت قد ضحي بهذه البلاد قبل أن يغادرها  
إلى فرنسا . وهو لم يهرب منها إلا ليوفر على نفسه  
قبول ما نحن مضطرون الآن إلى قبوله . :

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أمبل الخوري وعادل  
اسماويل ص : ١٤٥ .

وقد أراد كليبر أن يدحض عن نفسه في الحاضر والمستقبل فكرة الاستسلام فشاور في الأمر أحد أصدقائه المخلصين - الجنرال ( DUMAS ) واتفقا على أن يشارك كليبر في القرار أركان حربه وغيرهم من كبار الضباط فدعاهم إلى مجلس حربي عقد في القاهرة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ تقرر فيه : قبول الجلاء عن مصر دون قيد أو شرط . معللين قرارهم بسبب الظروف القاسية التي تمر بها الحملة وعدم ارسال المؤن والمعدات والمساعدات لها رغم نداءات القائد العام المتتابعة مما جعل مجلس الحرب يؤمّن بـأن المحافظة على مصر لم تعد ممكناً وأن محاولة تأمينها بالنزول مع الاعداء في معركة طاحنة لن تفيد في الواقع شيئاً ولو كتب النصر فيها للجيش الفرنسي ( ١ ) .

وفي ٤٢ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ تم بين العثمانيين والفرنسيين في العريش وضع اتفاق يحدد كيفية انسحاب الجيش الفرنسي من مصر بسلامه وعتاده في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ الاتفاق .

= تهذب الاتهيرال سدنی سهیث عن توقيع  
الاتفاق

ولما طلب الى الاميرال سدنى سميث أن يوقع  
الاتفاق أبى أن يتبنى نتيجة مفاوضاته الطويلة بحجة  
أن بريطانيا طرف ثالث في النزاع ناسيا قوله في

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٤٦ .

خطابه الى كليبر بتاريخ ٢٦ تشرين الاول عام ١٧٩٩ أن بريطانيا تعتبر نفسها بمقتضى معاهدتها مع الباب العالي الموقعة في ٥ كانون الثاني سنة ١٧٩٩ طرفا أساسيا فيه .

وهما لا شك فيه أن سيدني سميث تمنع عن توقيع الاتفاق ليحتفظ لحكومته بحق الرفض وعدم التقيد بأحكام الاتفاق اذا قضت بذلك مصلحتها وتطورات الأحداث .

أرسل كليبر صورة اتفاق العريش الى الحكومة الفرنسية في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ مرفقة بكتاب مسحوب يبرر فيه أقدامه على القبول بالشروط العثمانية لكن حكومة الادارة (المديرين) كانت قد رالت من الوجود بتاريخ ٩ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ وحلت محلها حكومة قنصلية تبوا بونابرت المركز الأول فيها لانه كان روح الانقلاب وسيفه ودماغه . وكان أول ما فكر به بونابرت هو تدارك أمر الرفاق الذين تركهم في مصر فوجه اهتمامه الى معالجة الازمة المصرية مع الباب العالي . ولهذا طلب الى سفير فرنسا السابق في القسطنطينية السفر الى الشرق والاتصال بالصدر الاعظم ومفاوضته في بقاء الجيوش الفرنسية في مصر بموافقة السلطان لقاء امتيازات يعترف له بها . ولكن قبل أن يغادر السفير فرنسا وصلت أخبار اتفاق العريش الى باريس فألغى مهامته (١) وقد حاول بونابرت في كانون الثاني عام

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٤٧ .

١٨٠٠ ايفاد عدد كبير من الجنود والمعدات من برسلي الاسكندرية ولكن أسطولاً بريطانياً ضخماً كان يسدد عليه الطريق قوامه سبع وأربعون بارجة ضخمة فاضطر بونابرت إلى العدول عن فكرته .

## ٦ = معارضة بعض القادة الفرنسيين لاتفاق العريش

وقد ظهر بين قادة الحملة في مصر من يعارض القبول بشروط اتفاق العريش لأنها لم تفرض في الميدان ولم تكن نتيجة معركة خاسرة وكان على رأس هؤلاء الجنرال ( MENOUD ) فكتب إلى بونابرت في ٢٤ شباط سنة ١٨٠٠ رسالة يحتاج فيها على توقيع اتفاق العريش وختمها قائلاً : لا ريب في أن الروس أو البريطانيين سيصبحون أسياد البلاد بعد جلائنا عنها

وأخذ عدد المعارضين يزداد بين القادة وأعضاء البعثة العلمية تدفعهم إلى ذلك فكرة التقرب من بونابرت الذي كان صاحب فكرة احتلال مصر أما كليبر فقد كان للانقلاب الذي حصل في باريس صدى هرير في نفسه حيث خشي أن تقع في يد بونابرت التقارير التي أرسلها إلى حكومة المديرين ويحمل بونابرت كافة التبعة فيما ألت إليه حالة الفرنسيين في مصر . كما جزع من ردة الفعل التي سيحدثها اتفاق العريش في نفس بونابرت حيث أن هذا الاتفاق يهدم بنصه وروحه الصرح الذي أراد بونابرت تشييده في الشرق لمصلحة فرنسا ولمجده الشخصي غير أن رباطة الجأش لم

تفارق كليبر ولم تكن خشيته الا عابرة فقد عاد يحمل بونابرت تبعه حملة مصر ويهاز باعتلائه عرش القنصلية قائلا في رسالة وجهها الى صديقه الجنرال (DUGUA) أرى أن تغييرات جذرية قد حصلت في جهاز الحكم بفرنسا . ويظهر أن ليبيدوس وأنطونيوس قد طردا وان أغسطس الجديد يريد ان يستقل بالامر فعسى أن نتمكن من الاحتفاظ بالجمهورية الفرنسية وبكلمات حرية مساواة أخوة على الوراق التي نكتب عليها رسائلنا ٠٠٠ وكلما أمعنت النظر في الأزمة التي أنهيتها بتوقيعي - اتفاق العريش - زدت يقينا بأن الاجيال القادمة ستدي ط ذكري بالتقدير والاحترام والشكر لما أظهرته من شجاعة واقدام لوضع حد لغافرة جنونية خذلت أصحابها أعصابه وتغلب فيه الجبن على الاقدام فتهرب من نتائجها وذهب تاركا أعباءها على كاهل حلفه .  
 واذا (الملك الجديد) نظر الى الامر وكان عادلا فلا بد له من الاعتراف بأن ما أقوله هو الحق بعينه . أما اذا كان غير عادل فالويل له . وهذا أصغر همومي وأخفها (١) كان كليبر يصرح علنا بأن اقامة مستعمرة في القطر المصري لدولة لا تملك شيئا من عناصر استقرار الحكم ولا قوة بحرية لديها ولا مال يمكنها من مواصلة الحرب ليس سوى ضرب من الجنون . ولما كان بين القادة من يخلص الود للجنرال وي العمل جاهدا في سبيل عدم حصول انشقاق بين صفوف الجيش من جراء

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل

اسماويل من : ١٤٩ .

توسيع شقة الخلاف بين الجنرال كليبر وبونابرت أمثال الجنرال (DUGUA) فقد كتب هذا الأخير رسالة الى بونابرت يشرح له الظروف السيئة التي أجبرت كليبر على توقيع اتفاق العريش وأنهى رسالته بأنه يتتعهد في حمل كليبر على نقض الاتفاق اذا وصلت اليه من فرنسا المساعدات والامدادات الازمة للوقف بوجه العثمانيين والبريطانيين .

وقف بونابرت موقف المتردد من اتفاق العريش وقدر حراجة موقف الجنرال كليبر في مصر وأدرك في قراره نفسه بأن الواجب كان يقضي عليه بالبقاء مع جيشه ويتحمل المسؤولية الملقة على عاتق كليبر بدلا من مغادرته مصر في أخرج الظروف .

اما تاليران فكان من مؤيدي الجنرال كليبر ولم يتقاус هو وعدد من أصحاب بونابرت في تقديم النصح الى بونابرت بالا يتعرض الى الجنرال كليبر ذاك الرجل العنيد الصريح المستكبر فاقتنع بونابرت وتقبل النصح برحابة صدر (١) .

## ٧ = عرقلة البريطانيين لاتفاق العريش

شاعت الاقدار ان يعتقل الاسطول البريطاني احدى السفن الفرنسية فعثر على رسائل من كليبر الى حكومته تتضمن وضعا مؤلما لحالة الجيش الفرنسي في مصر وقلة عدده وكثرة الامراض القاسية

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل

اسماعيل ص : ١٥٣ .

التي يتعرض لها ومنها الطاعون . فرفعت هذه  
الرسالة الى لورد كايت أمير البحر الذي أرسلها الى  
وزارة البحريـة البريـطـانـية .

وكان أن وصل في تلك الاثناء إلى القسطنطينية سفير بريطانيا الجديد ( لورد الجين ) وبعد أن اطلع على الحالة العامة في الشرق ووقف على رغبة الاتراك في التفاهم مع الفرنسيين وجه رسالة إلى وزير الخارجية البريطانية ( لورد غرانفيل ) يعارض فيها مبدأ جلاء الفرنسيين عن مصر وهم فيها هنفيون ويعدهم أسرى حرب ويحذر من عودتهم بأسلحتهم وعتادهم إلى فرنسا فيزيدون بونابرت قوة فيما معن في متابعة حروبها . وكان الاميرال نلسن يشاطر سفير بريطانيا رأيه في اعتبارها تبقى من الحملة الفرنسية في مصر أسرى حرب وقد وجه عدة رسائل إلى رؤسائه جاء فيها :

أنه من الخطأ الفادح أن يسمح للجيوش الفرنسية الاسيرة في مصر بأن تعود حرة طليقة إلى فرنسا فتزيد جيوش بونابرت قوة ٠٠٠ لقد جاء الفرنسيون إلى مصر بملء اختيارهم وسيبقون فيها ما دامت قيادة الاسطول بيد نلسون . فنلسون لن يوافق أبدا على أن يغادر جندي فرنسي واحد مصر أو أن تخرج منها سفينة فرنسية واحدة (١) ومن المعروف عن نلسون أنه يحقد على الفرنسيين وهذه النبذة من

## (١) السياسة الدولية في الشرق العربي – أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٥٢ .

رسائله تظهر حقده الدفين . أما سدنى سميث فقد انبرى يدافع عن وجهة نظره حيال الذين عارضوا اتفاق العريش وذلك بغية دحض الاتهامات الموجهة اليه قائلا : أن نقل الجيش الفرنسي من الاسكندرية لن يتم دفعه واحدة ولن يتم انزاله في مكان واحد بل سيجري نقله على دفعات وسيتم انزاله في جميع المرافئ الايطالية والفرنسية وبذلك يصعب الاستفادة منه فضلا عن بقائه مدة أربعون يوما على ظهر البوادر وفقا لنظام الحجر الصحي . وهناك سبب هام كان سدنى سميث يعلق عليه أهمية كبرى ويعمل على تحقيقه وهو أنه كان يرى في اتفاق العريش وسيلة لعودة الجنرال كليبر إلى فرنسا فيقف بوجه طموح بونابرت وكان سدنى سميث أكثر المطلعين على الخلاف المزمن بين بونابرت وكليبر وواقفا على العداوة المستحكمة بينهما وكان يرى في القائد الالزاسي المصري الحاد اللسان خصما عنيدا للقائد الكورسكي وقد عارض حلفاء بريطانيا والروس في طليعتهم اتفاق العريش وقدم السفير الروسي في لندن فور نتزوف احتجاجا شديدا اللهجة الى اللورد غرانفييل باسم القيصر ولم يتورع فيه عن نعت الاميرال سني سميث ( بالخبل والجنون ) (٢) .

لمجمل هذه الاسباب اضطرت الحكومة البريطانية الى ارسال تعليمات الى اللورد كايت تصر فيها على رفض مبدأ الجلاء وعلى استسلام الجيش الفرنسي .

(٢) ذات المصدر ص : ١٥٣ .

تلقي اللورد كايت هذه التعليمات وأحالها إلى الامiral سدنى سميث الذى تقبلها بخيبة أهل وكتب إلى الجنرال كليبر يطلعه على قرار الحكومة البريطانية . كما أرسل السفير البريطاني في الاستانة سكرتير سفارته جون فيليب مورير إلى الصدر الأعظم في العريش ليقيم لديه كمستشار يطلعه على ما قررته وتقرره الحكومة البريطانية .

وما كاد كليبر يقف على نوايا البريطانيين حتى أوفد القائدين ( DUMAS ) وغلوتيه إلى الصدر الأعظم لبحث موقف البريطانيين المفاجئ وليفهموا الصدر الأعظم يوسف باشا بأنه لا يمكن لرجال الحملة الجلاء عن مصر إلا بعد أن يعلن قائد الأسطوليين الروسي والبريطاني في المتوسط قبول حكومتها اتفاق العريش وتوقيعهما إياها وكان من صالح كليبر أن يطول وقت المفاوضات ليتمكن من تحضير قواته استعداداً لمعركة كان يرى أنه لا مفر منها . وفي تلك الاثناء حضر ضابط بريطاني إلى مقر الجنرال كليبر وسلمه رسالة من أمير البحر لورد كايت مؤرخة في ٨ كانون للثاني يقول فيها : ( تلقيت من صاحب الجلاء البريطاني أوامر صريحة بأن لا أتفق على شيء مع الجيش الفرنسي الذي تضطرون ( ١ ) بقيادته في مصر وسوريا إلا إذا سلم رجاله أنفسهم كأسرى حرب ووضعت قيادته بيد الدول المتحالفه جميع سفنها ومؤمنها ومعداتها ) .

( ١ ) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٥٤ .

اكتفى كليبر بالاطلاع على هذه الرسالة بانتظار نتيجة مباحثات موفيديه مع الصدر الاعظم . ولما ورد تقرير من هذين الموفدين يطلعان كليبر على تردد الصدر الاعظم في موقفه حيال اتفاق العريش استشاط غيظا وكتب في ١٩ آذار الى الصدر الاعظم ان المجلس الفرنسي قرر عدم تسليم القاهرة الى الجيش التركي كما فضى اتفاق العريش الى ان يتراجع البريطانيون عن موقفهم . وفي ٢٠ آذار شن كليبر هجوما على الجيش العثماني املاكه عند هليوبوليس فانهزم العثمانيون (١) الى الصحراء وفي ٥ نisan عقد كليبر مع المملوك مراد بك حاكم مصر السابق معاهدة يعترف به فيها باسم الحكومة الفرنسية حاكما على صعيد مصر لقاء تعهده بدفع رسوم أميرية للخزينة الفرنسية وبإقامة حامية فرنسية في مرفأ القصیر يساعدها فريق من جيش الامماليك .

## ٨ = نتائج موقعة هليوبوليس

لقد كان للرسالة التي وجهها سدنی سميث الى الحكومة البريطانية وقع شديد فشعرت هذه الحكومة بخطاها في الاصرار على استسلام الجيش الفرنسي . ومما قاله سدنی سميث ( أن الشروط الاخيرة لا يمكن أن يتقبلها أي جندي يتفهم معنى الكرامة فكيف يسعى الى فرضها على قائد ككليبر مشهور بصلابة

---

(١) السياسية الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل

اسماويل ص : ١٥٥ .

عوده وانفته واعتداده بنفسه وبأنه لم يقف يوماً من أحد حتى من قائداته الاعلى ورئيس دولته موقف الرجل المستضعف المستسلم . وأن الرجل الذي لا ينحني أمام بونابرت لا ينتظر منه أن يحنى رأسه أمام عدو يضمر له الكره والحداد والعداء (٢) .

## ٩ = تأثير رسالة سدنبي سميث في الحكومة البريطانية

تبين للحكومة البريطانية على ضوء الاختبار أن التعليمات التي زودت بها أمير البحر كانت غير عملية فأعادت النظر بها وأرسلت إلى أمير البحر كايت في ٢٨ آذار سنة ١٨٠٠ تعليمات سرية جاء فيها : (أن صاحب الجلالة لا يوافق على شروط الاستسلام التي فرضت على الحملة الفرنسية في مصر ٠٠٠٠ ويريد جلالته أن تقييد تقادها تماماً بالقانون العام وبالوفاء بالعهود . ويرى أنه من الواجب إلا يقوم الضباط بأي عمل لا يكون منطبقاً على العهد الذي قطعه سدنبي سميث باسم جلالته ولو كان هذا العهد منبثقاً عن خطأ في التقدير أو شطط في الحكم . . . )

ان جلالته لا يعتبر نفسه ملزماً بالسماح لضباطه بأن يسهموا فيه عملياً وبأن يساعدوا في تنفيذه بتقديم وسائل النقل الأخرى . أما إذا طلب إليكم ضمان حرية المرور لسفن ترسل من فرنسا إلى مصر لنقل الجيش الفرنسي عملاً بنصوص الاتفاق ،

(٢) ذات المصدر ص : ١٥٦ .

فلسيادتكم أن تمنحوا جوازات المرور مع ابداء التحفظات الضرورية واتخاذ الاحتياطات الازمة (١) . كتب على الفور أمير البحر الى الجنرال كلير يعلمه بالموافقة على ترحيل الجيش الفرنسي من مصر فاحتفظ كلير بهذه الرسالة ولم يطلع أحدا عليها .

الآن كلير لم يكن لينظر بعين الرضى الى اعلان موافقة البريطانيين على جلاء الحملة الفرنسية ويعتقد بأن بريطانيا تبنت له « خدعة الحرب » بعد أن وقع بين يديه وثائق سرية في أوراق المستشار البريطاني لدى الصدر الاعظم بعد معركة هليوبوليس وهي أن نية بريطانيا كانت في أن يلقى القبض على عناصر الحملة من قبل الاسطول البريطاني أثناء عودة هذه العناصر الى فرنسا . ويؤيد سوء نية البريطانيين هذه مضمون رسالة وجهها أمير البحر كايت الى الجنرال بوسيلف الذي كان قد أرسل الى أمير البحر يستفسر فيها عن العراقييل (١) التي يقيمهما البريطانيون في طريق عودة الحملة الفرنسية الى وطنها ومن المعلوم أن الجنرال بوسيلف كان شديد التحمس لفكرة الجلاء عن مصر . فقد طالب أمير البحر كايت في رسالته : (ألا يعود الجيش الفرنسي دفعة واحدة والا يتم نقله على بوارج حربية او سفن مسلحة كما طلب الى الجنرال كلير بالفعل أن يقطع

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي ج ١ ف ٣ ص : ١٦٠

(٢) السياسة الدولية في الشرق العربي - أمير الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٦٠ .

لـه عهد الشرف بـأنه وجيشـه لن يـقومـا بـأي عمل عـدائـي  
ضـدـ الـدوـلـ الـمـتـحـالـفـةـ ) ٠

اما اللورد بوكنجهام شقيق اللورد غرانفيل واحد  
كبار الرجال العسكريين فكان يؤيد فكرة جلاء  
الفرنسيين عن مصر على سفن بريطانية لنقلهم الى  
أحد مراافئ شبه جزيرة القرم وتسليمهم أسرى الى  
الروس ٠

## الفصل السادس

### مصير الحملة الفرنسية في مصر بعد مقتل كليبر

#### ١ = مقتل كليبر

وفي أدق الظروف العسكرية والسياسية التي واجهتها الحملة : فالاسطوان البريطاني والتركي يسيطران على الساحل المصري في المتوسط والمصدر الأعظم يوسف باشا مرابط بجيشه اللجب عند الحدود الشمالية الشرقية ، واتفاق العريش الذي كان كليبر بسببه هدفاً لانتقادات واتهامات أساعات إلى كرامته العسكرية يتارجع بين الرفض والقبول ، في هذه الثناء اغتيل كليبر من قبل شاب يدعى سليمان الأزهري وقد تعددت الآراء بقصد اقدام هذا الشاب على اغتيال الجنرال كليبر فمن قائل أنه عميل لدولة أجنبية ومن قائل أنه مسلم شديد الايمان أبى عليه نفسه أن يرضي بقيام الأجانب حكامًا مطلقين في بقعة من بلاد الإسلام . وقد أعدم هذا الشاب بعد أن ذاق ضروب العذاب .

## ٣ = تسلم الجنرال ( MENOUE ) قيادة الجيش الفرنسي في مصر

لما كان الجنرال ( MENOUE ) أقدم قائد في الرتبة بين القادة الفرنسيين في مصر فقد تسلم قيادة الحملة بعد مقتل الجنرال كليبر بموجب قرار صدر عن بونابرت بتاريخ ٦ أيلول سنة ١٨٠٠ . ولئن كان يعد ادارياً ممتازاً فلم يكن ليتمتع بالصفات العسكرية كتلك التي كان يتمتع بها بونابرت وكليبر . ولم يكن محبوباً كثيراً من الضباط الكبار كما أنه لم يكن شعبياً حيال الجندي لقد كان الجنرال ( DAVOUT ) أصلح لتسليم القيادة بعد كليبر ولكن بونابرت قد أعاده من مصر كما أعاد غيره من الضباط الأكفاء ( ١ )

وقد كان الجنرال ( MENOUE ) من ممثلي الفكرة الاستعمارية في مصر ومهن عارضوا اتفاق العريش لأنهم رأوا فيه انتقاصاً من كرامة الجيش الفرنسي . ولكن ميوله هذه لم تحل دون تفهمه لنفسية جنوده كما خشي ردة الفعل في صفوف الجيش اذا كشف عن رأيه وميوله فرأى بعد تسلمه القيادة أن يدلّي ببيان الى الجيش يشرح له فيه أسباب الحملة على مصر وغايتها وهو بيان ٢٤ حزيران سنة ١٨٠٠ قال فيه : « لقد كان أداء الجمهورية الفرنسية مصممين على احتلال مالطة ومصر فرات الحكومة الفرنسية أن تفسد عليهم غايتهم وتسبقهم الى احتلال هذين البلدين

.....  
NAPOLEON T.I FRIEDRICH M. ..... - ( ١ ) -  
KIRCHEISEN P.183 - 185.

وهكذا فعلت . أن الفرنسي قد ذهب في العالم مثلا في التضحيه والطاعة لرؤسائه فعليه أن يحافظ على ما له من سمعة حسنة ويحتفظ بالطاعة والتضحيه أساسا لحياته و موقفه في مصر . أن الاتفاق الذي وضع في العريش لا يمكن أن يقبله هذا الجيش لأن فيه ما يتنافي وكرامته . وأن تقرير قبوله أو رفضه يجاوز صلاحية كل منا وللحكومة وحدها حق قبول هذا الاتفاق أو رفضه » .

ولئن يكن MENOU قد قطع الطريق على كل محاواة تقوم من جانب تركيا أو بريطانيا لاستئناف المفاوضات في الجلاء وأحال هصیره الى الحكومة المركزية حيث أعرب عن ذلك في رسالة وجهها الى الصدر الاعظم جاء فيها : أجد لزاما علي ان أقول لسموكم أنني لن أستطيع تنفيذ أي اتفاق تم عقده أو سيتم الا بعد أن تتوافق عليه حكومة الجمهورية الفرنسية وللباب العالي الآن سفير لدى حكومتي فلسماوكم أن تأمروه بمفاوضتها (١) . ولما لم يشاً أن يتحمل تبعه قطع كل مفاوضة في مصر فقد ضمن كتابه العبارة التالية : ولكن اذا رغبتم في أن تجري المفاوضات هنا عوضا عن باريس فاني على أتم الاستعداد للنزول عند رغبتكم على أن تبقى موافقة حكومتي شرطا أساسيا للتنفيذ

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي ج ١ أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٦٥ .

### **٣ = موقف السلطان والصدر الاعظم**

#### **أزاء فرنسا**

أيقن السلطان سليم الثالث والصدر الاعظم أن بريطانيا تهدف أولا وأخيرا الى تأمين مصالحها دون الالتفات الى مصالح الدولة العثمانية وأدرك أن موقف الحكومة البريطانية واغتيال الجنرال كليبر وتسلمه الجنرال (MENOU) قيادة الحملة ، كل هذه الامور أضعفت الامل بتسوية النزاع بين فرنسا وتركيا . فبات السلطان ميالا للتفاهم مع فرنسا بعد أن لاحظ أن موقف بريطانيا أزاء اتفاق العريش دليل على الاستهتار بالباب العالي وبكرامة الصدر الاعظم وأدرك أن نوايا بريطانيا تتوجه الى ابقاء الحرب بين تركيا وفرنسا .

### **٤ = تكليف السلطان سليم الثالث للمعتمد**

#### **السياسي البروسي بعشان حسم**

#### **النزاع بين تركيا وفرنسا**

عقد السلطان سليم الثالث مجلسا من أركان الدولة للاتفاق على الاساليب الواجب اتباعها للتفاهم مع حكومة باريس فتم الاجماع على أن يكتب الباب العالي الى ملك بروسيا بواسطة كنوبلسدروف معتمده السياسي في القسطنطينية يرجوه التوسط ، سيرا لدى حكومة باريس للتقارب بين الباب العالي وباريس

وأَلْوَصُولُ إِلَى حَلٍ لِّلْقَضِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ (١) .  
وَبِذَاتِ الْوَقْتِ الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ الْبَابُ الْعَالِيُّ رِسَالَةً  
إِلَى مَلِكِ بِرْوُسِيَا أُرْسِلَ تَعْلِيمَاتٍ إِلَى اُمَّيْرِ الْبَحْرِ  
الْعُثْمَانِيِّ خَسِينَ الْمَرَابطِ عَلَى السَّواحلِ الْمَصْرِيَّةِ بِأَنَّ  
يَتَصَلُّ بِالْجَنْرَالِ (MENOU) وَيَلْجُعُ عَلَيْهِ فِي اتِّهَامِ  
الْمَفَاوِضَاتِ بِشَأنِ الْجَلاءِ وَعَقْدِ الْمُصْلَحِ . كَمَا أُرْسِلَ  
تَعْلِيمَاتٍ مُهَائِلَةً إِلَى الصَّدْرِ الْأَعْظَمِ فِي الْعَرِيشِ .

## ٥ = هُوقَفُ بُوناپِيرْتُ أَزَاءُ الْأَوضَاعِ فِي مَصْرُ

وَكَانَ بُوناپِيرْتُ لَا يَزَالُ مَصْرًا عَلَى الاعْتِقَادِ بِأَنَّ  
اِحْتِلَالَ مَصْرُ وَبِقَاءَ جَيْشِ فَرَنْسَيِّ قَوِيٍّ فِيهَا كَانَ وَمَا  
يَزَالُ إِنَّمَاتِ الْأَمْوَارِ الَّتِي لَا بُدُّ مِنْهَا لِصُونِ مَصَالِحِ فَرَنْسَا  
الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ وَأَنَّ لِهِذِينِ الْأَهْرِينِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا  
عَلَى مَجْرِيِ الْحَرْبِ فِي أُورُوبَا وَفِي حَالِ الاضْطِرَارِ لِلْجَلاءِ  
عَنْ مَصْرٍ فَيُجِبُ أَنْ يَتَمَّ ذَلِكَ وَفَقًا لِصَلحِ شَرِيفِ مَعْ  
بِرِّيْطَانِيَا (٢) .

## ٦ = صَدِيَ هَزِيمَةِ الْعُثْمَانِيِّينَ فِي مَعرِكَةِ هَلِيوبُولِيسِ فِي بَارِيِّس

عَلَى أَثْرِ وَصْولِ نَبَأِ هَزِيمَةِ الْعُثْمَانِيِّينَ فِي مَعرِكَةِ  
هَلِيوبُولِيسِ كَتَبَ وزَيْرُ الْحَرْبِيَّةِ كَارْنُو إِلَى كَلِيْبِرِ رِسَالَةً

(١) السِّيَاسَةُ الدُّولِيَّةُ فِي الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ ج ١ أَمِيلُ الْخُورِيِّ وَمَانِلُ  
اسْمَاعِيلُ حِي : ١٦٦ .

(٢) السِّيَاسَةُ الدُّولِيَّةُ فِي الشَّرْقِ الْعَرَبِيِّ ج ١ - أَمِيلُ الْخُورِيِّ وَمَادِلُ  
اسْمَاعِيلُ ص ٤ ١٦٨ .

مشجعة يقول فيها : أن القنصل الاول يرجو ويأمل أن توفق في تدعيم مركزه وأن الاتراك أميل إلى فكرة بقائه في مصر كصديق وتعاون لهم منه إلى فكرة جلائق عنها ليحل محله البريطانيون ) الا أن كتاب كارنو وصل إلى القاهرة بعد اغتيال كلير . فاستلم الجنرال ( MEXOU ) الرسالة وشرع بتنظيم أمور مصر الداخلية والمالية والادارية حيث كان هذا القائد من الذين يعتمد عليهم بونابرت لتنفيذ سياساته . وأن رسالته التي بعث بها إلى وزير الحرب في أول تشرين عام ١٨٠٠ أصدق دليلا على شدة تحمسه لابقاء مصر بيد الفرنسيين .

وقد جاء في هذه الرسالة : ليس في العالم قوة تستطيع ان تنتزع مصر من يد الجمهورية ولن أخرج منها الا بأمر من الحكومة . ولن تقع في يد احد الا اذا قتل جنودي عن بكرة أبيهم (١) .

## ٧ = محاولات بونابرت في تموين حملة مصر

أثر بونابرت الاعتماد على الطرق الدبلوماسية في لندن والقسطنطينية عليه يتمكن من عقد هدنة بحرية مع الاولى وصلحا مع الثانية وذلك عندما رأى أنه من المستحيل توصيل المؤن والذخائر إلى مصر ومالطة . فأوفد إلى لندن أوتو معتمدا سياسيا لوضع اتفاق حول تبادل الاسرى وعقد هدنة بحرية عليه بذلك

(١) السياسة الدولية في الشرق. العربي - ج ١ ص : ١٦٩ .

يتتمكن من ارسال خمسة آلاف جنديا فرنسييا الى مصر مع العتاد والمؤن الازمة .

## ٨ = رد اللورد غرانفيل على عرض اوتو

وفي ٤ أيلول أبلغ اللورد غرانفيل قرار الحكومة البريطانية الى المعتمد الفرنسي اوتو أن اقتراحته لم يلق قبولا لدى الحكومة البريطانية ولن يسمح بتمويل الجيش الفرنسي عن طريق البحر الا بالقدر الذي يضمن عدم الافادة منه لتعزيز وسائل الدفاع اي ان لا يشمل الا امداد الغذائية يحدد كمياتها مفوضون معينون وعلى أن يتم التموين مرة كل أسبوعين .

وفي ١١ أيلول أرسل تاليران تعليمات مشددة جديدة الى اوتو لعقد هدنة بحرية مع بريطانية فبني اللورد غرانفيل مصر على عناده وعلى رفض كل هدنة تسجل تموين الجيش الفرنسي في مصر .

## ٩ = استسلام حامية مالطة

وأثناء ذلك وصلت الى باريس ولندن أنباء استسلام حامية مالطة الى قائد الاسطول البريطاني الذي كان يحاصر هذه الجزيرة منذ اواخر ١٧٩٨ فاقتنع بونابرت عند ذاك أن الوصول الى حل لا يحقق مصالحة بريطانيا أمر مستحيل .

## ز - آثار حملة بونابرت على المصعيد الدبلوماسي في أوروبا

### ١ = هماعي تليران في اقناع بونابرت بضرورة التعاون مع روسيا

بذل تليران وبورغوان وزير فرنسا المفوض في الاستانة جهوداً قصوى في سبيل اقناع بونابرت بضرورة التعاون مع بولس الأول قيسار روسيا والسلطان سليم الثالث للحد من سيطرة بريطانيا وجبروتها وقدم ديكورش في أول تشرين الثاني سنة ١٨٠٠ إلى بونابرت تقريراً أنهاه بالعبارة التالية «قد تكون الطريق الفضلى للوصول إلى صلح مع الباب العالي هي الطريق التي تمر بروسيا» (١).

### ٢ = المفاوضات السرية بين بونابرت والباب العالي :

استدعى بونابرت السفير العثماني في باريس وسلمه رسالة كلفه بنقلها إلى السلطان سليم الثالث ويطلب بونابرت فيها إلى السلطان تجديد التحالف القديم بين الدولتين أو تكليف سفيره في باريس لاجراء

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - أميل الخوري وعمال اسماعيل ص : ١٧١ .

(٢) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - أميل الخوري وعمال اسماعيل ص : ١٧١ .

مفاوضات لعقد الصلح كما كلف بونابرت القائم بالاعمال في القسطنطينية روفن وزيري اسبانيا وبروسيا المفوضين لدى الباب العالي باجراء مفاوضات سرية مع هذا الاخير فوعد السلطان بأن تركيا ستنهج سبيل السلم مع فرنسا ولكنه أضاف بأن ظواهر المحالفه مع بريطانيا تقضي بابقاء الصدر الاعظم على رأس الجيش في سوريا ريثما يتم توقيع صلح نهائي بين الاستانة وباريس .

### ٣ = موقف قيصر روسيا من عروض بونابرت

لقد أعجب قيصر بروسيا بولس الاول بعقرية بونابرت . كما انصاع هذا الاخير لنصيحة تليلران وبورغوان وعمل برأيهما فافرج عن سبعة آلاف جنديا روسيا كان قد أسرهم في سويسرا وأعادهم إلى القيصر مع أسلحتهم وأعلامهم وكتب إلى قيصر روسيا في ٢١ كانون الاول سنة ١٨٠٠ يقول : انه يأمل ان تتوحد جهود اكبر دولتين في أوروبا اي روسيا وفرنسا لفرض الصلح والحد من تفاقم الحالة ومن نفوذ بريطانيا . فكان جواب بولس الاول أنه يؤيد السياسة الجديدة بين روسيا وفرنسا وأصدر أوامره - ليقرن القول بالفعل - بتحصين سواحل البلطيق - ارد الاسطول البريطاني كما طلب الى شقيق لويس السادس عشر والمطالب بعرش فرنسا أن يغادر روسيا حيث كان يقيم منذ معاهدة كامبوفورمي .

### ٤ = التحالف الجديد

وفي سبيل التفاهم مع فرنسا قام بولس الاول

بضم بروسيا والسويد والدانمارك تحت لواءه في تحالف جديد عقد في ١٦ كانون الأول سنة ١٨٠٠ عرف بحلف الحياد المسلح وكان لهذا الحلف غايتان :  
- الغاية الظاهرة حماية حقوق الدول المحايدة .

- الغاية الخفية ، الحد من سياسة التوسيع البريطاني ذلك أن بريطانيا كانت تقوم بتفتيش السفن المحايدة بحجج منعها من نقل بضائع إلى الأعداء .

## ٥ = التقارب بين القيصر وبونابرت

تصلب بولس الأول في موقفه أزاء الحملات التفتيشية التي كانت بريطانيا تشنها على السفن المحايدة معتمداً على ما كانت قيصرة روسيا كاترين الثانية قد أعلنته عام ١٧٨٠ عن مبدأ حرية البحار وعلى معاهدة مورتفونتين التي عقدها بونابرت مع الولايات المتحدة الأمريكية في ٣٠ أيلول عام ١٨٠٠ والتي يعلن فيها الطرفان تمسكهما بحرية الملاحة وتحريم تفتيش السفن التجارية المحايدة . وقد تألفت دول أوروبا الشمالية حول روسيا للدفاع عن حلف الحياد المسلح وقوى التقارب بين بونابرت والقيصر فاستغل بونابرت هذا الظرف وطلب إلى القيصر اقناع السلطان بأن مصلحته تقضي ببقاء فرنسا في مصر (١) . وقد وجه بونابرت إلى القيصر

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - أمير الغوري ومادل اسماعيل من ١٧٣ .

رسالة في ٤٧ شباط سنة ١٨٠١ جاء فيها : انه تم وضع تصميم القناة التي ستصل بحار الهند بالبحر المتوسط وليس حفر هذه الطريق البحرية بالامر الصعب ومتى تم فان التجارة الروسية ستفيده افاده كبيرة . وكأنها أراد بونابرت بأن تأييده لسياسة فرنسا لن يكون مجاني بل أنه : سينجني ثمرته في امتداد تجارة بلاده الى المتوسط والهند .

## ٦ = اتفاق بونابرت والقيصر سرا على اقتسام الامبراطورية العثمانية

تطورت العلاقات بين بونابرت والقيصر الى اتفاق سري على اقتسام الامبراطورية العثمانية كما اتفقا على تحديد حصة النمسا من الغنيمة .

وقد تم الاتفاق على الصورة التالية :

- تكون حصة فرنسا = مصر وسوريا وفلسطين  
- وحصة النمسا فلاكيا وصربيا والبوسنة والهرسك .

- وحصة روسيا مولدافيا وبلغاريا وأقليم الروملي والقسطنطينية .

كما اتفق بأن تفيدي بروسيا من هذا الاتفاق وتأمينا لنجاهه تكون حصتها = هانوفر ومونستر والبادربورن من الممتلكات البريطانية .

## ٧ = مطالبة الروس للبريطانيين باخلاء جزيرة مالطة واعادتها اليهم

بعد احتلال الفرنسيين مالطة وخروج هوبتش حاكمها منها سنة ١٧٩٨ انتخب بولس الاول أميرا على الفرسان الذين كانوا يحكمون الجزيرة . ولما كانت بريطانيا قد احتلت مالطة بعد انتزاعها من الفرنسيين في ايلول عام ١٨٠٠ قام وزير القيصر روسنبورشين يطلب بريطانيا باخلاء الجزيرة واعادتها للفرسان أصحاب الحق فيها . ثم على اثر عقد الاتفاق السري بشأن اقتسام الامبراطورية العثمانية بين بونابرت وبولس الاول قام هذا الاخير يطلب بريطانيا باعادة الجزيرة اليه بوصفه رئيس الفرسان المنتخب (١) . كان بونابرت ييفي من وراء ذلك غرس بذور الخلاف بين روسيا وبريطانيا لعلمه أن هذه الاخيرة لن تتخلى لروسيا عن مالطة بعد أن وقفت على نيات روسيا التوسعية . فكان أن رفضت بريطانيا النزول عند رغبة القيصر الذي اعتبر هذا الرفض اهانة شخصية . اغتنم بونابرت التباعد بين بريطانيا وبولس الاول فشجع القيصر على تحريم مرافئه في البحر الاسود على التجارة البريطانية وعلى احتلال صقلية باسطوله الذي كان يرابط في الجزر الاليونية كما نصحه بالتوجه نحو الهند .

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - اميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٧٤ .

## قبول القيصر لنصائح بونابرت

لاقت نصائح بونابرت عند بولس الاول أذنا صاغية فأوعز القيصر الى القائد الروسي الجنرال اورلوف بالسير الى وادي الهندوس فلم يلاق القائد الروسي مصاعب تذكر في بلاد فارس فهشى القسم الشمالي منها وتقدم الى سواحل بحر الخزر والبحر الاسود واحتل باكو وباطوم وغدا يشكل خطرا على الهند وفارس وتركيا معا .

### ٨ = مصرع بولس الاول يخدم مصالح البريطانيين

قتل بولس الاول خنقا ليل ٢٣ - ٤ آذار سنة ١٨٠١ وفي ٢ نيسان انتصر الاميرال نلسون على الاسطول الدانمركي في كوبنهاغن . وعاد اعداء فرنسا في روسيا الى وصل ما قطع بين بطرسبورغ ولندن . وقام أصدقاء بريطانيا من الساسة الروس باغرeron صدر القيصر على الفرنسيين الذين يعملون للإطاحة بالملكية وتقويض العرش . كما أن بونابرت لم يأْل جهدا في متابعة مساعيه أزاء القيصر الجديد فأوفد اليه الجنرال دوروك لاقناعه بمتابعة سياسة سلفه فيما يتعلق بمصر والمسألة الشرقية كما تتعهد فرنسا بمساندته في تحصيل مطالبيه في ألمانيا وتقوية حلفاء روسيا في أوروبا .

وقد تمكنت بريطانيا من الوقوف على أسرار الاتصالات التي جرت بين بونابرت وبولس الاول كما

أن السلطان سليم وبعض رجال السياسة في روسيا كانوا ينظرون بحذر وقلق شديدين للتقارب بين روسيا وفرنسا ويعتقدون بأن تقاربًا كهذا لن يكون إلا على حساب تركيا . ولم يطل الوقت بالاتراك حتى وقفوا على سر الاتفاق بين روسيا وفرنسا على اقتسام إمبراطوريتهم فلم يكن لهم من وسيلة سوى الاعتماد على البريطانيين . وأدركت بريطانيا في الوقت ذاته بأن تركيا هي الحليف الطبيعي الذي يمكنها الاعتماد عليه للوقوف ضد روسيا وفرنسا (١) .

## ٩ = اتفاق بريطانيا وتركيا على طرد الفرنسيين من مصر

لم يكن ما تبقى من الحملة الفرنسية في مصر آنذاك يزيد عدده عن ثمانية عشر ألفا فصمدت بريطانيا وتركيا على طرد الفرنسيين نهائيا من وادي النيل وجهزتا لهذا الغرض حملة عسكرية بقيادة الصدر الأعظم تضم حوالي ثلاثون ألف جنديا عثمانيا وجيشا بريطانيا قوامه ثمانية عشر ألف جنديا من هنود وبريطانيين بقيادة السر أبركومبي . كما ضرب أمير البحر التركي حسن باشا وقائد الأسطول البريطاني في المتوسط حصارا على السواحل المصرية في البحر المتوسط والبحر الأحمر .

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - ص : ١٧٦ .

## **١٠ = مهاجمة الجيوش العثمانية والبريطانية مصر**

أنزل الاسطول البريطاني في أبي قير ستة  
آلاف مقاتل من هنود وبريطانيين بتاريخ ٨ آذار سنة  
١٨٠١ فتغلبوا على الدفاع الفرنسي واحتلوا تلك  
المنطقة . كما تحرك المصدر الأعظم من فلسطين  
بجيشه عبر الصحراء باتجاه القاهرة .

وفي ٢١ آذار سنة ١٨٠١ حصلت معركة عنيفة بين  
الفرنسيين والبريطانيين في الاسكندرية اندحر فيها  
الفرنسيون بقيادة الجنرال (MENOU) (١) .

## **١١ = الحكومة الجديدة البريطانية تخفف من صلابة موقف بريطانيا وتعلن استعدادها لوضع حد للحرب بينها وبين فرنسا**

شعرت بريطانيا بتآزم الحالة وحراجة الموقف  
بسبب تأليب دول أوروبا عليها وانحياز روسيا وبروسيا  
والنمسا والسويد والدانمارك واسبانيا الى سياسة  
بونابرت فعقد مجلس الملك في ١٠ شباط سنة ١٨٠١  
اجتماعا لاستبدال الحكومة القائمة ووضع حد لسياسة  
بت وغرانفيل لاسترسال هذه الحكومة في الانفاق حيث  
بلغ عجز الخزينة البريطانية سبعمائة وخمسون مليونا

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - ص : ١٧٦ .

من الجنيهات فضلاً عن فقدان بريطانيا لصداقة عدد كبير من الدول الأوروبية من وراء سياسة هذه الحكومة

انتقل الحكم إلى الدهنية أدرجتون فخفف من صلابة موقف بريطانيا وحاول فك الحصار الروحي والسياسي المضروب عليها من قبل دول أوروبا وأعلن بلسان هساعده لورد هكسبوري عن استعداده لمفاوضة فرنسا في وضع حد للحرب بين بريطانيا وفرنسا وكان من نتيجة هذا الإعلان أن شهدت لندن في ذلك الحين أوسع نشاط دبلوماسي حول الشرق عرفته أوروبا في الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

## ١٦ = موقف تليران من سياسة أدرجتون الجديدة

لم يكن تليران قد تبين بعد حقيقة نيات خليفة بت ولهاذا فقد قابل هذا التحول في السياسة البريطانية بحذر كما أدرك أوتو المعتمد الفرنسي في لندن - والذي كان تليران ضعيف الثقة بكافأته الدبلوماسية وبمؤهلاته من التمكن من الوقوف بوجه الدبلوماسية البريطانية العريقة في هذا المضمار من اتصالاته بالمسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية ان احتفاظ فرنسا بمصر أمر غير مقبول وقد بعث أوتو برسالة إلى تليران في ١١ آذار يقول فيها : اذا رفض البريطانيون اقتراحي الخاص ببقاء فرنسا في مصر سأقول لهم « لماذا تحتلون أنتم الهند فإذا تلقيت منهم جواباً وما هي علاقتكم بالهند لتطالبوا بجزاء

البريطانيين عنها ؟ فاجيبهم عندئذ : وما هي علاقاتكم أنتم بمصر لطالبوها بجلاء الفرنسيين عنها ؟ (١) .

### ١٣ : أسباب بقاء تليران معتمده السياسي أوتو في لندن وعدم توليه بنفسه هذه المهمة

ورب متسائل يقول : لماذا لم يأخذ تليران على عاتقه أمر المفاوضة مع البريطانيين ما دام أنه ضعيف الثقة بمؤهلات معتمده السياسي أوتو ؟  
والجواب على هذا أن تليران كان ينأى بنفسه عن كل عمل لا يضمن نجاحه . كما كان في الوقت ذاته قليل الإيمان بوفاء بونابرت وبعدم تأثره برأي خصم له أثناء بعده عنه وغيابه عن باريس والسبب الثالث أن تليران كان على جانب من الشموخ فلا يجالس من الرجال إلا من كان منهم عزيز الجانب رفيع المقام . وأن الأسباب التي حالت دون اضطلاعه بمهمة المفاوضة مع البريطانيين تشابه إلى حد كبير تلك التي منعته من السفر إلى الاستانة لمفاوضة العثمانيين عام ١٧٩٨ عقب احتلال مالطة وتوجه الحملة الفرنسية إلى مصر .

١٤ = رسالة تليران إلى أوتو في ٣٠ آذار  
سنة ١٨٠١

تضمنت هذه الرسالة تعليمات تليران إلى أوتو

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ ص : ١٧٧ .

بشأن المفاوضات مع بريطانيا وقد طلب اليه فيها أن يعرض على بريطانيا اتخاذ أحد الحللين إذا كانت راغبة في الصلح .

**الحل الأول :** احتفاظ بريطانيا بجزيرة سيلان والاراضي التي انتزعتها من تبو صاحب في الهند وتبقى فرنسا حينذاك في مصر .

**الحل الثاني :** انسحاب بريطانيا من سيلان واعادتها إلى هولندا والجلاء عن تبو صاحب وعند ذلك تنسحب فرنسا من مصر وتعود هذه الاخيره إلى السلطان .

- وقع أتو في حبائل رجال الخارجية البريطانية الذين جعلوه يعتقد بنجاح مهمته ومساعيه فكتب إلى تليران في ٣٠ آذار يقول له : أن التفاهم مع أدنجتون أمر سهل المثال وأن البريطانيين على استعداد للقبول بالامر الواقع فإذا تعهدت فرنسا بعدم التدخل في شؤون الهند تاركة لبريطانيا حرية العمل فيها فان بريطانيا تعهد برفع يدها عن مصر وترك شؤونها لفرنسا .

وتبيّن من مضمون هذه الرسائل عدم الاتيان مطلقاً على ذكر الباب العالي حول المسألة المصرية وتجاهل حقوقه تماماً في مصر جاعلين مصيرها وقفاً على ارادة فرنسا وبريطانيا .

١٥ = شكوك تليران بمضمون رسالة  
أتو

لم يعتقد تليران بصحة مضمون رسالة أتو

الأخيرة ولم يطأه على شططه في التقدير ليجعله يتحقق من هذا الخطأ بنفسه . وقد حصل ذلك على اثر اجتماع عقده أتو مع اللورد هاكسبوري الذي صارح المعتمد الفرنسي بقوله : أن حكومة صاحب الجلالة تصر على انسحاب فرنسا من مصر وانها قد قبل النزول عن بعض ممتلكاتها في الهند عبارة غامضة ووعد مشكوك فيه . سارع أتو بنقل تصريح اللورد هاكسبوري الى حكومة باريس فلم يلق تأييضا من تليران لعدم تفهمه للحقائق والاهداف البريطانية بل شجعه على المضي في المفاوضات عليه يظفر بالحصول على شروط أفضل .

## ١٦ = تصاب البريطانيين في موقفهم (١)

تصاب البريطانيون في مطالبيهم بعد أن تبينوا من أحاديث أتو مواطن الضعف في موقف فرنسا . وفي ١٩ نيسان قدم اللورد هاكسبوري الى الحكومة الفرنسية مذكرة تتضمن شروط الصلح وتنص على انسحاب فرنسا من مصر لقاء تعهد بريطانيا بأن تعيد لها بعض المحطات التجارية التي انتزعتها منها - نيفابا تام - ورأس الرجاء الصالح وجزيرة كوارسو وغيرها من المحطات التي تعد أقل المحطات التجارية أهمية على طريق الهند . أما سيلان والمراتينيك والهند فتبقى تحت الحكم бритاني . هذا ولم يغفل هاكسبوري عن التوضيح في مذكوريه بأن جلاء بريطانيا

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - ص : ١٧٨

عن هذه المحطات لن يتم الا بعد جلاء الفرنسيين عن مصر جلاء تاما .

عندما أيقنت حكومة باريس أن بريطانيا لا تتزحزح عن قواعدها السياسية مهما تغيرت وجوه الحكم فيها وسواء كان على رأس هؤلاء الحكم رجل عنيد صلب العود كوليم بت أم رجل هادئ جم التهذيب كأنجتون

## ١٧ = أسباب تشدد أنجتون وهاكسوري في موقفهما أزاء فرنسا

تشدد أنجتون وهاكسوري في موقفهما بوجه فرنسا لاقتناعهما بأن الحملة الفرنسية في مصر باتت أشبه بالجيش المحاصر منه بالقوة المعاشرة ناهيك عن تدهور معنويات هذه الحملة والتصدع المتزايد يوماً بعد يوم بين آراء قادتها فكانت حالة الجيش في مصر بعبارة وجيزة تشكل عنصر ضعف في موقف فرنسا وبالتالي في الجبهة الأوروبية المتألبة على بريطانيا .

استغلت بريطانيا هذا الظرف كما استغلت نعمة الاشراف الفرنسيين النازحين إليها والذين كانوا يصدرون صحيفة COURRIER DE LONDRES وصحيفة GAZETTE DE FRANCE لشن حرب اعصاب على بونابرت فشرعت هذه الصحف تنشر عن مصر مقالات تظهر فيها سوء حالة الفرنسيين وانقسامهم وفتكت الطاعون بهم كما تضمنت أخباراً مفادها أن ثورة تدبر ضد الجنرال MENOU (موانع) وأن هذا القائد مهدد بالاغتيال

ليختلفه قائد من المعتدلين أنصار سياسة كلير واتفاقى العريش . وقد تسربت هذه الصحف الى فرنسا فكان لها تأثير سىء في أوساط الفرنسيين (١) .

## ١٨ - توقف المفاوضات الدبلوماسية بين لندن وباريس

بقي كل من الفريقين - الفرنسي والبريطاني - متشبثاً برأيه بانتظار نتائج المعارك الدائرة في مصر وتاركاً القول الفصل لقوة السلاح . ويتبين ذلك من رسالة أوتو المؤرخة في ٢٤ نيسان سنة ١٨٠١ إلى تليران حيث ورد فيها :

أن الانظار باتت متوجهة الى مصر دون سواها فكان الناس قد نسوا بطرسبورغ وكوبنهاغن وهامبورغ وكل شيء بات معلقاً بنتيجة المعركة العسكرية الدائرة الآن في القطر المصري .

الا أنه نظراً لعدم التكافؤ بين القوتين المتخالفتين في مصر من كافة الأوجه فقد كان حظ البريطانيين والاتراك في كسب المعركة كبيراً .

كان العثمانيون يسيطرون على المنطقة البرية من سيناء الى بلبيس ويسيطر البريطانيون على الساحل الممتد من رشيد الى الاسكندرية وكان قادة الفرنسيين من جوتهم منقسمين الى فئتين :

(١) السياسة الدولية في الشرق العربى - ج ١ - أميل الخوري وعادل اسماعيل ص : ١٨٠ .

**الفئة الأولى** : تؤيد الجنرال (MENOU) وتصر على مواصلة القتال ونذكر منها دونزلو وبيليار .  
**الفئة الثانية** : تدعوا بالحاج للعودة الى المفاوضة على أساس الجلاء واتفاق العريش ويترعى هذه الفئة القادة : رينيه و (DUMAS) ودور وبواييه .

## ١٩ = حصار القاهرة

تضاعل أهل حامية القاهرة برد المهاجمين الاتراك والبريطانيين الذين شددوا الحصار عليها وقلت المؤمن والذخيرة عند رجالها فاضطر قائدتها الجنرال بيليار (BELLIARD) الى اجراء مفاوضات لتسليم المدينة وجلاء الفرنسيين عنها . وقد أوفد الجنرال موران والجنرال دونزلو والكومندان تارير في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠١ لوضع اتفاق الجلاء عن القاهرة مع الجنرال هوب البريطاني والقائد التركي عثمان بك وفي ٢٧ منه تم عقد هذا الاتفاق ووافق عليه الجنرال بليار في اليوم التالي كما أقره من الجانب البريطاني كل من الجنرال هالي هاتشنسون والجنرال ستيفنسون باسم الاميرال كايت ويوسف باشا الصدر الاعظم باسم السلطان .. (١)

أما نص المعاهدة بين الجنرال (BELLIARD) وأخصامه فقد تضمن بندًا يتعلق بالابحاث العلمية التي

---

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - اميل الخوري ومادل اسماعيل ص : ١٨١ .

قام بها العلماء الفرنسيون ووجوب تسليمها إلى الانكليز وفيما يلي نصه .

« إن المجموعات الخاصة ( COLLECTIONS ) والتصاميم والرسوم والمخطوطات العائدة للجنة العلوم والفنون تسلم إلى أركان قيادة الجيش الانكليزي » . ما كاد نباً هذا البند يبلغ مسامع أعضاء لجنة العلوم والفنون حتى خف ثلاثة منهم إلى الجنرال ( HUTCHINSON ) ليعلنوا له أنه في حال اصراره على اجبارهم تسليم المخطوطات والابحاث والمجموعات فانهم على استعداد لنشر هذا الامر المقيت في أوروبا والذي يعد بمثابة وصمة في جبين العلم .

تكللت هذه المساعي بالنجاح وبقيت اللجنة تحتفظ بشمرة جهودها ونتائج تفكيرها ( ٢ ) .

## ٤٠ = رفض الجنرال ( MENOUD ) لقبول اتفاق الجلاء عن القاهرة

لم يختلف موقف الجنرال ( MENOUD ) بشأن هذا الاتفاق عن الموقف الذي اتخذه بقصد اتفاق العريش : فقد رفض قبوله وأرسيل إلى الجنرال بليارد ( BELLIARD ) قائد حامية القاهرة يأمره بمتابعة الحرب حتى النصر أو الموت . الا أن الجنرال بليارد

BONAPARTE EN EGYPT. DESIRE

( ١ )

LA CROIX P. 524 - 528.

أصر على تنفيذ الجلاء معتبراً أن مواصلة الحرب في تلك الظروف العصيبة نوع من الانتحار وناعتا أوامر الجنرال (MENOU) بأنها بعيدة عن المنطق وتتنم عن جهل تام لحقيقة الواقع .

## ٤١ = عودة حامية القاهرة إلى الإسكندرية

في ١٣ تموز ١٨٠١ خادرت الحامية الفرنسية القاهرة باتجاه الإسكندرية تنقل معها جثمان الجنرال كليبر واضح اتفاق العريش .

عندما لم ير الجنرال (MENOU) بدا من دعوة المجلس العسكري للمداولة في الحالة على ضوء التطورات الأخيرة . وقد قرر هذا المجلس متابعة القتال بالرغم من زوال كل أمل بوصول آية مساعدة أو نجدة من فرنسا وبالرغم من احتلال البريطانيين وال Ottomans للقاهرة ولاكثر المناطق المصرية .

## ٤٢ = رسالة الجنرال (MENOU) إلى بونابرت يستنكر فيها استسلام حامية القاهرة

أرسل الجنرال (MENOU) إلى بونابرت رسالة في ١٠ تموز ١٨٠١ يستنكر فيها استسلام حامية القاهرة ويطلعه عن قراره على مواصلة القتال في ضواحي الإسكندرية ويحمل الجنرال بليار تبعه استسلام حامية القاهرة ويشكو من أن هذا الجنرال قد وضع في اتفاق استسلام القاهرة نصاً يعطيه أي الجنرال (MENOU) حق الاستسلام بدوره وأنه - أي الجنرال بليار قد

تجاوز صلاحيته كقائد موقع وأقدم على عمل لا يجوز له الاقدام عليه دون أخذ موافقة القائد العام .

٣٣ = تضييق البريطانيين الخناق على (MENOU) ضيق البريطانيون الخناق على الجنرال (MENOU) وشددوا عليه الحصار في ضواحي الاسكندرية ونفذ الفداء والذخيرة من الجيش الفرنسي وأنزل البريطانيون جيوشا هندية جديدة على ساحل البحر الاحمر بقيادة الجنرال بيرد فاحتل هرفا القصیر وتوغل في الاراضي المصرية للاتصال بالقوى العاملة على سواحل المتوسط وعند ذلك أيقن الجنرال (MENOU) أن مواصلة القتال أصبحت ضربا من المحال فعقد في ٢٦ آب سنة ١٨٠١ مجلسا حربيا اقر فيه طلب المهدنة .

وبتاريخ ٢ أيلول وضع الجنرال (MENOU) مع الجنرال هاتشنسون اتفاقا ينص على أن تسلم القيادة الفرنسية للقيادة البريطانية ٣٨٩ مدفعا و ١٦ سفينة حربية و ٤٠٠ سفينة تجارية كانت ترسو في ميناء الاسكندرية (١) .

### ٣٤ = صدى نبا سقوط القاهرة في لندن وبارييس

لم ينفك اوتو عن متابعة محاولاته في لندن للوصول مع البريطانيين الى صلح في الوقت الذي كانت فيه الحاميات الفرنسية في مصر تستسلم تباعا . كما

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - للدكتور اميل الخوري ومادل اسماعيل ص : ١٨٢ .

كان بونابرت وتليران يسعين سرا مع السفير التركي في باريس - علي أفندي - الى حل مرض مع السلطان العثماني الا أن الياس بدا يغزو نفس المعتمد الفرنسي اوتو الذي بعث الى تليران في ٨ تموز سنة ١٨٠١ رسالة يقول فيها ليس بالامكان أن نناشد من البريطانيين أكثر مما عرضوا علينا وقد صرخ لي اللورد هاكسبوري وقد ارتسدت على شفتيه ابتسامة النصر بأن بريطانيا تعتبر منذ اليوم أن المسألة المصرية قد انتهت وأن مصر بلد محظى .

وعندما سرت في لندن شائعة سقوط القاهرة ببعث أوتو وقد خانته أعصابه الى تليران برسالة ثانية في ٤ آب سنة ١٨٠١ يسأله عن حقيقة الامر ويطلعه أنه في حال ثبوت سقوط القاهرة ينتفي كل أهل بالحصول على شيء من الجانب البريطاني فكان جواب تليران على كتاب أوتو في ١٢ آب يستحثه على الاسراع في المفاوضة وبلغه موافقة الحكومة الفرنسية على التخلي عن جزيرتي سيلان وترينيداد . ولما شعر أوتو بأن المفاوضات ستتعثر بسبب مالطة وتبلاغو اللتين اصر هاكسبوري على الاحتفاظ بهما لم ير أوتو بدا من الموافقة على مطاليب هاكسبوري وذلك بغية الاسراع في انهاء المفاوضات وعملا بتعليمات تليران بهذا الصدد .

عندما شعر هاكسبوري بأن اسراع أوتو في وضع مقدمات الصلح لا بد وأن تخفي شيئا فراح ينتهز الاعذار للمماطلة واطالة المفاوضات بانتظار نتيجة معركة الاسكندرية وأخيرا وقع الفريقان مقدمات

الصلح في أول تشرين الأول عام ١٨٠١ . وما كاد يتم ذلك حتى وصلت سفينة من أسطول المتوسط إلى لندن تحمل رسالة من أمير البحر كايت مفادها أن الجنرال كتب اليه رسالة يطلب المفاوضة في الجلاء عن الإسكندرية فنذمت الحكومة البريطانية على تسرعها في توقيع الاتفاق وودت لو أنها أصرت على المماطلة والتسويف .

اما في باريس فقد حرص تليران في مفاوضاته المسائية مع علي أفندي على اظهار أخطار تحالف تركيا وروسيا وبريطانيا على مصالح الباب العالي ووحدة الامبراطورية التركية .

ولما كان السلطان سليم شديد الاقتناع بأن بقاء فرنسا في مصر أصبح أمراً مستحيلاً أو عز إلى سفيره في باريس بأن يوجه مفاوضاته مع المسؤولين فيها وجهة جديدة وطلب إليه مباحثة تليران في عقد الصلح مع تركيا على الأسس التالية :

١ = أن ينسحب الجيش الفرنسي من مصر دون قيد أو شرط أو تعويض .

٢ = أن تعترف فرنسا بالتدابير التي اتخذتها الحكومة العثمانية بشأن جمهورية الجزر السبع والجزر الأيونية .

٣ = أن ينظر في دفع تعويضات عادلة عن الأموال التي صادرها المطرفان أثناء الحرب (١) وقد أوصى

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ : ١٨٣ .

السلطان سفيره في باريس بأن يستعين في المفاوضة مع تليران بسفير روسيا في باريس لأن السلطان كان قليل الثقة بتليران ووعده وكان يخشى مكره ودهاءه كما كان السلطان يرى بهذه الطريقة سبيلا لحمل فرنسا على قبول كافة شروطه . وربما كان السلطان يبغي من وراء ذلك أن يرد لبونابرت الكيل كيلين بصدق موقفه الودي من بولس الأول واسكيندر الأول وعده مع روسيا في نيسان سنة ١٨٠١ معاهدات سرية يعترف لها فيها بحق الأسهام في وضع شروط الصلح بينه وبين الباب العالي . وبالرغم من أن بونابرت كان يعتقد ببقاء هذه المعاهدة سرا لا يعلمه الآتراك غير أن الروس قد فضحوا أمرها عندما علموا أن بونابرت شرع بمفاوضاته مع العثمانيين دون اشراك الروس بها . غير أن دهاء تليران ومراؤ غته والاستعانة بأمين سر السفير التركي وترجمانه كودريكا واغداق المال عليه كل هذه العوامل أدت إلى اقناع السفير علي أفندي بالشرع في المفاوضة مع الفرنسيين دون اشراك الروس فيها . فوضعت مقدمات هذا الصلح في ٦ تشرين الأول عام ١٨٠١ . ووقعها تليران وعلى أفندي في ٩ منه .

## ٤٥ = اغتيال بونابرت بعودة العلاقات الفرنسية

### العثمانية

أوفد بونابرت إلى السلطان سليم رجلا من أقرب المقربين إليه الكولونيال سيبستيانو وحمله مع وثيقة مقدمات الصلح كتابا خاصا للسلطان ضممه شعير

بونابرت واعتباطه بعودة العلاقات بين فرنسا والباب  
العالي . وقد جاء في هذه الرسالة :

أن الحملة المصرية كانت بريئة من كل روح أو  
فكرة عدائية ولم يكنقصد منها الحق الاذى والضرر  
بالمperialية العثمانية ولكن الله شاء اذ جعلها سببا  
لقطع العلاقات بين الامتيين أن يقنعوا معاً بأن  
مصالحهما الحقيقية في السلم والاتحاد والتعاون (١) .  
استقبلت السلطات العثمانية الكولونيل سبستيانى  
بحفاوة بالغة كما تلقى الشعب خبر الاتفاق بالغبطة  
والفرح .

### ٢٦ = موقف سفراء الدول الاوروبية في القسطنطينية حيال هجيء الكولونيل سبستيانى

يستدل من التقرير الذي رفعه سبستيانى الى  
بونابرت عقب وصوله الى القسطنطينية أن سفراء  
الدول الاوروبية كانوا على بعض الامتناع وكانت  
تحرقهم الرغبة في الوقوف على غاية مهمة هذا  
الكولونيل وخاصة السفير الروسي الذي الع عليه  
ليطلعه على سبب قدومه فما كان من الكولونيل الا أن  
أجابه .

أن مهمتي لمن أبسط المهام وأسهلها وهي  
تتحصر أني ضابط تلقى أمراً بحمل رسالة من القنصل  
الاول الى السلطان .

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - ص : ١٨٥

كما أقدم - تمارا - سفير روسيا بمساعدة سفير بريطانيا وسفير نابولي على لفت نظر الباب العالي إلى الخطر الذي ينطوي عليه قبول مبعوث فرنسي على وجه مخالف للعادات والتقاليد التي تعتبر جزءا أساسيا من نظام الامبراطورية العثمانية .

أما سفير بروسيا فقد ألح على الباب العالي في استجابة طلب سيبستيانى وحذا حذوه سفير إسبانيا ولما أدرك السفير الروسي أن الفشل معارضته بالمرصاد اقترح على سيبستيانى أن يتم تقديمها إلى السلطان بواسطته فلم يوافقه سيبستيانى على ذلك .  
عندما عمد السفير الروسي إلى محاولة نقل المفاوضة من باريس إلى القسطنطينية لتكون له الكلمة فيها ولما لم يوفق إلى ذلك عاد إلى معارضته السافرة معلناً أن تفرد علي أفندي وتليلران في باريس فسيشؤون الصلح يتناقض والاتفاق السابق بين الباب العالي وحلفائه .

### ٩٧ = موقف السلطان العثماني سليم الثالث من نشاط سفراء الدول الأوروبية بمناسبة قدوم الكولونيل سيبستيانى إلى الاستانبول

كان الباب العالي ميالاً إلى ابرام مقدمات الصلح - التي تمت بين سفير تركيا علي أفندي وتليلران في باريس - ولكن سفير بريطانيا وروسيا احتجوا على قبولها لأنها وضعت بمعزل عن حكومتيهما خلافاً لما تم الاتفاق عليه في معاهدة لندن حيث أن روح المقدمات

يتعارض ونصول المادة 10 من مقدمات صلح لندن التي تنص على اشتراك تركيا في مؤتمر أميان لوضع معاهدة الصلح النهائية بين فرنسا وبريطانيا فتراجع السلطان عن موقفه السابق وعين سفيره في باريس علي أفندي مندوبا عنه في هذا المؤتمر وخلوه صلاحيات توقيع الاتفاق عنه .

كما أجاب السلطان على رسالة بونابرت برسالة ودية سلمها الى الكولونييل سيبستيانى لنقلها عند عودته الى بونابرت وقد جاء فيها : لقد أقام الباب العالي الدليل بعد الدليل على وفائه للصداقة بينه وبين فرنسا . وان علينا بعد اليوم أن نكون متفاهمين ومتعاونين تعاونا وثيقا لتأمين رخاء وازدهار أمتننا (١) .

### ٣٨ = عدم اشتراك ممثل تركيا في مفاوضات صلح أميان تحمل الباب العالي على عقد صلح منفرد مع فرنسا دعي « صلح باريس »

كان هدف فرنسا عدم الاخذ بعين الاعتبار لما جاء في المادة 10 من مقدمات اتفاق لندن بشأن اشتراك تركيا في مؤتمر أميان وذلك بغية عقد صلح منفرد معها .

وقد بذل بونابرت وتاليران جهودا كبيرة لعدم تمكين علي أفندي من تمثيل تركيا في هذا المؤتمر لقد كان يمثل الجانب البريطاني في مؤتمر أميان المنعقد في

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - ج ١ - اميل الغوري ومالك اسماعيل ص : ١٩١ .

آذار عام ١٨٠١ اللورد كورنواليس ويمثل الجانب  
الفرنسي جوزيف بونابرت .

ولقد أصر الأول على عدم الشروع في المفاوضات قبل حضور الممثل التركي كما سعى الجانب الفرنسي بشتى الطرق إلى عدم تمكين ممثل تركيا من حضور المؤتمر ولم يتورع عن اظهار تساهل مع بريطانيا في عدة شؤون حتى تمكن من اقناع الجانب البريطاني بعدم الالحاح في مطالبه السابقة بشأن حضور ممثل الباب العالي .

وبناءً لما تقدم عقدت معاهمدة صلح أميان في ٢٧ آذار عام ١٨٠١ بين فرنسا وبريطانيا وأسبانيا وهولندا بمعزل عن الباب العالي . وقد وصفت هذه المعاهمدة بأنها معاهمدة تنازلت فيها فرنسا لبريطانيا عن نفوذها في المتوسط .

لقد امتعض السلطان سليم لدى سماعه أن معاهمدة أميان قد تمت بمنأى عن ممثله وعد هذا العمل اهتمالاً من قبل بريطانيا ازاءه وأدرك أن احترام الدول الأوروبية للباب العالي أقل كثيراً مما كان يظن ولهذا فقد قرر عقد صلح منفرد مع فرنسا فأوفد الامين العام لوزارة الخارجية العثمانية المدعو محمد سعيد غالب أفندي إلى باريس للمفاوضة حيث تم عقد صلح باريس بينه وبين تليلران في ٤٥ حزيران سنة ١٨٠٣ كان من شأنه أن أنهى الحرب بين فرنسا والباب العالي . وقد عين بونابرت بعد ذلك الجنرال برونو

سفيرًا لفرنسا في القسطنطينية (١) .  
لم تكن آثار الحملة الفرنسية على مصر رهنا ببقاء الفرنسيين في الديار المصرية حتى إذا ما تم جلاؤهم عنها تلاشى ما أحدثه وجودهم من آثار ذلك أن الفرنسيين قد شرعوا بأعمال في مصر لم يسمح لهم جلاؤهم باتمامها فبقيت فكرة انجازها بانتظار من سيأخذ على عاتقه أمر ابرازها إلى حيز الوجود .  
وسرعان ما ظهرت يقظة النفوذ الفرنسي لتعاب دورها الحاسم على مسرح الأحداث في مصر في عهد محمد علي الكبير . ولما كانت هذه اليقظة للنفوذ الفرنسي في مصر تعد بمثابة تتمة لآثار الحملة الفرنسية وتمؤلف صفة ملحقة من صفحات آثارها فلا بد والحالة هذه من القاء نظرة عليها ودرسها تحت عنوان :

« امتداد آثار الحملة الفرنسية على الأوضاع في مصر » .

---

(١) السياسة الدولية في الشرق العربي - أميل الخوري وعادل اسماعيل - الفصل الثالث ص : ١٩٣ - ١٩٤ .

## الفصل السابع

### امتداد آثار الحملة الفرنسية على الأوضاع في مصر

١ = وضع مصر عندها أخلاقها الفرنسيون

عندما أخلى الفرنسيون مصر كانت ثلات قوات  
تتمرکز في هذه البلاد :

- (١) الاتراك في القاهرة والاسكندرية .
- (٢) الانكليز في أمبابة والاسكندرية ( حيث أن صلح  
أميان لم يكن قد وقع بعد ) . . .
- (٣) المماليك الذين ساعدوا الانكليز والاتراك والذين  
كانوا القوة الاكثر أهمية نظراً لكونهم من ذات البلاد  
فقد اغتنموا فرصة ذهاب الفرنسيين ليعودوا الى  
سيرتهم الاولى من النهب وسوء معاملة الاهلين كذلك  
الاتراك فقد اتبعوا ذات الطرق وبعبارة وجيبة كانت  
البلاد تفرق في الفوضى وخزائفها فارغة لعزوف السكان  
عن دفع الضرائب .

عندما كان الانكليز قد فرغوا من رسم خطتهم  
وهي : الاحتفاظ بالشواطئ المصرية الشمالية بالاتفاق  
مع الاتراك والمماليك . أما بعد صلح أبيان الذي حتم

على الانكليز الجلاء عن مصر فقد رأت بريطانيا انها لن تجدي من الاتراك فتيلاً وذلك أن سيبستيان قد أحيا العلاقات الطيبة بين فرنسا وتركيا بفضل مهارته السياسية عندها عمد الانكليز إلى التعلق بالملك ووجهوا دعوة إلى الفي بك لزيارة بريطانيا .

### ٢ = ظهور محمد علي

كانت الحملة الثانية التي وجهتها تركيا ضد الفرنسيين تضم في عدادها المدعو محمد علي والذي هو من عدد فرقه يعود أصلها إلى كافالا (CAVALLA) وكان محمد علي قد أبلى بلاء حسناً في معركة الرحمانية فقد احتاز شوطاً بعيداً في سلم الرتب ولما كان محمد علي ذا ذكاء حاد ومنطق سليم وشجاعة نادرة فقد توصل بسرعة ومهارة إلى أن يصبح قائداً للاليانين بعد وفاة أحمد ظاهر باشا وأن يحوز على سلطة فائقة في القاهرة وأن يستميل إليه قلوب السكان ويظفر باحترامهم له .

وفضلاً عن ذلك فان الحروب الداخلية والاشتباكات التي حصلت بين الشعب والملك مع الوالي العثماني كوسراف باشا ومن أتى بعده من الولاة كل ذلك كان لصالح محمد علي .

### ٣ = الشعب ينادي بمحمد علي باشا مصر

نادى الشعب وفي طليعته العلماء والاعيان والتجار بمحمد علي باشا مصر في الاجتماع الكبير الذي عقد في

القاهرة في شهر ايار عام ١٨٠٥ وذلك بغية انهاء النزاعات المتواصلة التي كان يخوضها الشعب تارة ضد الهماليك وطورا ضد الاتراك وبالاختصار بغية وضع حد لتلك الحالة المؤسفة التي وصلت اليها البلاد

كذلك الجيش فقد انحاز الى محمد علي بسبب ضاللة الرواتب . أزاء هذه التظاهرة الشعبية أجبر الباب العالي على الاعتراف بمحمد علي بهذه الصفة التي أرادها الشعب . وكانت هذه الباذرة الاولى من نوعها في تاريخ مصر الحديث وأول مرة يتمكن الشعب من استعمال حقه الشرعي واختياره بحرية سيد مقدراته وقد شرعت مصر بفضل هذا الاختيار بالسير ببطء ولكن بأمان في طريق التقدم والمدنية .

وكان أن لعبت مصر بفضل هذا الرجل دورا هاما على مسرح السياسة الخارجية .

#### ٤ = محاولات بريطانيا

ما ان شعر الهماليك بطلائع الفشل تزعزع مكانتهم حتى ناصبوا الالباني الكبير العداء وقادهم الحسد الى عدم الرضوخ لسيطرته واللجوء الى مصر العليا ووجهوا دعوة الى الانكليز تتضمن السماح لهم باحتلال القسم الشمالي من مصر في حال مدهم يد المساعدة الى الهماليك .

حسب الانكليز أن الفرصة مؤاتية فأرسلوا (FRASER) الذي أنزل جنده في الاسكندرية و(ROSETTE) في شهر آذار عام ١٨٠٧ . ما أن علم

السلطان بهذه المناورة حتى أُعلن الحرب على بريطانيا  
وسارع محمد علي إلى ( ROSETTE ) فألحق بالإنكليز  
الهزيمة وأجبرهم على مغادرة الأراضي المصرية في ١٤  
أيلول من ذات العام .

### محمد علي والمماليك

ما كاد محمد علي يتخلص من أعدائه الخارجيين  
حتى أدار وجهه شطر المماليك وصادف أن كان  
السلطان في هذه الائتلاف في خصام مع الوهابيين الذين  
انتزعوا منه الأماكن المقدسة فكلف السلطان محمد  
علي لاخضاعهم فرضي بهذه المهمة السامية ٠٠٠ وكان  
ذلك فرصة سانحة للاستيلاء على مرفاً جدة الهام .  
وكان يتوجب على محمد علي أن يرفع إلى السلطان  
ضريبة سنوية وأن يؤمن حماية الحجاج مقابل توليته  
حاكمها على مصر .

### ٥ = مذبحة المماليك

لم يتمكن محمد علي من المجازفة بالقيام بهذا  
المشروع تاركاً المماليك وراءه تتبع الثورات والمكاييد  
فقد كانت القضية حياله مسألة حياة أو موت . وبعد  
أن أطاح التفكير أصدر قراراً يقضي بتسليم قيادة  
الجيش إلى ابنه توسون ليسبقه ثم تذرع بعذر احتفال  
بمناسبة توليته - دعا المماليك لحضوره في قلعة  
القاهرة وكان ذلك في أول آذار عام ١٨١١ .

وما كاد الخليفة المماليك يدخلون القلعة حتى  
أقفلت الأبواب وعلى إشارة أعطيت فتك بالمماليك

كافةً ومنذ ذلك الوقت ساد الهدوء في مصر بعد زوال  
شبح المماليك عنها .

أخلت بلاد الحجاز والمدينة ومكة وكل ما تبقى من  
شبه الجزيرة العربية من الوهابيين وأرسل محمد علي  
إلى السلطان مفتاح الكعبة .

٧ = تنظيم مصر

توطدت دعائمه سلطة محمد علي في الداخل والخارج وقد باشر فور عودته إلى القاهرة بتنظيم البلاد فاختار بعض الفرنسيين لهذه المهمة ولم يكن مرد ذلك احترامه للفرنسيين وثقته بهم بفضل ما باشروا به من مشاريع في البلاد ولم ينجزوها فحسب بل بسبب انتعاش الصداقة بين الباب العالي وفرنسا

## ٧ = يقظة النفوذ الفرنسي

استفاق النفوذ الفرنسي حينذاك من سباته العميق وقام الفرنسيون بهذه المهمة بكل اخلاص وكما يحتمه الشرف ردا على نظرة محمد علي المفضلة لهم وحصر ثقته بهم فعملوا بنشاط على انهاض البلاد على الصعيدين الروحي والمادي .

### تنظيم الجيش سليمان باشا المفرنساوي منظم جيش محمد علي

لما كان من المتوجب في البدء تنظيم الجيش فقد عهد محمد علي الى الفرنسي الملقب سليمان باشا بهذه المهمة . فمن هو سليمان باشا هذا ؟ هو الكولونييل سيف ( SEVES ) فرنسي الاصل امتهن البحرية وحضر معركة الطرف الاغر ثم انتظم في الجيش البري وقاتل في حروب نابليون ودرج في الهراتب العسكرية حتى بلغ رتبة كولونييل وبعد زوال عهد نابليون انقطع سيف للزراعة والتجارة ثم حضر الى مصر مزودا بتوصية الى محمد علي الذي رأى فيه الكفاءة وأعجب به وعهد اليه بتنظيم الجيش المصري على الاساليب الحديثة وقد اعتنق الكولونييل سيف الاسلام أثناء اقامته في مصر واختار لقب سليمان وعرف بلقب سليمان بك .

اشترك سليمان بك في حروب المؤدة وحرب سوريا والانتصارات وأنعم عليه محمد علي سنة ١٨٣٤ ( بالباشوية )

عقب الحرب السورية الأولى وعرف بعد ذلك الحين سليمان باشا الفرنسياوي . ألف سليمان باشا الجيش المصري من المتطوعين من الشعب وقد زاد عدد هذا الجيش من ( ٤٠ عشرين ألفا إلى ثلاثة ألفا ) .

## أ - سليمان باشا يقوم بتنشئة ضباط الجيش المصري في المدرسة العسكرية بأسوان

كان عدد الذين عهد إلى سليمان باشا بتدريبهم في المدرسة العسكرية بأسوان ألف رجل من المماليك . واستغرقت مدة تدريبهم ثلاث سنوات يتلقنون خلالها فنون وأساليب الحرب الحديثة وأصبح هؤلاء الرجال فيما بعد نواة الجيش النظمي . وقد لقي الكولونيل سيف صعوبات جمة في تدريب هؤلاء الشبان على الأساليب الحديثة التي تقوم على النظام والمطاعة المطلقة للرؤساء والمعروف عن المماليك أنهم ينزعون إلى الفوضى والأخلال بالنظام فضلاً عما فطروا عليه هن حب للتمرد والعصيان ورغم كل هذه العقبات فقد استطاع سليمان باشا من اتمام تعليمهم في مدى ثلاث سنوات فت تكون أول دفعة من الضباط المصريين قد تخرجت على يد الكولونيل سيف وتكون أول مدرسة حربية للجيش النظمي المصري هي مدرسة أسوان .

## ب - مدرسة الفرسان بالجيزة

أعجب إبراهيم باشا بحسن نظام الخيالة الفرنسيين خلال حرب الموردة وأدرك أهمية تنظيم

الفرسان ولهذا فقد بدأ لدى عودته من هذه الحرب بتشكيل فرق الفرسان في الجيش المصري . وأنشئت لهذا الغرض المدرسة الحربية للفرسان بالجيزة وتولى تنظيم المدرسة المسيو ( VARIN ) من ضباط الامبراطورية النابليونية والمارشال ( GOUVOIN )aintcyr وكان نظام هذه المدرسة يشابه نظام مدرسة ( SAUMUR ) الحربية في فرنسا مع تعديلات طفيفة استلزمتها الظروف المحلية . وقد كان عدد تلاميذ هذه المدرسة ٣٦٠ تلميذاً عام ١٨٣٤ وهم خليط من الشبان المصريين والترك ( ١ ) .

### ج - مدرسة المدفعية بطرة

افت المدفعية النظامية في مصر بذات الوقت التي نظمت فيه المشاة على الاساليب الحديثة . وقد عهد بتنظيمها الى جماعة من الضباط الفرنسيين وعاونهم في العمل ضباط مصرية وفي مقدمتهم أدهم بك .

### د - انشاء وتنظيم الاسطول

اعتمد محمد علي انشاء اسطول مصرى جديد وقرر تأسيس دار صناعة في الاسكندرية لبناء السفن الحربية وقد استعان للقيام بهذا المشروع بمهندس فرنسي يدعى المسيو سريزي ( )

( ١ ) تاريخ الحركة القومية في مصر الجزء الثالث - عبد الرحمن الرافعى  
بك ص : ٣٦٨ .

مهندس بحري على جانب كبير من المهارة والخبرة في فنون البحرية . (٢) وقد أصبح محمد علي اعتبرا من عام ١٨٢٠ بين ستين وثمانين عمارة حربية تمتاز بجودة تسليحها ومتانة صنعها .

وكانت هذه العمارات تؤلف أسطولين أحدهما للعمل في البحر المتوسط والثاني للعمل في البحر الاحمر مع أربعين ألف بحار و ٣٣٠ مدفع .

#### هـ - مدرسة الطب

ان النهضة الطبية الحديثة في مصر مدينة الى الطبيب الفرنسي كلوت بك وقد حضر هذا الطبيب الى مصر بداعي الرغبة الى أن يكون طبيب الجيش المصري ونزلوا عند رغبة أحد أصدقائه في ذلك . وبالنظر الى صفات هذا الطبيب وعزيمته الصادقة عهد اليه محمد علي بتنظيم الادارة الصحية للجيش المصري وجعله رئيس اطباء الجيش فقام بما عهد اليه خير قيام وكانت باكورة اعماله ان اشار على محمد علي بانشاء مستشفى عسكري بجوار المعسكر العام فنفذ محمد علي اقتراحته ثم اقترح ثانية على محمد علي انشاء مدرسة التخريج الاطباء من ابناء البلاد فعمل باقتراحته . وأنشئت عام ١٨٧٧ مدرسة الطب بأبي زعبل وقد أصبحت هذه المدرسة هي بعثة النهضة الطبية في مصر . وقد تولى كلوت بك ادارتها .

(٢) تاريخ الحركة القومية في مصر الجزء الثالث - عبد الرحمن الرافعى بك ص : ٣٦٨ .

كما أنشأ مجلساً للصحة على النظام الفرنسي كان له  
فضل كبير في النهوض بالحالة الصحية للبلاد .

كما أشار هذا الطبيب باستعمال تطعيم الجدري  
لمقاومة انتشار هذا المرض وعمل هو وتلاميذه على  
مكافحة داء الكولييرا الذي اجتاح مصر عام ١٨٣٠ وعلى  
أثر ذلك أنعم عليه محمد علي بالبكوية فصار يعرف  
بكلوت بك وفي عام ١٨٣٥ حل الطاعون بمصر فبدل  
كلوت بك جهوداً كبيرة في مقاومة هذا الماء وأنعم  
عليه محمد علي تقديرًا لجهوده برتبة أمير لواء .

ولقد كان الغرض من إنشاء مدرسة الطب اجابة  
لاقتراح الطبيب كلوت بك تخرج الأطباء المصريين  
للجيش . وقد اختارت الحكومة لهذه المدرسة مائة  
تلميذ من طلبة الازهر واختار كلوت بك لها طائفة من  
خيرة الأساتذة الأوروبيين وأكثرهم من الفرنسيين  
لتدریس علم التشريح والجراحة والأمراض الباطنية  
(١) والصيدلة والطب الشرعي والكيمياء .

كيف جاءه محمد علي جميع هذه المصادر  
دون اللجوء إلى الاقتراضات

## الزراعة والصناعة

لقد كان محمد علي يدرك بأن الاستقلال الحقيقي  
لبلد ما هو في استقلالها الاقتصادي فعمل على زيادة

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر - الجزء الثالث - عبد الرحمن الرافعى  
بك ص : ٤٤٦ - ٤٤٤ .

الموارد في مصر .

فقد اتسعت الثروة الزراعية التي كانت مهملة حتى ذلك الحين اتساعاً كبيراً بفضل تشجيعه ومرافقته . وقد أنشأ بمهندسين لامعين MOUGEL LINANT DE BELLE-FOND الجسور والطرقات والاقنية بحيث أن عدد الأفدنـة الذي كان عندما تسلم محمد علي للحكم مليوناً فقد ازداد هذا العدد كثيراً عن السابق كما أدخل إلى البلاد أغراض جديدة كالظلم ( INDIGO ) وقصب السكر وأجود أصناف القطن الهندي كما أنشئت معامل صنع ملح البارود ( SALPETRE ) كما أقيمت معامل لصناعات مختلفة تحت إدارة مهندسين فرنسيين ويشير ( BEY CLOT ) في كتاب له عن مصر بأن عدد المصانع التي أنشأها محمد علي كان ثمانية عشر مصنعاً للغزل والنسيج مع آلاف المهن بحيث كانت تصنع سنوياً مليونين من الملابس القطنية كما أنشأ عدة مصانع للكتان والقنب كانت تصدر بضائعها إلى TRIESTE ، LIVOURNE في إيطاليا .

وقد أنشأ معمل للاجواخ في ( BOULAC ) حيث كان يقدم الألبسة للجيش والبحرية كما أنشئت معامل لصنع الحبال لصالح الأسطول من القنب المستورد وأنشئت معامل صنع الطربوش والصابون والسكاكين والمزجاج وستتوقف قليلاً عند نوعين من الصناعات .

## ١ = المصانعات التحويلية

### صناعة الغزل والنسيج

لقد أنشأ محمد علي مصنعين كبارين للغزل

**والنسيج :**

الاول : في بولاق تحت اشراف المهندس الفرنسي جوبل (JUMEL) وبعد أن كان هذا المصنع مخصصا لانتاج الصوف فقد تحول الى الصناعات القطنية نظرا لرداة الصوف المحلي وفشل التجارب الناتجة عن عجز المديرين الثاني : في الخرنفتش تحت اشراف المهندس الفرنسي مورييل (MOREL) (١) وكان عدد العمال في هذين المصانعين يناهز الثمانمائة . وقد نجح محمد علي بعد محاولات عديدة في انشاء مصنع لغزل الصوف ونسجه وصياغته وقد اوكل ادارته الى عدد من المهندسين الفرنسيين . كان المصنع يحتوي على ١٩٠ نولا ويقارب انتاجه الشهري العشرين ألف ذراعا حيث كانت القوات المحاربة تستهلك الجزء الاكبر من هذا الانتاج (٢) وقد توطدت دعائيم هذه الصناعات واستطاعت الصمود أمام المنافسة الاجنبية .

## **ب - الصناعات الحربية**

بعد أن أنهى محمد علي الحرب مع الوهابيين شرع في انشاء المصانع الحربية بغية استجمام مقومات السلطان بين يديه وكيف لا يحرم من الذخائر والعتاد اذا ما ضرب عليه الحصار البحري . ولهذا فقد أنشأ عام ١٨٣٠ مصنعا في القلعة لصناعة المدافع ضم ستمائة عاملاء وقد ذكر البارون DE BOIS LE COMTE عند زيارته لهذا المصنع عام ١٨٣٣ أن عدد عماله ناهز الـ ١٥٠٠ عاملا

- 
- (١) تاريخ الصناعة في مصر - تأليف الدكتور علي الجريري ص : ٥٤ .  
(٢) تاريخ الصناعة في مصر - تأليف الدكتور علي الجريري ص : ٥٨ .

وكان ي العمل تحت اشراف المهندس الفرنسي أدهم بك  
(٤) .

ورغم التكاليف الباهظة لهذه المنشآت المتعددة فقد  
بقيت مالية الحكومة المصرية مزدهرة بحيث مكنتها  
من انماء الجيش والبحرية . أدهشت فرنسا نفسها بفضل  
أوروبا بأجمعها وهنأت فرنسا نفسها بفضل  
مساهمتها بهذا النجاح الذي أحرزته مصر فقد بذلت  
ما بوسعها لمساعدة محمد علي وتلقت كمكافأة على  
خدماتها احدى المسلمين ( OBELISQUE ) اللتين  
كانتا على مدخل معبد ( LOUQSOR ) حيث قدم مائة  
وأربعون عالما فرنسيا لنقلها من مصر عام ١٨٣٦ وقد  
أقيمت في ساحة الـ ( CONCORDE ) في باريس .

## ١٠ = الادارة

لم تكن الاراضي المصرية ممسوحة في عهد  
الملاليك مما كان يثير النزاعات بين الملوك ومن  
ناحية ثانية فقد أراد محمد علي أن يسجل بالضبط  
الاراضي العائدة للدولة ولهذا فقد أمر باجراء مسح  
الاراضي المصرية بأجمعها وقسمها الى سبعة أقاليم :  
اربعة في مصر السفلی وثلاثة في العليا - وعيّن على  
رأس كل اقليم مديرا وقسم كل اقليم الى عددة  
مقاطعات (٥) .

(١) تاريخ الصناعة في مصر - الدكتور علي الجرجسي ص : ٦٠ .  
(٢) L'EGYPTE MODERNE ET LES  
INFLUENCES ETRANGERES CHAPITRE II.

## ١١ = فتوحات محمد علي تحمل البعض على تشبيهه بنايليون بونابرت

اعترى أوروبا الذعر من التوسيع الذي أحرزه محمد علي فقد امتدت فتوحاته من السودان حتى جزيرة (CRETE) ومن النيل الأزرق حتى الفرات وأصبح البحر الأحمر بحيرة مصرية فمن يدري أن هذا الرجل لا يذهب حتى بلاد الهند .

لقد كانت هذه الفكرة كافية لاثارة الرعب في قلب بريطانيا . وأن النشاط الذي بذلته الدول الاوروبية الكبرى لابقاء مصر ضمن حدود معقولة لدليل واضح بأن محمد علي كان يعد منافساً عنيفاً .

لقد قيل ، وليس بدون صحة - أن محمد علي هو نابليون الشرق . فكما أن الظروف ساعدت بونابرت فقد ساعدت بامثل محمد علي .

فلولا حملة الفرنسيين على مصر من يدري اذا كان محمد علي يتوصى الى هذا السلطان العظيم . وكما أن بونابرت كان من مواليد كورسقاً وأصبح في غضون وقت قصير سيد مقدرات فرنسا فمحمد علي الالباني الاصل أصبح سيد مصر وكل ذلك بارادة الشعب ويتبين من هراجعه الوثائق الدبلوماسية المتبادلة بين الدول الاوروبية الكبرى ومحمد علي خلال الازمات بين عام ١٨٣٩ - ١٨٤٣ بأن عدداً لا يستهان به من الدبلوماسيين لم يتربدوا في تنبئه محمد علي عن النتائج الوخيمة التي يمكن أن يتوصى اليها كما توصل اليه قبله نابليون بتصدي معارضته للدول الكبرى .

## المسألة المصرية أثر من آثار الحملة الفرنسية على مصر

ظهرت المسألة المصرية للوجود منذ الحملة الفرنسية التي يمكن اعتبارها أول مثار للقضية المصرية اذا أنها كانت صراعاً بين فرنسا وانكلترا على الاستئثار بمصر وقد كان التنافس بين هاتين الدولتين الأوروبيتين قبل ذلك تنافساً اقتصادياً فلما جرد بونابرت حملته على مصر تحول هذا التنافس الى صراع سياسي وأخذت أعين انكلترا ترنو منذ ذلك الحين باتجاه مصر وتطمع في السيطرة عليها . وقد استمر هذا الصراع طيلة مدة بقاء - الحملة الفرنسية في أرض الكنانة وأدى الى جلاء الفرنسيين عنها . وقد ظهر فيما بعد ان انكلترا لم تكن تواصل حروبها ضد فرنسا لجلائها عن مصر فحسب بل لتحول فيها محلها وتحقق مطامعها السياسية والاستعمارية في وادي النيل وعندما قام محمد علي باشا بازاحة النير العثماني عن مصر واشتباك مع تركيا في الحرب السورية تلاقت حينذاك المسألة المصرية بالقضية الشرقية وبلغت المفازعات الدولية أشدتها واستفاقت مطامع الدول حيال ممتلكات الرجل المريض . (١) أوجست روسيا خيفة من انتصارات الجيش المصري وأدركت أن متابعة انتصارات محمد علي ستفضي الى استيلائه على عرش السلطنة العثمانية واحتلاله

---

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الجزء الثالث - عبد الرحمن الرافعى بك ص : ٢٧١ - ٢٧٢

المضائق التركية وخشيـت قيـام دولة قـوية فـتـية عـلـى  
تخـومـها عـلـى انـقـاضـ الـدـوـلـةـ العـثـمـانـيـةـ الـمـتـدـاعـيـةـ الـأـرـكـانـ  
وـهـيـنـذـاـكـ يـعـسـرـ بـلـ يـسـتـحـيلـ تـحـقـيقـ حـلـمـهـاـ الـمـزـمـنـ وـهـوـ  
الـتـمـكـنـ مـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـبـحـرـ الـمـتوـسـطـ عـبـرـ الـبـوـسـفـورـ  
وـالـدـرـدـنـيـلـ . وـسـعـيـاـ وـرـاءـ تـحـقـيقـ أـمـانـيـهـاـ أـوـفـدـتـ رـوـسـيـاـ  
الـجـنـرـالـ مـوـرـاـفـيـفـ ( MOURAWIEF ) إـلـىـ السـلـطـانـ  
مـحـمـودـ لـيـعـرـضـ عـلـيـهـ اـسـتـعـدـادـ بـلـادـهـ لـحـشـدـ جـمـيعـ قـوـاتـهـاـ  
الـبـرـيـةـ وـالـبـحـرـيـةـ لـلـدـفـاعـ عـنـ الـإـمـپـرـاطـورـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ  
فـكـانـ لـهـذـاـ عـرـضـ وـقـعـ الصـاعـقـةـ فـيـ فـرـنـسـاـ وـانـكـلـاتـراـ  
وـخـشـيـتـاـ اـمـتـدـادـ النـفـوذـ الـرـوـسـيـ فـيـ الشـؤـونـ الـتـرـكـيـةـ  
فـبـذـلتـاـ الـجـهـودـ لـوـقـفـ تـقـدـمـ الـجـيـشـ الـمـصـرـيـ لـكـيـ لـاـ  
تـدـعـ مـجـالـاـ لـرـوـسـيـاـ لـخـوضـ الـحـربـ إـلـىـ جـانـبـ جـارـتـهـ  
تـرـكـيـاـ .

وـسـعـتـ فـرـنـسـاـ لـهـاـ مـاـ لـهـاـ مـنـ عـلـاقـاتـ وـدـيـةـ مـعـ مـصـرـ  
لـاقـنـاعـ مـحـمـودـ عـلـيـ عـلـىـ تـسـوـيـةـ الـخـلـافـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ  
الـعـثـمـانـيـنـ وـأـوـفـدـتـ إـلـىـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ الـأـمـيـرـالـ رـوـسـانـ  
( ROUSSIN ) سـفـيرـاـ لـهـاـ لـوـضـعـ حدـ لـلـخـلـافـ بـيـنـ  
الـسـلـطـانـ وـمـحـمـودـ عـلـيـ وـلـلـحـيـاـوـلـةـ دـوـنـ تـدـخـلـ رـوـسـيـاـ .

أـصـبـحـتـ مـصـرـ فـيـ ذـلـكـ الـحـينـ قـبـلـةـ أـنـظـارـ الـدـوـلـ  
الـأـوـرـوبـيـةـ وـتـوـافـدـ رـسـلـ هـذـهـ الـأـخـيـرـةـ إـلـىـ مـحـمـودـ عـلـيـ مـنـ  
كـلـ حـذـبـ وـصـوبـ : فـحـضـرـ الـجـنـرـالـ مـوـرـاـفـيـفـ إـلـىـ  
الـإـسـكـنـدـرـيـةـ وـعـرـضـ عـلـىـ مـحـمـودـ عـلـيـ الـوـسـاطـةـ بـيـنـهـ  
وـبـيـنـ الـسـلـطـانـ فـتـمـسـكـ مـحـمـودـ عـلـيـ بـوـجـهـةـ نـظـرـهـ .

كـمـاـ أـرـسـلـ الـسـلـطـانـ مـنـدوـبـاـ عـنـهـ بـاـيـعـازـ مـنـ  
الـسـفـارـةـ الـفـرـنـسـيـةـ إـلـىـ مـحـمـودـ عـلـيـ لـيـفـاـوـضـهـ فـيـ حـسـمـ

الخلاف وديا وأوفد الاميرال روسان الى محمد علي يطلب اليه الاكتفاء بولايات صيدا وطرابلس والقدس ونابلس فرفض محمد علي كافة الاقتراحات واصر على ضم سوريا وولاية أذنة الى مصر . عندها رضيت تركيا بحماية روسيا فأنزلت هذه الاخيرة قواتها على الشواطئ التركية الآسيوية ورسا أسطولها في مياه البوسفور . (١)

عند ذلك لم ير ابراهيم باشا بدا من هتابعة الزحف فتقدم بجيشه واحتل كوتاهية كما هدد السلطان بالزحف على الاستانة اذا لم تجب مطالبه فاضطر الباب العالي الى الاذعان وارسل الى ابراهيم باشا هندوبا عنه للمفاوضة وتم الاتفاق على الصلح في ٨ نيسان سنة ١٨١٣ وهو المعروف باتفاق كوتاهية وبموجبه تخلى السلطان محمد علي عن سوريا وأقلبم اذنة المشهور بكثرة مناجمه ووفرة أخشابه مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت وبلاد الحجاز مقابل جلاء الجيش المصري عن بقية بلاد الاناضول . غير أن رداء الخذلان الذي ألقاءه السلطان مكرها على غاربيه بعد صلح كوتاهية حمل الباب العالي لتحين الفرص في سبيل نقضه وازالة وصمة العار عنه من جرائه .

ولم يتورع السلطان حينذاك من عقد معاهدة سرية مع روسيا دعى بمعاهدة هنكار أسله سي وهي عبارة عن معاهدة دفاعية هجومية التزمت كل دولة

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الجزء الثالث - عبد الرحمن الرافعى بك ص : ٢٧٣ .

فيها أن تساعد الدولة الأخرى إذا استهدفت لخطر داخلي أو خارجي كما تعهدت تركيا لروسيا بالسماح لاسطولها بالمرور عبر مضائق من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط ، كما خولت هذه المعاهدة روسيا أن تتدخل في شؤون تركيا وتبسط وشاح حمايتها عليها . كما أدركت تركيا أن الخطر الوحيد الذي يهرب إليها هو ذلك المنبعث من مصر وابرامها المعاهدة مع روسيا كان يعني عدم صفاء نيتها في صلح كوتاهية .

أصبح ابراهيم باشا حاكما عاما للبلاد السورية وقادها عاما للجيش المصري وجعل سليمان باشا الفرنسياوي على أية للة صيدا ( عكا ) . غير أن تركيا ما فتئت بعد ابرامها اتفاقية كوتاهية تعدد العدة لاستعادة أقليم أدنة واسترجاع سوريا وتجددت على أثر ذلك الحرب بينها وبين محمد علي وأسفرت عن انتصار المصريين على الاتراك في معركة نصيبين في ٤ تموز سنة ١٨٣٩ وأدت إلى زعزعة التوازن الأوروبي فوقفت الدول الأوروبية حيال هذا النزاع مواقف مختلفة ففرنسا كانت تمثيل إلى اقرار محمد علي باشا على سوريا وجزيرة العرب طبقا لاتفاق كوتاهية ولما أدت إليه نتيجة معركة نصيبين .

اما روسيا فقد اغتنمت هذه الفرصة لبسط حمايتها الفعلية على تركيا متظاهرة في الدفاع عنها . وأما رأي انكلترا فقد كان يلخص في وجوب المحافظة على كيان الرجل المريض ووجوب اعادة سوريا إلى تركيا وقد ناصبت محمد علي العداء وقررت اخضاعه

بالقوة عاملة على تأليب الدول الأخرى عليه . لم تقف بريطانيا هذا الموقف حيال السلطنة العثمانية مدفوعة بعامل المحبة والأخلاص لها بل كانت مصلحتها تقضي بذلك وغايتها خنق الدولة المصرية الفتية في الهند حيث كانت ترى في بقاء محمد علي في سوريا خطرا على طريق الهند من ناحية الفرات والعراق وكذلك كانت ترى أن امتداد رقعة الدولة المصرية على الأراضي السورية يجعل منها دولة مرهوبة الجانب ودولة بحرية قوية من دول البحر المتوسط . أن عداء إنكلترا لمحمد علي تعود أسبابه إلى عام ١٨٠٧ حيث حاولت بريطانيا اخضاع مصر يومذاك وجعلها مستعمرة بريطانية فاعتراض طريقها محمد علي وأقام في مصر دولة حديثة قوية أرجف بها قلب البريطانيين وغيرهم على السواء .

أن سياسة بريطانيا الاستعمارية كانت ترتكز على عدائها لمصر وقد سعت السينين الطوال لتقليل أظافر محمد علي واحباط مشاريعه التوسعية والهدف الثاني التي كانت تصبو إليه بريطانيا هو اضعاف مصر ليتسنى لها استعمارها فيما بعد .

اما مترنيخ وزير النمسا فقد كان هبلا الى تعزيز موقف تركيا لكي لا يدع لروسيا مجالا للتدخل في شؤون السلطنة العثمانية ولأنه من ناحية ثانية كان ينادي بمبدأ الشرعية ويرى في محمد علي ذاك التأثير على الحكم الشرعي الذي هو السلطان . (١)

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر - عبد الرحمن الرافعى بك - الجزء الثالث - ص : ٤٢٤ .

اما بروسيا فقد كانت مصلحتها تقضي باتخاذ موقف مناقض لسياسة فرنسا مدفوعة بعامل الحقد والكره أزاءها .

واما تركيا فقد كانت يومذاك هتداعية الاركان تسلم زمامها فتى لا يتجاوز السابعة عشر من العمر هو السلطان عبد المجيد فرأى من الحكم أن يفاوض محمد علي بالحسنى لجسم الخلاف بينهما . وقد أوفد السلطان عبد المجيد إلى محمد علي وزيره خسرو باشا المشهور بعدائـه وكرهـه محمد علي لفاوضـة هذا الاخير على أساس تخويلـه مـلك مصر الوراثـي .

الـا أن سفراء الدول الخـمس : النـمسـا وـروسـيا وـبروسـيا وـإنـكلـترا وـفرـنسـا قـدـمـوا مـذـكـرـةـ إلىـ الـبـابـ العـالـيـ بوـحـيـ منـ مـقـرـنـيـخـ يـعـارـضـونـ فيـهاـ كـلـ حلـ للـمـسـأـلـةـ الـمـصـرـيـةـ يـتـمـ عـلـىـ انـفـرـادـ بـيـنـ تـرـكـياـ وـمـصـرـ .ـ وـقـدـ كـانـ مـقـرـنـيـخـ يـيـغـيـ منـ وـرـاءـ ذـلـكـ الـحـؤـولـ دونـ انـفـرـادـ رـوسـياـ بـالـتـدـخـلـ فـيـ الـمـسـأـلـةـ الـشـرـقـيـةـ وـمـنـ الـغـرـابـةـ أـنـ تـشـتـرـكـ فـرـنسـاـ فـيـ هـذـهـ الـمـذـكـرـةـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـتـ تـنـادـيـ وـتـجـاهـرـ بـتـأـيـيدـ مـحـمـدـ عـلـيـ .ـ الـاـ أـنـهـ كـانـ يـعـوزـ السـيـاسـةـ الـفـرـنـسـيـةـ الـحـزمـ وـالـاستـقـرارـ وـبـعـدـ الـنـظـرـ وـسـتـكـونـ هـذـهـ النـقـائـصـ فـيـ السـيـاسـةـ الـفـرـنـسـيـةـ وـبـأـلـاـ عـلـىـ الـدـوـلـ الـمـصـرـيـةـ الـفـتـيـةـ .ـ

وبـالـأـخـتـصـارـ كانـ لـكـلـ دـوـلـ مـنـ الـدـوـلـ الـأـورـوـبـيـةـ بـصـدـدـ اـنـهـاءـ الـازـمـةـ بـيـنـ مـصـرـ وـتـرـكـياـ رـأـيـ يـخـتـلـفـ عـنـ آـرـاءـ الـدـوـلـ الـأـخـرـىـ .ـ

فكان رأي فرنسا المعلن بواسطة تيارسون (THIERS) رئيس الوزارة ووزير الخارجية هو ضم سوريا إلى مصر وأن يتم الاتفاق على ذلك رأساً بين محمد علي والسلطان.

أما بلمرستون رئيس وزراء إنكلترا فقد عارض هذا الرأي واقتصر حل وسطاً هو أن يعطى محمد علي الحكم الوراثي لمصر ولاية عكا ما عدا مدينة عكا فرفضت فرنسا هذا العرض كما رفضته مصر التي كانت تساند حينذاك من قبل فرنسا. وأزاء هذا الرفض لم ير بلمرستون بدا من مفاوضة الدول الأخرى روسيا والنمسا وبروسيا وتركيا ودعوتها لوضع حل نهائي تتضمن به مصر وفرنسا أهام الامر الواقع فكان أن وضع بلمرستون لهذا الحل أثناء عقد معاهدة لندن الشهيرة في 15 تموز ١٨٤٠ وهو المعاهدة التي عقدت بين إنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا. وقد نصت هذه المعاهدة على:

١ = أن يخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سوريا المعروفة بولاية عكا بشرط أن يقبل ذلك بمدة لا تتجاوز عشرة أيام وأن يتخلى عن كافة الأراضي التي احتلتها الجيوش المصرية.

٢ = إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ويمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جيوشه من جميع البلاد العثمانية وإذا انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان

السلطان في حل من حرمته ولاية مصر (١) . وقد تضمنت هذه المعاهدة بنوداً مجحفة بحق محمد علي لم يرض بها معتمداً على تأييد فرنسا له ولعاصيته في موقفه . وسرعان ما خاب ظن محمد علي بحصول ما لم يكن في الحسبان وهو تغيير مسلك فرنسا حيث لمصر تغييراً عظيماً فبعد أن كان تييرس يشجع محمد علي ويمدّه بمساعدة فرنسا له تراجع ونكص على عقيبة وعمد إلى سياسة التسويف وممضى يتخطى من فشل إلى فشل بعد أن أوقع مصر في ورطة جعل الدليل الأوروبي تتائب ضدها فلم ير تييرس بدا من تقديم استقالة وزارته . وقد ألف المارشال سولت الوزارة الجديدة فنفضت يدها من المسألة المصرية .

**بالمستون عقبة كاداء في وجه محمد علي :**  
 ولما كان بلمرستون يرى أن الخطر لا يهدى من ناحية روسيا بقدر ما يهدى من جهة فرنسا التي كانت تعمل على مساندة محمد علي وعلى إنشاء دولة شرقية قوية تكون تحت رعايتها وتستوحي سياستها من توجيه فرنسا لذلك وجه عنایته نحو تدعيم موقف إنكلترا في شرق البحر المتوسط كما حمل السلطان على منع إنكلترا محمية عدن وعمد إلى تقليل أظافر محمد علي باقصائه عن ديار بكر اذ كان بلمرستون يعتقد أن سيطرة محمد علي على ديار بكر معناه سيطرته على طريق الهند البرية كما عمد إلى تحريض أهالي سوريا للثورة على الفاتح المصري .

(١) تاريخ الحركة القومية في مصر ٢ - عبد الرحمن الرافعى بك  
 ص ٢١٧ .

وقد كان في موقف فرنسا المتخاذل خير معاون على تنفيذ هاربها واعلان كوامن ضغفنته وقد بلغ من حقد بلمرستون على محمد علي أن أشار على السلطان عبد المجيد بعزله ففعل .

وأشفع بلمرستون عمله هذا بتجريد حملة بحرية عنيفة وجهها الى سوريا بالاشتراك مع أسطول النمسا وتركيا وأطلقت الوحدات البحرية قنابلها على بيروت وأنزلت بعض الجيوش في ساحل صيدا . فأسقط حينذاك في يد محمد علي سيما بعد وصول الاسطول الانكليزي الى مياه الاسكندرية عندها أعلن محمد علي خضوعه دون قيد أو شرط كما كان يروم بلمرستون .

وقد شاعت الاحداث الدولية والتي لا مجال لبحثها الان بأن افضت الى الاعتراف بمحمد علي في مصر بصورة وراثية .

بعد هذه النظرة الى امتداد آثار الحملة الفرنسية على الوضع في الشرق والوقوف على صداتها ومداها نرى من المفيد انهاء هذه الرسالة بالخلاصة التالية :

## الخلاصة

لم يبق بعد عقد معاهدة كامبورفورميون من أعداء لفرنسا سوى انكلترا (١) تلك الدولة التي ظلت لآخر لحظة معادية لنابليون . وقد كانت انكلترا في رأي بونابرت أصلب أعدائه عوداً لها هي عليه من الشرورة واتساع المستعمرات والقوة البحرية وفضلاً عن أنها كانت قبض الفتنة في فرنسا فقد كانت بذات الوقت ملذاً للإجئين الفرنسيين من دعاة الملكية ومحور التحالف الأوروبي ضد الجمهورية الفرنسية وصاحبة السيطرة على البحار . ولم يخف هذا الأمر على بونابرت الذي كتب في ١٨ تشرين أول سنة ١٧٩٧ « يجب علينا سحق انكلترا والا سحقتنا وللقضاء عليها يجب توجيه كل قوانا نحو البحر فإذا نجحنا أصبحت أوروبا تحت أقدامنا . »

لهذا فقد كان على فرنسا تنظيم بحرية قوية لمناولة انكلترا وانتزاعها سيادة البحار منها عبر نص صادفات التاريخ شاعت أن تبقى فرنسا ضعيفة في

بحريتها بالرغم من أنه لم يظهر لقوتها البرية  
البرية مثيل في أوروبا .

ويعود السبب في ذلك إلى أنه وان تكن الثورة قد  
بعثت في جيوشها البرية رواجاً جديداً فقد أحدثت رواجاً  
سيئاً في قواها البحرية التي غشتها الفساد لسوء  
فهمها لمبادئ الثورة فضربت بالنظام عرض الحائط  
وباتت لا تعرف لاختلاف درجات الرجال معنى مما أدى  
إلى قيام الفتنة في أحواض السفن واضطر العدد الكبير  
من الضباط أبناء الأسر العريقة إلى ترك الخدمة  
وأصبح العبث بالنظام في القوى البحرية الفرنسية  
تلك القوى التي أبلت بلاء حسنة أثناء الحرب  
الأميركية علة مزمنة رافقتها حتى في أوج مجد نابليون  
لقد كان على فرنسا أن تزيل تلك العقبة الكادمة  
من طريق تقدمها : وهي إنكلترا فرأى القائد الشاب  
بونابرت ضالتها المنشودة فعينته على رأس الجيوش  
التي ستوجه ضد الجزيرة الانكليزية .

ولما أدرك بونابرت بثاقب نظره ، استحاله غزو  
بريطانيا قبل تأمين المعدات الازمة والتي يستغرق  
تحضيرها وقتاً طويلاً وكان يعتقد بأن إنكلترا تستمد  
معظم قوتها من تجاراتها الواسعة وممتلكاتها في الهند  
صهي على سلك طريق آخر لتقلييم أظافر بريطانيا  
بقطع موارد مستعمراتها عنها وكان ذلك بتوجيه  
الحملة إلى مصر (١) .

ولما كان الموضع السياسي الداخلي في فرنسا يحدهو بمن بيدهم زمام الامور الى ابعاد بونابرت عن جوهر هذه السياسة وحيث كانت طلائع خطره على النظم الديموقراطية تبرز للوجود سهلت للقائد الشاب سبل القيام بالحملة .

ولما كانت هذه الحملة باهظة التكاليف وتتطلب اموالاً طائلة فقد ذلت هذه العقبة المالية بتذرع الجمهورية الفرنسية بسبب واه لغزو سويسرا فاستولت في برن ( BERNE ) على كنوز خصصت ثلاثة ملايين فرنك منها لحملة مصر .

اما ALBERT VANDAL فيقول (1) ليس بصحيح ان مديري السنة السادسة وهم الذين امتعضوا لدى رؤيتهم بونابرت يبتعد عنهم ان يكونوا قد دفعوا ليبعده الى مصر . ان حملة مصر لهي من نسج مخيلة بونابرت الشخصية وأن مشروع الحملة هو أحد الاعمال التي تعود بالكلية الى انتاج قريحة نابليون - كذلك من الخطأ الاعتقاد بأن تليران قد دفع ببونابرت الى اتخاذ ذاك القرار وعلى الاقل بالصورة التينفذ فيها .

- لقد راودت بونابرت فكرة القيام بحملة على مصر وهو في ( VENISE ) . هناك داعبت مخيلته فكرة الحلم الشرقي فرأى فيه سانحة للقيام بالاعمال العظيمة .

ولما كانت فرنسا لا تحرز سيادة البحر فبات

L'AVENEMENT DE BONAPARTE  
I, P.178.

(1)

من الجنون الذهاب الى أيرلندا . وبالعكس ففي حال تحريره اليونان ومسيحي الشرق بجيوش الجمهورية الفرنسية من النير التركي فيجد بينهم وبين العرب عددا كبيرا من المتطوعين لاهداف لا حصر لها ولا حد . ونجد بونابرت يقول فيما بعد بهذا الصدد :

لم اكن اعلم عندما ابحرت ما اذا كنت اودع فرنسا الوداع الاخير . وكنت اتخيل نفسي على طريق آسيا ممتطيا فيلا والعمامة على رأسي وبين يدي قرآن جديد

ويقول ( GOURGAUD ) : في معرض حديثه عن بونابرت : أن هذا الاخير بعد أن غلب على أمره في الغرب كان يترقب ندما لعدم ثباته في الشرق ففي ١٥ آب عام ١٨١٥ بينما كان بونابرت و ( GOURGAUD ) على ظهر الباخرة NORTHUMBERLAND لم يكن جلالته يفارق غرفته وقد استدعى ( GOURGAUD ) وقال له لقد كان من الاوفق الا أغادر مصر فقد كان بامكاني البقاء فيها فالعرب كانت بانتظار رجل وبابة اء الفرنسيين كاحتياط واتخاذ العرب كمساعددين كنت أصبحت سيد الشرق واستوليت على ارض فلسطين .

وفي حال الفشل ففرنسا باقية له حيث أن شهرته المتزايدة وأخطاء المديرين المتكررة من شأنها أن تستدعيه وتفتح له طريق المجد والسلطان ( ١ ) . لقد كانت فكرة التمتع بجمال الشرق حلما من

NAPOLEON ET TAI

( ١ )

- EMILE DARD P. 27.

أحلام صبا بونابرت لازمه ملازمة الظل كما كانت ذكري الاسكندر الكبير مائلة أمام عينيه فقرر الاقتداء بالفاتح الاغريقي واقتداء أثره وقد عبر عن فكرته بتاريخ ٢٩ كانون الثاني عام ١٧٩٨ بقوله : « لا أريد المكث هنا فليس من عمل أقوم به . ان آذان القوم صمت وان هذا البلد مقبرة النبوغ . بليت شهرتي على جدتها وليس أوروبا بالميدان الواسع اتساعاً كافياً أنها الشرق فمجال نيل الشهرة الواسعة .

كما كان بونابرت على يقين بأن الشهرة مهمة تبلغ فإن جذوتها لا تثبت أن تنطفي اذا هي لم تذكرها جلائل الاعمال .

عصفت في ذهن بونابرت فكرة اخضاع بلاد الشرق وتنظيمها حسب ارادته تلك البلاد المتراحمية الاطراف والراسخة التقاليد فلاقى من حكومة المديرين الموافقة على المشروع ولا عجب فان فرنسا كانت تعتبر أرض الكناة مطعم آمالها منذ أيام سان لويس وحملته الصايرية الشهيرة .

وبالرغم من أن طريق الحملة الفرنسية إلى مصر كان محفوفاً بالمخاطر فقد صادف نابليون الحظ في البدء بوصول أسطوله سالماً إلى المياه المصرية وعدم وقوعه تحت نيران أسطول أمير البحر الانكليزي نلسن الذي كان له بالمرصاد . غير أنه لم يمض وقت طويل حتى حصل ما كان يتوقعه بونابرت ودمر القسم الكبير من الأسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية في أول آب عام ١٧٩٨ وحينذاك لم تعد الحملة سوى مجازفة

بعد أن كانت بداية لحدث خطير .  
حادثتان فجائيتان أفسدتا على نابليون كل  
خططه وهما :

١ = انتصار الانكليز على الفرنسيين في البحر .  
٢ = قطع العلاقات بين فرنسا وتركيا .  
فالحادثة الأولى التي جرت في أول آب قطعت  
المواصلات بين الجيش الفرنسي ووطنه الأم وخيبت  
آمال الجند . وبعد أن كانوا يمنون أنفسهم بالقصور  
الفخمة وجدوا أمامهم أ��واخا من الطين .

- وبعد حلمهم بالنبيذ المعتق لم تبتل شفاههم  
بغير الماء الأسن .

- وبعد أملهم بترحيب السكان بهم وجدوا  
أنفسهم عرضة للقتل والتنكيل .

وأسفرت الحادثة الثانية عن اعلان الباب العالي  
الحرب على فرنسا وانضممه إلى التكتل الثاني  
ومواصلته مع حلفائه الحرب ضد الجمهورية الفرنسية  
حتى تم جلاء الجيش الفرنسي عن كافة الاراضي  
المصرية .

بدأت الحملة الفرنسية على مصر يحفها الجلال  
وانتهت بتسلل صاحبها في الخفاء .

وكان لتفوق الانكليز في البحر على الفرنسيين  
صدى بعيد الأثر على فشل الحملة الفرنسية . أن عدم  
وجود بحرية قوية لدى الفرنسيين كان نقطة الضعف  
في هذه الحملة كما كان في كل قتال خاضته فرنسا ضد

بريطانيا . لقد كان مشروع بونابرت المركزان على حملة مصر وهما :

مشروع احتلال الهند والاستيلاء على القسطنطينية يعززها التحضير ويشوبهما الخطأ في التقدير فلم تقدر الجمهورية الفرنسية ولا بونابرت عظم الخطوة التي أقدمت عليها فزلقت وقديما قال الشاعر :

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها  
فمن علا زلقا عن غرة زلجا

لقد جرت الحملة الفرنسية على مصر عام 1798 وربما كان حدوثها حتميا فقد كان لا بد من أن تصطدم الدولتان الفرنسية والإنجليزية في تنافسهما الاستعماري على امتلاك مصر التي وصفها المؤرخ جورج يونغ بأنها : دهليز إلى غرفة العرش الآسيوي .

لقد هزت الحملة النابليونية مصر من سباتها العميق ولكن أحدا ما في مصر لم يرحب بهذه اليقظة . ورغم اعلان نابليون بأنه صديق للسلطان العثماني وأنه جاء لينهي حكم المماليك الفاسد ويعيد إلى الشعب حقوقه وينهي آلامه وأنه كصديق للإسلام قد جاء ليدعم الدين فان المصريين أحجموا عن تلقى ذراعيه اللتين فتحهما لمعانقتهم . وكان ذلك متوقعا منهم اذ ان تجربتهم التاريخية قد عززت الشك في نفوسهم بكل قادم أجنبي .

وهكذا فان الإسكندرية أغلقت ميناءها في وجه بونابرت

فاضطر إلى انزال قواته في جورديء في ميناء أبي قير لقد التف المصريون حول لواء المماليك المتعبيين الذين أعدوا عدتهم للحرب ولكن بعد أن أفرغوا خزانة الدولة كما أن الوالي التركي أعلن عداه لبونابرت وهرب إلى سوريا رغم أن نابليون أعلن أنه صديق للسلطان العثماني وأنه جاء لإنقاذ حقوقه . واذ أخذ نابليون يطارده من دون جدو أبحر ناسون بأسطوله إلى ميناء أبي قير وحطم الاسطول الفرنسي وهكذا فقد تحولت مصر إلى فخ وقع فيه الفاتح المفلس الذي وجد نفسه بين شعب استسلم له ولكنه لم يخضع كما وجد نفسه صاحب جيش يكاد يكون غير قادر على اطعامه والواقع أن حاجته الملحة إلى المال قد خربت جهوده الصبورة من أجل كسب ود المصريين وولائهم . فقد فرض في بايدى الامر جزية أجبارية على الجميع . فلما استنفذ المال المجموع بدأ يصدر أراضي الذين لا يستطيعون أن يبرزوا حجة ملكيتهم لها .

ولما أخذ يطبق هذا المنهج في القاهرة هبت ثائرة في وجهه . ولما حل فصل الشتاء حيث لا محاصيل ولا ضرائب عاد جيشه بونابرت يستخدمون في جباياتهم السوط والمصادرة وهكذا لم تمض ستة أشهر على وصول نابليون في مهمته التدميرية حتى كانت هذه المهمة قد انهارت تماما أمام الحقائق القاسية : حقائق العوز وعداء الشعب المصري الذي أخفق في كسب وده .

كما أن السلطان العثماني لم يرض بهذا المتطوع الذي جاء لانتزاع حقوقه من أيدي المماليك فأعلن الحرب

على نابليون وجراً عليه حملة جايهها بوتابرت بعنف وهزم القوات التركية في عدة مواقع إلا أن انتصاراته لم تكن حاسمة.

لم يسع الشعب المصري لنابليون أية فرصة لقضاء أهدافه، وهكذا فقد أخفقت كل خططه الرامية التي التغلب على العنتبات الدينية التي تثير الشعب عليه كفاح أجنبى والرامية إلى إعادة تنظيم الأداره الحكومية وتعليم المصريين وسائل الحكم الحديث.

لقد أخفقت خططه بسبب المعارضة القوية المستمرة التي جاءتها من السكان الذين تكشفوا بمقاؤتهم السلبية الشكل للغزاة «الكافر الاجانب» عن قوة شعورهم الوطني على الرغم من افتقارهم لكل شيء من أشكال الوحدة القومية الصحيحة.

ومع ذلك فان حملة نابليون في بعث مصر كاملة وان أعمال المائة والعشرين خبيرا الذين جاء بهم لدراسة أحوال مصر بالإضافة الى المعهد الفرنسي الممتاز الذي أنشأه ل القيام بالدراسات والابحاث قد سارعت في تعريف مصر الى العالم الخارجي كما امدت مصر بلمحة عن عنوان أوروبا ونهضتها الصناعية.

وقد كان للحملة الفرنسية تأثير كبير على تقدم الصناعة في مصر والدليل على ذلك أنه لم يعثر في كتابات العلماء الذين رافقوا الحملة الفرنسية سوى على وصف لصناعات وحرف بدائية يقوم بها عدّ قليل من العمال لتزويد السكان بالضرورات الاولية

(١) تاريخ الصناعة في مصر - الدكتور على الجرجسي ص ٦٣

من الغذاء والكساء والادوات المغزليّة (١) وكان استعمال الطواحين الهوائية قاصراً على الاسكندرية، وكانت مصر حتى وصول الحملة الفرنسية اليها تجهل التغيرات الفنية التي طرأت على الانتاج في أوروبا. أن احضار الفرنسيين لبعض الالات الجديدة واستعمالها في المصانع التي انشئت لتزويد الجيوش ببعض الحاجيات ولتصليح الاسلحه دفع بعض المنتجين المحليين الى تقليد هذه الالات.

ويذكر الجبرتي في تاريخه أن أحد أرباب الصناعة المدعو محمد الودنلي اقتني كتباً كثيرة تمكن بفضلها من صنع الجوخ الملون الذي كان يلبسه الفاسق للتجميل (٢). وقد كان من آثار الحملة الفرنسية على مصر أن افنت عدداً كبيراً من سكان وادي النيل وأنقضت نسائهم وذلك نتيجة للثورات والمعارك.

ولقد تعلم المصريون بصورة خاصة من نابليون : وسيلة اذاعية أصبحت غنمراً حيوياً في حركتهم القومية فيها بعد وهذه الوسيلة تكمن في استخدام الطباعة : فقد جاء نابليون الى مصر بمطبعة عربية صادرها من الفاتيكان واستخدم النشرات المطبوعة لترويج دعايته (٣).

أن تدمير الاسطول الفرنسي في معركة أبي قير

(١) تاريخ الصناعة في مصر - الدكتور علي الجريتى من نشرة

(٢) جمال عبد الناصر رائد القومية العربية : نوم ليله شراره المصطلح الخامس

البحرية أحدث تغييرات هامة في مشاريع الجنرال بونابرت : لقد كان على الاسطول الفرنسي أن يعود من مصر الى أوروبا ليقل قافلة ثانية من الجندي فكان تدمير الاسطول قضاء على ما كان بونابرت قد أزمع على انجازه من مشاريع لاحقة .

كما خف تدمير الاسطول من حدة تذمر الجندي وسكن من جذوة عاطفة الجندي للعودة الى الوطن وجعل وضع جنود الحملة الفرنسية في مصر أشبه بوضع الجيش العربي الذي أرسل لفتح بلاد الاندلس بقيادة طارق بن زياد الذي استهل خطابه الشهير بعبارة أيها الناس أين المفر مع فارق مهم أن طارق بن زياد هو الذي أمر باحراق السفن في حين أن تدمير الاسطول الفرنسي قد حصل بالرغم عن ارادة الجنرال بونابرت .

لقد كانت الشهور الاولى من اقامة الحملة الفرنسية في مصر خصبة بالأعمال المنشئة والبناء . فقد استدعي بونابرت لجنة العلماء من الاسكندرية الى القاهرة وعهد الى كل فرد من أعضائها بادارة مؤسسة كلف بانشائتها وادارتها :

DAMIETTE ROSETTE  
فقد انشئت في الاسكندرية  
والقاهرة مطاحن بحيث تصنع دقيقاً يضاهي في جودته ذاك الذي كان الفرنسيون يصنعونه في باريس .  
وأنشئت أفران أصبحت صناعة الخبز بواسطتها عادة مألوفة بعد أن كان نادراً في السابق . وأنشئت مستشفيات بحيث كان فيها لكل مريض سريره بفضل

جهود الطبيبين DESGENETTE و LARREY اللذين كانا موضوع تقدير الجنرال بونابرت واعتراف الجيش بفضلهما .

وأبْسَت مصانع لصنع ملح المبارود ومطاحن لهذه المادة . كما انشئ مصب وفرن ذات هرآة عاكسة كانت تصب بواسطته القذائف الضخمة العيار والتي كانت موفورة جداً ليجري تحويلها إلى عيارات أصغر لاستعمالها من قبل مدفعية الجيش .

وقد أقيمت مشاغل واسعة لصناعة القفال والأسلحة والعربات والاخشاب والنجارة والحبال . وقد استخدم الملاحون المسنون - الذين لم يسمح لهم سنهم بتغيير المهنة - في صناعة أسطول على النيل مؤلف من مختلف أنواع القوارب مجهز ومسلح أنيطت قيادته بضباط البحرية وقد أدى هذا الأسطول خدمات جمة في نقل الجند والمعدات .

وقد جهز الجيش بملابس قطنية زرقاء وقبعات من السختيان الاسود ( جلد الماعز المدبوغ والملون ) ( MAROQUIN ) كما جهز الجندي بمعاطف صنعت من الصوف المصري لارتدائها ليلاً . ولم يسبق ان كان الجيش الفرنسي مجهزاً في أي عهد من العهود بأحسن من هذا التجهيز وكان يحتوي غذاء الجندي على الخبز المفتخر واللحم والأرز والبقول الناشفة والسكر والبن ليعوضا عن المشروبات الروحية التي لم تكن معروفة في مصر قبل وصول الحملة الفرنسية . كما لوحظ تقدم

محسوس في صناعة الطاولات والكراسي والمفسيج  
القطني والاحذية المصبوغة من المختيان . وما كادت  
عقرية علماء الحملة الخلاقة تفرغ من سد الحاجات  
الاولى للجيش حتى أدخلت صناعة معدات البذخ  
والخففة . فقد راجت صناعة الآنية الخفيفة والسهلة  
النقل كما كثرا استعمال الطاسات الفضية ولم يبق الا  
القليل من الجندي الذي لم يكن حائزًا على ملعة من  
هذا المعدن .

وقد لاقى صانعوا الحلوى والمقطرون نجاحا كبيرا  
كما أنشئت فيما بعد صناعة الخياطين والطرازة . ولم  
يمض سوى أشهر قليلة على وجود الفرنسيين في  
مصر حتى شوهد ورق اللعب والبليار وطاولات اللعب  
كانت تصنع في القاهرة . كما استخدمت الطباعنة  
بالفرنسية والغربية .

وقد بذل علماء الحملة الفرنسية في وقت قصير من  
الجهود حتى أمكن القول أن كل ما كان لازماً للفرنسيين  
للإقامة على الطريقة الأوروبية كان قد تم انجازه أو  
كان قيد الصنف (١) .

وختاماً يمكن القول : لا عجب اذا كان الفشل  
بالمරصاد لحملة كالحملة الفرنسية على مصر لأسباب  
متعددة .

فالنفور والبغض كانا مستحوذين على عقوله

MEMOIRE DU DUC DE ROVIGO T.I  
P.100-105

القائمين بادارة دفة الحكم في الجمهورية الفرنسية الفتية عقب الثورة الكبرى .

وعدم الثقة يهيمن على أغلبية المشاريع والاعمال المزمع تنفيذها وامنافسة على المراكز هندفعة كالسبيل الجارف ومسيرة بوحي الفكرة القائلة : الغاية تبرر الواسطة .

وبذات الوقت الذي كان فيه تليران يؤيد بونابرت في مشاريعه التوسعية ويشجعه على المضي قدماً ويدله على طريق المجد كان بذات الوقت يرسم له طريق الفناء . ولئن تكن الثورة الفرنسية الكبرى ثورة على القديم وتقويضاً لصرح الملكية في فرنسا فقد بقي للملكية فيها أنصار ومؤيدون يعملون في الخفاء لاعادة ذاك الصرح بمساعدة بقية الملكيات التي تآلت مقاومة الجمهورية الفتية .

ومن العجب أن تكتب الحياة الجمهورية يتراكم الحقد والتساقط على النهود . نقوس القائمين على ادارة دفتها وجمر مؤيدي الملكية الرجعيين تحت الرماد والملكيات المعاصرة شتادي لخنقها في المهد . ان العبرة التي أطلقها رولان ( ROLAND ) عقب معركة « فالمي » أن الواجب يقضي بأن ندع الالوف من هم تحت السلايم يمشرون إلى أبعد مما تحملهم الركاب والآن قبوا فقطعوا رقابنا ( ۱ ) لهي مرأة تنعكس عليها نفسية ذوي الشأن في الجمهورية الفرنسية الفتية وتعبر أصدق تعبير عن الوضع القائم كما كانت

( ۱ ) التاريخ الدبلوماسي العام - الدكتور عبد البرزاق الحفار ص : ۳۰

تجيش في صدور ذوي النفوذ والسلطان عاطفة  
الاستئثار والانانية

وما حملة بونابرت على مصر الا عملاً مستوحى  
من فكرة رولان فيما يتعلق بمشجعي نابليون على  
ان القيام بها وان تكون في الأساس كما ظن البعض من  
وحيه .

لقد كانت حملة مصر خسارة على فرنسا فقد  
كلفتها تضحيات باهظة . ومن الخطأ القاء مسؤولية  
هذه الخسارة على بونابرت وتليران فقط ذلك ان عدداً  
من الرجال قد ساهم في تقديم فكرة القيام بهذه الحملة  
غير أن الشيء الوحيد الذي يستوجب اللوم هو  
حملة بونابرت العقيمة على سوريا لأن الخسارة كانت  
له بالمرصاد نظراً لقلة عدده . لقد كان أولى به ان  
يبقى في مصر ويعمل على حسن ادارة البلاد دون  
التفریط في مواردها . وقد كانت انتقادات كليبر  
لبونابرت في اكثرب من مناسبة في محلها .

ومع أن بونابرت قد أحرز عدة انتصارات على  
المماليك واحتل القاهرة فلم يبق من كل ذلك سوى  
صدى لبعض عبارات أطلقها أيها الجنود من أعلى  
هذه الاهرام أربعون جيلاً ترنو اليكم كما بقي صدى  
للأعمال التي قامت بها لجنة الابحاث عن الآثار في  
مصر وانتشار اللغة الفرنسية في وادي النيل .

تابع الزحف على سوريا سعياً في تحقيق حلمه  
الكبير ففشل أمام أسوار عكا التي حصنها الامير الـ  
سدني سميث وقد قال بونابرت في معرض الحديث عن

هذا الاميرال لقد تعثر حظي بسبب هذا الرجل (١) وكما ألمح الى عكا في احدى الاقوال المأثورة عنه ( لقد اوقفت عجلة حظي حبة من الرمل ) لقد كان بونابرت فاتحا ولم يكن مستعمرا فما يكاد يصل الى بغيته كفاتح ومؤسس للدول حتى تلوح له آمال ومفاحر جديدة من شأنها أن تدفعه قدما في طريق المجد فيندفع اليها اندفاع الاتي . ويعتقد البعض أن كليبر أكثر جدارة من بونابرت في مضمون الاستعمار كما كان أكثر مهارة منه في تعامله مع المسلمين . ومن الخطأ الاعتقاد أن بونابرت قد نفذ الى الشخصية الاسلامية فلقد اهترط في تقديره في هذا الحقل كما في غيره من الحقول لقد كان ماهرا في الحقيقة في تأليف خطابات وبيانات يوجهها الى المسلمين ولكن فعله لم يكن يوازي قوله . وبالاجمال فقد كانت مصر على طريق صيرورتها مستعمرة فرنسية تحت سلطة كليبر لو تمكّن المسؤولون يومذاك من تأمين الاتصال بينها وبين فرنسا (٢) .

ان جلاء الفرنسيين عن مصر لم يضع حدا للمشاريع التي باشروا بها في ارض الكنانة ولم ينجزوها حيث كان لها دوي في آذان محمد علي الكبير استفاق على صداتها النفوذ الفرنسي في وادي النيل حيث كان للفرنسيين يد طولى في دعم الصرح الذي أقامه محمد علي وتشييده وتدعيمه .

VIE DE BONAPARTE . JACQUES BAIN (١)  
 VILLE P.15-16

NAPOLEON TOME I. FRIEDRICH M.  
 KIRCHEISEN P. 184-185-186. (٢)

ولئن كان هذا المصحح لم يثبت طويلاً أمام العواصف الهوجاء، فذلك عائد إلى أن تلك العواصف كانت على جانب من الشدة من شأنها أن تزعزع أركان هذا المصحح الحديث البناء.

وقد كان للثورات المتنوعة التي عصفت بأوروبا، كذلك نوع من رد الفعل فالحكومات التي ألفت كانت تشفوف من الرجال البعيدي الهمة وتنادي للتعاون بفية البقاء على مبدأ الشرعية، ولهذا قلم تنظيرية دولة من دول أوروبا بعين الارتكاب إلى التوسيع الواسع الذي أحرزه محمد علي فقد صرخ (GUIZOT) بما يلي:

إن لفرنسا عطفاً صريحاً على محمد علي ولكنها لا تجرؤ على أن تبوح به عالمياً، وهذا العطف يعود تاريخه إلى أيام حملة بونابرت وأن التأثير الكبير الذي كان لفرنسا في مصر لم يكن يستهان به.

أما إنكلترا والنمسا وبروسيا فقد كان همهم الدافع عن الإمبراطورية العثمانية ضد محمد علي.

كما كانت كذلك سلانية روسيا مع فارق وجيد أن هذه الأخيرة كانت تحاول السيطرة على تركيا في ذات الوقت الذي تحاول فيه حمايتها وهذا مما يفسر مساعدتها المباشرة لها، ونظرة إلى الحفلة الفرنسية على علاقاتها ووضعها في ميزان التاريخ وبالرغم مما شابها من خطأ في التقدير فإن ذلك لا يدعو إلى التقليل من عظمتها ولا للانتقاد من قدرها فقد أقام بونابرت في مصر نظام الحكومات المتمدنة بانشائه

الديوان وأتاح ل الأوروبي دراسة عملية للآثار المصرية  
بأنشائه المجمع العلمي ولا يزال كتاب تخطيط مصر  
يحتل مكانه المرموق في خزائن الكتب العلمية وبعد أول  
وصف علمي لوادي النيل .

لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان  
لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان  
لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان  
لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان  
لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان  
لأنك في شفاعة الله في كل مكان

لأنك في شفاعة الله في كل مكان

## **مصادر البحث**

### **١ - المصادر العربية للأطروحة**

١ : عبد الرحمن الرافعي بك - تاريخ الحركة القومية في مصر الجزء الأول - القاهرة - الطبعة الثانية طبع سنة ١٩٤٤

٢ : عبد الرحمن الرافعي بك - تاريخ الحركة القومية في مصر - الجزء الثاني - مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر - مطبع سنة ١٩٢٩ -

٣ : الدكتور محمد فؤاد شكري - الحملة الفرنسية وظهور محمد علي - مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

٤ : الاستاذ عبد الرزاق الحفار - التاريخ الدبلوماسي العام ١٧٨٩ - ١٨٤٨ - طبع سنة ٩٥٧

٥ : اميل الخوري وعادل اسماعيل - السياسة الدولية في الشرق العربي من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٩٥٨ . مطبعة دار النشر للسياسة والتاريخ بيروت سنة ١٩٥٩ .

٦ : الدكتور علي الجرتي - تاريخ الصناعة في مصر

طبع سنة ١٩٥٢ .

٧ : عبد الرحمن الراافعى بك — تاريخ الحركة القومية  
وتطور نظام الحكم في مصر — الجزء الثالث —  
الطبعة الاولى سنة ١٩٣٠ .

عدد المصفحات ٦٥١ .

٨ : توم ليتل — جمال عبد الناصر رائد القومية العربية

1= FRANCOIS DUHCURCAU

BONAPARTE peint par lui-même

Éditions SPES. -17- Rue SOUFFLOT PARIS (V°)

Achevé d'imprimer le 23 Juillet 1937.

2= DMITRY MEREJKOVSKY.

Vie de NAPOLEON I 1769 - 1807

Traduit du russe par M. DUMESNIL DE CRAMONT.

1930 -

3= DESIRE LACROIX BONAPARTE en EGYPTE (1798-1799)

1899 -

4= JACQUES BAINVILLE. Vie de NAPOLEON 1935 -

5= FRANCOIS CHARLES ROUX. Les origines de l'expédition d'EGYPTE. 1910 -

6= Mémoires du Dux de ROVIGO. Pour servir à l'Histoire de l'Empereur NAPOLEON. Tome premier - seconde Edition PARIS.

7= EMILE DARD. NAPOLEON ET TALLEYRAND. PARIS. Librairie plon. imprimeurs - Editeurs 8.

8= ACHAFIK PACHA - L'EGYPTE moderne et les influences étrangères. Le CAIRE - Imprimerie Misr. S.A.E. 1931 -

9= FRIEDRICH M. MIRCHEISEN - NAPOLEON (1760-1805)

10= Histoire Diplomatique de 1648 à 1919.

JACQUES DROZE PARIS Librairie dolloze 11.

فهرست الاطروحة

الصفحة

- مقدمة

- الفصل الأول

- أسباب توجه أنظار فرنسا إلى مصر - القسم الأول - الأسباب البعيدة .

- العلاقات التجارية بين فرنسا و مصر .

- أثر بعثات التبشير في نشوء العلاقات بين مصر و فرنسا .

- المشاريع المقترحة والمقاؤضات المجرأة بمصر .

- اقتراح ليبيتزر على الملك لويس الرابع عشر .

- فكرة تقسيم ثراث تركيا .

- المسألة الاستعمارية .

- موقف الفرنسيين من مصر ابان الحرب الروسية التركية ( ١٧٦٨ - ١٧٧٤ ) .

- تقرير مير ( MIRE ) .

- سياسة فرجن ( VERGENNES ) .

- تأثير آراء الرحالة الفرنسيين على إبقاء فكرة احتلال مصر راسخة في الذهان .

- رحلة البارون دي توت .

## الصفحة

## الموضوع

- ٢٤ - رحلة فولني .
- ٢٥ - الثورة الفرنسية تقلب الاوضاع القائمة رأسا على عقب .
- ٢٧ - مناهضة ملوك اوروبا لرجال الثورة الفرنسية وتكلتهم ضد فرنسا .
- ٢٩ - مجلس المديرين وسياسته .
- ٣٣ - بقاء الصراع الانكليزي الفرنسي على أشده .
- ٣٧ - نتائج المعارك العسكري تحت بونابرت وحكومة المديرين على الاسراع في توجيه حملة مصر .
- ٤٠ - القسم الثاني اسباب المباشرة .
- ٤٢ - تقرير مجالون ( MAGALION ) .
- ٤٤ - عودة مجالون الى فرنسا وتقديمه تقريره التاريخي المشهور الى حكومة المديرين .
- ٤٥ - اسباب الخصام المزمن بين فرنسا وانكلترا .
- ٤٧ - **الفصل الثاني**
- ٤٧ - حالة مصر الاجتماعية والاقتصادية قبل مجيء الحملة الفرنسية .
- ٥٠ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية في مصر عند مجيء الحملة الفرنسية .
- ٥٢ - **الفصل الثالث**
- ٥٢ - تنفيذ الحملة الفرنسية على مصر .
- ٦١ - الانكليز والحملة الفرنسية .
- ٦٣ - معركة ابي قير البحرية .
- ٦٥ - اسباب الهزيمة .
- ٦٧ - صدى نبأ هزيمة ابي قير في باريس .

## الصفحة

## الموضوع

- مسؤولية بونابرت في كارثة أبي قير وجده .	٦٦
- الفصل الرابع	٧٠
- آثار الحملة .	٧٠
- آثار معركة أبي قير البحرية ونتائجها بوجه عام .	٧٠
- آثار الحملة على الصعيد الديني والاسلامي .	٧٣
- سياسة نابليون حيال الاسلام .	٧٣
- محاولات بونابرت في التفريق بين المصريين وتركيا .	٧٤
- مراسلات بونابرت للامراء المسلمين .	٧٥
- آثار حملة بونابرت على الصعيد المحلي في نفوس المصريين - ثورة القاهرة - أسبابها ونتائجها .	٧٦
- آثار حملة بونابرت على الصعيد التنظيمي والاداري .	٧٩
- نظام الحكم الداخلي في مصر .	٧٩
- ديوان القاهرة - انشاء الديوان .	٨٠
- اختصاصات الديوان .	٨١
- دواوين الانقاليم .	٨٢
- الديوان العام .	٨٣
- اعادة الديوان .	٩٠
- آثار الديوان .	٩١
- مساهمة السكان المصريين في اعمال حفظ الامن .	٩٣
- نشاط الفرنسيين في العقل التجاري .	٩٣
- آثار حملة بونابرت على الصعيد العلمي والثقافي - تأسيس المجمع العلمي .	٩٤

## الصفحة

## الموضوع

- الغرض من المجمع - أقسام المجمع - انعقاده ٩٠
- أبحاث المجمع - مكتبه - جوائزه ٩٦
- آثار المجمع العلمي ٩٨
- الطباعة ١٠٠
- الصحافة ١٠١
- مكتبة المجمع العلمي ١٠٢
- آثار المجمع العلمي في الحقل الصحي ١٠٣
- آثار المجمع العلمي في الحقل الصناعي ١٠٣
- نظرة شاملة إلى المجمع العلمي ١٠٤
- تعطيل أعمال المجمع العلمي ١٠٥
- من آثار المجمع العلمي الخالدة - كتاب تخطيط مصر ١٠٧
- بعض مشاهير أعضاء المجمع العلمي ١٠٩
- ذكرية بونابرت في شق قنال السويس ١١٣
- آثار الحملة على الصعيد الدبلوماسي وال العسكري ١١٦
- أثر حملة بونابرت في الباب العالي ١١٧
- الدبلوماسية الفرنسية في مصر ١١٧
- الدبلوماسية الفرنسية في القسطنطينية ١١٨
- أسباب فشل الدبلوماسية الفرنسية ١١٩
- نجاح الدبلوماسية الانكليزية في الاستانة ١٢٠
- آثار الحملة على الصعيد العسكري - حملة بونابرت على سوريا ١٢٧
- الجزار باشا وبونابرت ١٣٢
- عودة بونابرت إلى القاهرة ١٣٣

## الصفحة

## الموضوع

- الأفضل، الخاهم .  
١٣٥
- مصير الحملة الفرنسية في مصر بعد اباب  
بونابرت الى فرنسا .  
١٣٥
- موقف كليبر حيال عمل بونابرت وأرأوه .  
١٣٧
- اراء بعض قادة الحملة الفرنسية بصدق عودة  
بونابرت .  
١٣٨
- عدم موافقة الصدر الاعظم على اقتراح كليبر .  
١٤٨
- اقتناع الجنرال كليبر بضرورة الموافقة على  
الجلاء .  
١٤٩
- تمنع الاميرال سدني سميث عن توقيع الاتفاق .  
١٥٠
- معارضه بعض القادة الفرنسيين لاتفاق  
العریش .  
١٥٢
- عرقلة البريطانيين لاتفاق العريش .  
١٥٤
- نتائج موقعة هليوبوليس .  
١٥٨
- تأثير رسالة سدني سميث في الحكومة  
البريطانية .  
١٥٩
- الأفضل المسادس .  
١٦٣
- مصير الحملة الفرنسية في مصر بعد مقتل  
كليبر - مقتل كليبر .  
١٦٣
- تسلم الجنرال مانو قيادة الجيش الفرنسي  
في مصر .  
١٦٣
- موقف السلطان والصدر الاعظم ازاء فرنسا .  
١٧٠
- تكليف السلطان سليم الثالث للمعتمد  
السياسي البروسي بشأن حسم النزاع بين تركيا  
وفرنسا .  
١٧٠

## الصفحة

### الموضوع

- ١٦٦ - موقف بونابرت ازاء الاوضاع في مصر .
- ١٦٦ - صدى هزيمة العثمانيين في معركة هليوبولس في باريس .
- ١٦٧ - محاولات بونابرت في تموين حملة مصر .
- ١٦٨ - رد اللورد غرانفيل على عرض اوتو .
- ١٦٨ - استسلام حامية مالطة .
- ١٦٩ - آثار حملة بونابرت على الصعيد الدبلوماسي في أوروبا .
- ١٦٩ - هماعي تليران في اقناع بونابرت بضرورة التعاون مع روسيا .
- ١٧٠ - المفاوضات السرية بين بونابرت والباب العالي .
- ١٧٠ - موقف قيصر روسيا من عروض بونابرت .
- ١٧١ - التقارب بين القيصر وبونابرت .
- ١٧٢ - اتفاق بونابرت والقيصر سرا على اقتسام الامبراطورية العثمانية .
- ١٧٣ - مطالبة الروس للبريطانيين باخلاء جزيرة مالطة واعادتها اليهم .
- ١٧٤ - قبول القيصر لنصائح بونابرت .
- ١٧٤ - مصرع بولس الاول يخدم مصالح البريطانيين .
- ١٧٥ - اتفاق بريطانيا وتركيا على طرد الفرنسيين من مصر .
- ١٧٦ - مهاجمة العبيوش العثمانية والبريطانية لمصر .
- **الحكومة الجديدة البريطانية تخفف من صلابة**

- موقف بريطانيا وتعلن استعدادها لوضع حد للحرب بينها وبين فرنسا .  
١٧٦
- موقف تليران من سياسة انجتون الجديد .  
١٧٧
- أسباببقاء تليران معتمده السياسي «أتو» في لندن وعدم توليه بنفسه هذه المهمة .  
١٧٨
- رسالة تليران الى «أتو» في ٣٠ آذار سنة ١٨٠ .  
١٧٨
- شكوك تليران بمضمون رسالة اتو .  
١٧٩
- تصلب البريطانيين في موقفهم .  
١٨٠
- أسباب تشدد انجتون وهاكسبوري في موقفهما ازاء فرنسا .  
١٨١
- توقيف المفاوضات الدبلوماسية بين لندن وبارييس .  
١٨٢
- حصار القاهرة .  
١٨٣
- رفض الجنرال مانو لقبول اتفاق الجلاء عن القاهرة .  
١٨٤
- عودة حامية القاهرة الى الاسكندرية .  
١٨٥
- رسالة الجنرال مانو الى بونابرت يستذكر فيها استسلام حامية القاهرة .  
١٨٥
- تضييق البريطانيين الخناق على مانو .  
١٨٦
- صدى نبأ سقوط القاهرة في لندن وبارييس .  
١٨٦
- اغتياط بونابرت بعودة العلاقات الفرنسية العثمانية .  
١٨٩
- موقف سفراء الدول الاوروبية في القسطنطينية حيال مجيء الكولونيل سيفستاني .  
١٩٠

## المصعدة

### الموضوع

- موقف السلطان العثماني سليم الثالث من نشاط سفراء الدول الاوروبية بمناسبة قدوم الكولونيل سيفستيانو الى الاستانة .  
١٩١
- عدم اشراك ممثل تركيا في مفاوضات صلح امبيان تحمل الباب العالي على عقد صلح منفرد مع فرنسا دعى « صلح باريس » .  
١٩٢
- الفصل السابع  
- امتداد آثار الحملة الفرنسية على الوضع في مصر .  
١٩٣
- وضع مصر عندما أخلاقها الفرنسيون .  
١٩٤
- ظهور محمد علي .  
١٩٦
- الشعب ينادي بمحمد علي باشا مصر .  
١٩٧
- محاولات بريطانيا .  
١٩٨
- محمد علي والماليك .  
١٩٩
- مذبحة الماليك .  
٢٠٠
- تنظيم مصر .  
٢٠١
- يقظة النفوذ الفرنسي .  
٢٠٢
- تنظيم الجيش .  
٢٠٣
- سليمان باشا الفرنسياوي منظم جيش محمد علي .  
٢٠٤
- سليمان باشا يقوم بتنشئة ضباط الجيش المصري في المدرسة الحربية بأسوان .  
٢٠٥
- مدرسة الفرسان بالجميز .  
٢٠٦
- مدرسة المدفعية بطرة .  
٢٠٧
- انشاء وتنظيم الاسطول .  
٢٠٨

## المصفحة

## الموضوع

- مدرسة الطب .  
٢٠٣
- الزراعة والصناعة .  
٢٠٤
- الصناعات التحويلية .  
٢٠٥
- الصناعات الحربية .  
٢٠٦
- الادارة .  
٢٠٧
- فتوحات محمد علي تحمل البعض على تشبيهه  
بنابليون بونابرت .  
٢٠٨
- المسألة المصرية أثر من آثار الحملة الفرنسية  
على مصر .  
٢٠٩
- بلمرستون عقبة كأداء في وجه محمد علي .  
٢١٦
- الخلاصة  
٢١٨
- مصادر البحث العربية .  
٢٣٦
- مصادر البحث الفرنسية .  
٢٣٨

۱۰۷

الجمهوريّة اللبنانيّة

العامية اللبنانيّة

كلية الحقوق

أُفْسَاد

رقم المحفوظات /٥٠ رقم المصادر | ١٨٤٨ / ١٨٤٩

بیروت غی ۲۲ ایلوں ۱۹۶۲

يفيد عميد كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية أن النقيب طلال عامر المختار من التابعية اللبنانية ولد في عرسون عام ١٩٢٤، حصل على الشهادات التالية :

<u>الدرجة</u>	<u>الدورة</u>	
الأولى		شهادة في الحقوق العامة ١٩٥٨-١٩٥٩
الأولى	حسن	شهادة في التاريخ السياسي ١٩٥٨-١٩٥٩
الأولى		شهادة في العلاقات الدولية والمعاصرة ٦٠-٥٩
الأولى		شهادة في العلوم الاقتصادية العامة ٦٠-٥٩
الأولى		شهادة في الاقتصادية التطبيقية ٦٠-٦١

وفاز بمناقشة رسالة موضعها : "آثار حملة بونايرت على  
 بيتر" بدرجة جيد وأصبح عائزاً الأجازة في المعلوم السياسية  
 والاقتصادية وفقاً ل برنامجه الأكاديمية اللبنانيه .

وينما على طالبه أعدت له حفظ الأفارة

جامعة كلية الحقوق

-all /ə/

وفيق القصار

# أمين سر كلية الحقوق

三

طہرانی غارس







الثمن: ٢٥ ل.ل.